

المجلة العربية للدراسات
الاسلامية بالمدنية المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة التفسير

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات
رقم التسجيل: ٤٩١
التاريخ: / / ١٤٠٠ هـ

التفسير بالبري

ماله وما عليه

اعداد الطالب

أحمد عمر عبد الرحمن الفزني

لنيل
شهادة العالمية
(المجاويز)

إشراف

أبو بكر الجندري

عام ١٣٩٩ / ١٤٠٠ هـ

٢١٤
٢٤



شكرو فقير

بسم الله الرحمن الرحيم

.....

..... ((شـكـر و تقـديـر))
.....

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلي

آله وصحبه أجمعين أما بعد ،

اعترافا بالفضل والامتنان أتقدم بخالص الشكر والخالق التقدير لفضيلة المشرف ،
الشيخ أبو بكر جابر الجزائري الذي قدم لي معونته الصادقة ورعايته المخلصة ومنحني
من فضله وعلمه ووقته ما اضاء لي الكثير من جوانب البحث ، ودفعني على اجتياز
مراحله بهمة وعزم وكان لا يألو جهدا في ارشادي ، وتسديد خطاي فجزاه الله
عني خيرا الجزاء ، هارك الله في علمه وعمله وعمره .

كما اتوجه بالشكر المصيق الى كل من الجامعة الاسلامية والقائمين عليها لما

أدت له لي هذه الجامعة من خدمات علمية ومادية استطعت بفضل الله ثم بواسطتها
متابعة دراستي فجزاها الله عني خيرا ووفقها لنشر رسالتها المجيدة .

كما اشكر المسئولين في قسم الدراسات العليا لما هيئوا لي من جو ملائم

للدراسة من تهيئة نخبة ممتازة من الاساتذة الكرام القادرين على توجيه طلابهم

توجيها علميا صحيحا سالما من التيارات الفاسدة ومن المراجع الفريدة والمكتبات

العظيمة تساعد الطلاب على جمع المعلومات فجزاهم الله خيرا .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

~~~~~

— ( مقدمة ) —

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، قوما لينذر بأسا شديدا من لدته ، ويبشر المؤمنين الذين يملكون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكين فيها أبدا ، والصلاة والسلام على محمد الذي أرسل للعالمين بشيرا ونذيرا وأنزل عليه القرآن هدى للناس وكتابا مبينا ، فأعجز هذا الكتاب المربي الخالد بلقاء الدنيا وفصحاءها ، وقامت على هداة حضارة انسانية عالية ملأت ربوع الارض عدلا ونورا وسموا ، وستبقى آيات القرآن مصدرا لكل خير وسعادة حتى تقوم الساعة .  
أسامد . . . .

فلما كان على كل طالب في الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية أن يختار موضوعا يكتب فيه بحثا لنيل شهادة التخصص ( الماجستير ) فأننى طوال السنة المنهجية في الدراسات العليا كنت كثير التقلب لصفحات الكتب والتأمل في مختلف الموضوعات وقد هدانى الله تعالى بعد طول تأمل الى اختيار موضوع ( التفسير بالرأى ماله وما عليه )

سبب اختيار الموضوع :-

~~~~~

وقد كان الحافز من اختيار هذا الموضوع أهدافا منها :

أولا : رغبتى في اختيار موضوع يتعلق بالقرآن ، خدمة لكتاب الله الكريم وتقريبه اليه سبحانه وتعالى بأحب الاعمال اليه ، وذلك لأننى لا أكاد أعرف

علما من المعلوم التي اشتغل بها المسلمون في تاريخهم الطويل الا كان
الباعث عليه هو خدمة القرآن الكريم .

ثانيا : ما رأيته في بلدى - غانا - من تلاعب بالآيات القرآنية من قبل الفرقة
الضالة المضلة المسمى بالقاديانية التي استسها الاستعمار لقصد ضرب
المسلمين بها ، وهذه الفرقة لم تنزل تحاول تفسير الآيات القرآنية
على هواها وعلى ما يملى عليها قادتها ومؤسسوها في تحريف الآيات
القرآنية واخراجها عن معانيها وعد قواعد اللفظة وأصول الشريعة ، وصار
الواحد من هذه الفرقة كلما لاحت له شاردة من بعيد اقتنصها ، أو وجد
موضعا له فيه أدنى مجال لاظهار ضلالته وترجيح بهتانه سارع اليه ،
ولا يتورع أن يفترى على الله ما لم يرد من كتابه (انما يفترى الكذب الذين
لا يؤمنون بآيات الله) .

ثالثا : من المعلوم أن قضية التفسير بالرأى قائمة بين العلماء قديما وحديثا
فمنهم من يرى عدم القول به والاكتفاء فقط بما أشرع النبي صلى الله
عليه وسلم وعن صحابته الكرام . ومن العلماء من يرى جواز التفسير
بالرأى بحجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر جميع معانى القرآن
صحجة أن باب الاجتهاد مفتوح لمن له أهلية لاستنباط الاحكام الشرعية
من الكتاب والسنة . ولم يزل هذا الموضوع بين أخذ ورد بين العلماء
الى يومنا هذا .

ولما لم أجد من استوفى القول فيها من علماء مصر ، ولم أشر على
الكتب التي دونت في شرح هذا للموضوع ويانه بياننا شافيا عنيت بالبحث
في هذا الموضوع لعلنى أصل بمون الله وتوفيقه الى كشفه بعض الكشوف

وان لم أصل الى الغاية ، فهذا الجهد المستطاع (وفوق كل ذي علم عليم)
وهذه هي الحافز على اختيار هذا الموضوع ، ولا شك أنه يتطلب الكثير
من الاطلاع على المصادر المتنوعة ، والوقوف على صفحات الفنون المختلفة ، وتوفير
ملكة قادرة على تنظيم الأدلة ، النقلية والمقلية ، أوردها كل من الفريقين ، ذلك
كله للوصول الى عرض الموضوع عرضا واضحا سليما من الناحية العلمية .

خطبة البحث :

لقد رتب هذا الموضوع على تمهيد ، وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما التمهيد فقد جعلته لبيان معنى كلمتي التفسير والتأويل والفرق بينهما
من حيث اللفظة والاصطلاح .

وأما الباب الاول فقد جعلته لدراسة التفسير في عهد الرسول صلى الله
عليه وسلم الى منتصف القرن الثاني الهجري . ويتكون هذا الباب من أربعة
مباحث : تحدثت في المبحث الاول عن تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم واختلاف
العلماء فيما أشرعته عليه الصلاة والسلام في ذلك .

وفي المبحث الثاني تحدثت عن جهود الصحابة في التفسير وبعض ما أشر
عنهم وقيمتهم في هذا المجال .

وفي المبحث الثالث تحدثت عن جهود التابعين في التفسير وترجمت لبعض

الشاهير منهم .

وفي البحث الرابع تناولت كلمة (الرأى) وموقف علماء المسلمين بالنسبة الى استعماله فى الشريعة الاسلامية .

وأما الباب الثانى ، فقد عقدته لبيان التفسير بالرأى واختلاف العلماء فيه ، ونشأة هذا النوع من التفسير واسبابه ، وأول من بدأ بذلك وبعض مدارس ، ، والذين جمعوا بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى .

وجاء هذا الباب فى خمسة فباحث :

تحدثت فى البحث الاول عن التفسير ورأى العلماء فى ذلك .

وفي البحث الثانى تحدثت عن نشأة التفسير بالرأى واسبابها ومظاهرها

وفي البحث الثالث تكلمت على مقاتل بن سليمان صاحب أول تفسير كامل

بالرأى ، وعن منهجه فى ذلك التفسير وتقويمه .

وفي البحث الرابع تحدثت عن فخر الدين الرازى وأثره فى مدرسة التفسير

بالرأى .

وفي البحث الخامس تحدثت عن محمد بن جرير الطبرى الذى جمع بين

المأثور والرأى فى تفسيره ، كما تحدثت عن منهجه فى ذلك .

وأما الباب الثالث ، فقد عقدته لبيان ما للتفسير بالرأى وما عليه وهذا الباب

يتكون من ثلاثة فباحث .

البحث الاول ذكرت فيه شروط التفسير بالرأى ليكون مقبولا .

وفي البحث الثانى تحدثت عن مدى التزام كتب التفسير بالرأى لهذه الشروط

وفي البحث الثالث تحدثت عن قيمة كتب التفسير بالرأى بناء على تلك الشروط

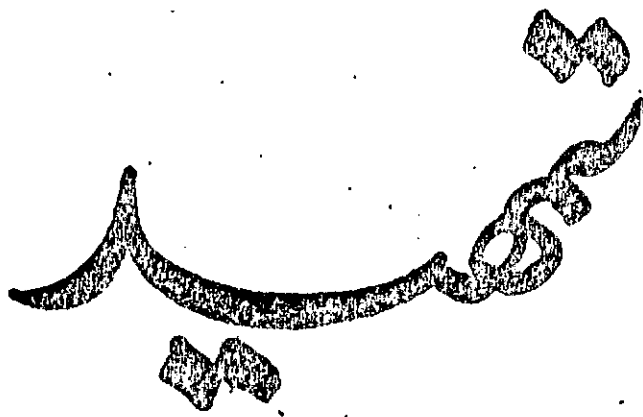
ثم عقلت على ذلك بنماذج من التفسيرات المنحرفة .

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها ما توصلت اليه من نتائج هذا ، وقد كان ،
 المصحف الشريف هو المصدر الاساسى الذى تعتمد عليه الرسالة ، ويدور حوله
 البحث ، وقد تنوعت مصادر الرسالة ومراجعتها من كتب التفسير القديمة والحديثة
 وعلوم القرآن الكريم ، ومن كتب الحديث وأصول الفقه والفقه والتاريخ العام والعارف
 العامة فقد رجعت الى ما يقارب ١٣٠ مصدرا ومرجعاً .

ولعلنى بهذا اكون قد شاركت فى مجال البحوث القرآنية ببحث متواضع
 لم يبلغ الكمال بالتأكيد ، لان ذلك لا سبيل لبشر اليه ، ولم يشارف الكمسالى
 لانه بحث فى القرآن وكيف لعلنى أن يصل المدى فيه ولكنى قد اجتهدت وتكلفت
 فى سبيل ذلك العناء كله ، ولا أقول بعضه ولست مغالبا ، لان طريق البحث
 فى القرآن ليس مفروشا بالرياحين ، واذا كان سبيل البحوث المتخصصة فى فرع
 من فروع المعرفة صعب المرابى بالطبع ، فهو فى هذا البحث أشد صعوبة
 ان يدور كله حول كتاب الله العزيز الذى لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من
 خلفه ، ولأنه متنوع الجوانب متعدد الاطراف ان انه قد شمل الامور الفقهية
 واصولها والتاريخية وغير ذلك .

واخيرا اعترف بأن هناك جوانب يستدعيها البحث وحتاج الى وقت طويل
 وتأن اكثر ولعل قادمات الايام تحمل ما يساعدنى فى استكمال ما فاتنى عطسه
 ان شاء الله تعالى .

وأسال الله تبارك وتعالى ان ينفع به وان يغفر لى خطئى وتقصيرى انه أهل
 التقوى وأهل المغفرة .



((تَمْهِيسٌ))

تعريف التفسير لفة واصطلاحا :

تلتقى مادة - فس ر ، س ف ر - في معنى الكشف ، ثم نجد السفر الكشف المادى والظاهر ، والفسر الكشف المعنوى والباطن والتفصيل منه - التفسير - كشف المعنى وابانته (١)

التفسير ان مأخوذ من فسر المشتق بالاشتقاق الكبير من السفر وهو الكشف والظهور يقال أسفر الصبح اذا ظهر وأسفرت المرأة وجهها اذا كشفته ، وأسفرت البيت اذا كتسته ، ويقال للسفر سفر لأنه يسفر ويكشف عن اخلاق الرجال . (٢)

ف قيل اشتقاق التفسير من لفظ التفسرة ، وهو نظر الطبيب في البول لكشف الملة والدواء . واستخراج ذلك ، فكذلك الفسر ينظر في الآية لاستخراج حكمها ومعناه .

وقيل : هو مأخوذ من قول العرب : فسرت الفرس وفسرته اى اجررته واعديته اذا كان به حصر - هو احتباس الغائط ونحوه فبى البطان لا يخرج - لينطلسق بانه وكان الفسر يجرى فرس فكثرة في ميادين المعانى ليستخرج شرح الاية ويحل عقد اشكالها . (٣)

(١) دائرة المعارف الاسلامية تحقيق وتعليق أمين الخولى ج - ٥ ص ٣٤٨

(٢) انظر بصائر ذوى التمييز لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى تحقيق محمد علسى

النجار ج - ١ ص ٧٨ - ٧٩ ومجمع البيان للطبرسى ج - ١ ص ١ - ٢

(٣) بصائر ذوى التمييز لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى ج - ١ ص ٧٨ - ٧٩ .

فعلى هذا يكون أصل التفسير التفسير على قياس صعق وصقع ، وهبذ وجذب وما أطيبه وأيطبه ، ونظائره ، ونقلوه من الثلاثى الى باب التفصيل للجألفة ، وكان المفسر يتتبع سورة سورة وآية آية وكلمة كلمة لاستخراج المعنى وحقيقته كشف المتفلق من المراد بلفظه ، وإطلاق المحتبس عن الفهم به .^(١)

((ماهية التفسير))

لقد استعمل التفسير فى اصطلاح العلماء فى المعنيين :

أولهما : التفسير الذى هو قسم من اقسام البديع الراجع الى المحسنات المعنوية ويبراد به عندهم ان يأتى المتكلم بمعنى لا يستقل الفهم بادراك فحواء ما لم يفسره كلام آخر بعده ، كما فى قول الشاعر :

أراؤهم ووجوههم وسيوفهم * * فى الحادثات اذا وجون نجوم .

منها معالم للهدى ومصباح * * تجلو الدجى والأخريات رجسوم .

ومثلوا له كذلك بقوله تعالى ((فمنهم شقى وسعيد ، فأما الذين شقوا

ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض

الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففى الجنة

خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجد))^(٢)

ونظيره قوله تعالى ((يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين أسودت

وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا المذاب بما كنتم تكفرون ، وأما الذين

ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون))^(٣)

(١) البصائر ذوى التمييز لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادى جـ ١ ص ٧٨ - ٧٩

(٢) سورة هود ١٠٥ - ١٠٨

(٣) سورة آل عمران ١٠٥ - ١٠٧ ، انظر مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى جـ ١ ص ٢ - ١ - مطبعة العرفان صيدا ، والبرهان الكاشف عن اعجاز القرآن للزملكانسى .

والمعنى الثانى : وهو ما لى معنى بالكلام فيه - وقد اختلف العلماء فى شرح ما هيته والسبب فى ذلك هو أن التفسير لكونه يطوى فى تضاعيف مسألة مسائل من علوم شتى يدخلها بعضهم ويخرجها بعضهم منه ، وهى داخله فى حدود غيره من العلوم لا تكاد تجد تعريفا جامعا لمسألة ما نعا ممن دخول غيره فيه ولا تكاد تدلنا على جهة وحدة تضبط مسأله اجمالا الا أننا اذا تتبعنا أقوال هؤلاء العلماء وتعريفاتهم للتفسير وجدناها كلها ترجع الى واحد منها فهى وان كانت مختلفة من جهة اللفظ ، الا أنها متحدة من جهة ما تهدف اليه .

واليك بعض هذه التعريفات :

قال بعض العلماء : التفسير فى الاصطلاح هو علم نزول الآيات وشئونها واقاصيصها والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها ، وعبرها وامثالها (١) .

وقال أبو حيان فى مقدمة تفسيره : التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك .

ثم قال : فقولنا (علم) جنس ، وقولنا (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن) هو علم اللغة الذى يحتاج اليه فى هذا العلم ، وقولنا (واحكامها الافرادية والتركيبية) هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع وقولنا (ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب) هذا يشمل ما دللته بالحقيقة وما دللته بالمجاز

(١) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم جـ ٤ ص ١٦٩

فان التركيب قد يقتضى بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل عليه صاد ، فيحمل على غيره وهو المجاز . وقولنا : (وتتمت لذلك) هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم فى القرآن ونحو ذلك^(١).

قال صاحب تفسير القرآن الكريم المسمى : ضياء التأويل فى معانى التنزيل :

أعلم ان علم التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزل وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم النحو واللغة والتصريف وعلم المعانى والبيان والبديع وأصول الدين والفقه وأصول الفقه والقراءات وعلم اسباب النزول والناسخ والمنسوخ^(٢).

وقال الامام بدوي الدين محمد بن عبد الله الزركشى : التفسير علم يعرف به فهم

كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه ، واستخراج احكامه وحكمه ، ثم قال بعد ذلك : واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة اسباب النزول والناسخ والمنسوخ^(٣).

قال صاحب ضاهل العرفان : التفسير فى الاصطلاح : علم يبحث فيه عن احوال القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية .

(١) الاتقان جـ ٤ ص ١٦٩ ، انظر البحر المحيط لأبى حيان جـ ١ ص ١٣ - ١٤

ط ١ سنة ١٣٢٨ هـ

(٢) ضياء التأويل فى معانى التنزيل لأبى محمد عبد الله بن محمد بن عثمان المطبق

بفوديبى بن عثمان بن صالح جـ ١ ص ٧

(٣) البرهان للزركشى تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط ١ جـ ١ ص ١٣ .

ثم قال : (والمراد بكلمة علم) المعارف التصورية . قال عبد الحكيم (على الطول) ان علم التفسير من قبيل التصورات لأن المقصود منه تصور معاني ألفاظ القرآن وذلك من قبيل التعاريف لكن أكثرها بل كلها من قبيل التعاريف اللفظية . وذهب السيد الى ان التفسير من قبيل التصديقات لانه يتضمن حكما على الالفاظ بأنها مفيدة لهذه المعاني التي تذكر بجانبها في التفسير .

(وخرج بقولنا) : يبحث فيه عن أحوال القرآن (العلوم الباحثة عن أحوال غيره) (وخرج بقولنا : من حيث دلالة على مراد الله تعالى) العلوم التي تبحث عن أحوال القرآن من جهة غير جهة دلالة ، كعلم القراءات فانه يبحث عن أحوال القرآن من حيث ضبط الفاظه وكيفية ادائها . ومثل علم الرسم العثماني فانه يبحث على أحوال القرآن الكريم من حيث كيفية كتابة الفاظه .

وخرج بهذه الحثية أيضا المعارف التي تبحث عن أحوال القرآن من حيث انسه مخلوق أو غير مخلوق ، فانها من علم الكلام ، وكذلك المعارف الباحثة عن أحوال القرآن من حيث حرمة قراءته على الجنب ونحوها ، فانها من علم الفقه .

(وقولنا بقدر الطاقة البشرية) لبيان انه لا يقدح في العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني المتشابهات ، ولا عدم العلم بمراد الله في الواقع ونفس الأمر .^(١)

وإذا امنا النظر في هذه التعريفات نجد أن تعريف الشيخ الزرقاني ينطبق على المعرف - وهو التفسير - وأما التعريفات التي سبقته قد أدخلت فيه علوم تعتبر مستقلة بذاتها مثل على التجويد والفقه وغيرها من العلوم .

(١) مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ج ١ ص ٤٧١ ط ٣

((الفرق بين التفسير والتأويل))

ويفرق المفسرون في هذا الصدد بين كلمتي التفسير والتأويل فقد سبق أن بينا معنى التفسير لغة واصطلاحاً .

وأما التأويل في اللغة : فهو مصدر أول يؤول تأويلاً ، وهو من آل الشيء الس كذا أي رجع إليه . فأنت ترى أن التأويل أصله في الحس اللغوي الأول الرجوع إلى الشيء ، وقد وردت هذه المادة أيضاً في القرآن في مواطن كثيرة ولم يستعمل منها إلا المصدر أيضاً مضافاً أو مفرداً ، وقد أدار القرآن استعمالها على أسس مختلفة فتارة يستعملها في تأويل الكلام أي المعاني كما في قوله تعالى ((هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات)) التي قوله ((وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم))^(١)

ويستعملها في تأويل الرؤى والاحلام كما في تأويل رؤيا يعقوب والملك في سورة يوسف مما تقوم فيه الأشخاص وحركاتها رمزا للمعاني المستترة وراءها ، أو في تأويل الأعمال كما في قصة موسى وفتاه .

والقرآن في استعماله لها كما رأينا يتحرى المواطن الدقيقة التي لا يظهر فيها المعنى إلا بأعمال الفكر واجالة النظر والتأمل الواضح للمعنى المعبر عنه . كما في آية التشابه ، والآيات الواردة في تأويل الأحاديث في سورة يوسف وغيرها .

(١) آل عمران ٧

(٢) نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن ص ٢٦

قال أبو عبيدة بن المثنى : التأويل : التفسير والمرجع والمصير^(١) . وقال أبو جعفر الطبري : " وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير وقد قيل أن قوله تعالى (وأحسن تأويلا) أي جزاء ، وذلك أن الجزاء هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه .^(٢)

فالتأويل في اللغة يراد به - اذن - " التفسير " كما يراد به " الرجوع والمصير " ان كان أحدهما مفاير للآخر - ان كان اشتقاق الكلمة يرجع - كما قلنا سابقا - أن يراد من التفسير ما يحتاج منه إلى النظر والفكر ليصبح معنى الرجوع .

التأويل في الاصطلاح : أما التأويل في الاصطلاح فهو عند السلف يطلق ويراد به معنيان أحدهما :- تفسير الكلام وبيان معناه سواء أوافق ظاهرة أم خالفه فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين وهذا هو ما عناه مجاهد من قوله (ان العلماء يملمون تأويله) يعنى القرآن ، وما يعنيه ابن جرير الطبري بقوله في تفسيره (القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا .) بقوله : أختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك فان مراد التفسير .

ثانيهما :
~~~~~

هو نفس المراد بالكلام فان كان الكلام طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وأن كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به وبين هذا المعنى والذي قبله فرق ظاهر فالذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام كالتفسير ، والشرح والايضاح ، ويكون وجود التأويل في القلب واللسان وله الوجود الذهني واللفظي والرسمي ، وأما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية .

١- مجاز القرآن ج ١ ص ٨٧ .

٢- تفسير الطبري ج ٣ ص ١٢٣ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ط ٢ .

أو مستقبلة فإذا قيل طلعت الشمس فتأويل هذا هو نفس طلوعها . . .<sup>(١)</sup>  
وهذا في نظر بعض العلماء هو لغة القرآن التي نزل بها ، وعلى هذا فيمكن ارجاع  
كل ما جاء في القرآن عن لفظ التأويل الى هذا المعنى الثاني .  
وأما التأويل عند التأخرين وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى  
الاحتمال المرجوح .

يقول رشيد رضا في تفسيره " المنار " ( فهذا الاصطلاح لم يكن بعد عرف في عهد  
الصحابة ، بل ولا التابعين ، بل ولا الائمة الاربعة ولا كان التكلم بهذا الاصطلاح  
مصروفاً في القرون الثلاثة بل ولا علمت أحداً فيهم خص لفظ التأويل بهذا<sup>(٢)</sup> .  
إذا فما هو الفرق الدقيق بين التفسير والتأويل :

أختلف العلماء في تحديد وبيان الفرق بين التفسير والتأويل وهناك أقوال عدة  
ذكرها السيوطي في كتابه الاتقان . . .  
قال أبو عبيدة وطائفة معه : التفسير والتأويل بمعنى واحد ، فهما مترادفان  
وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير . . .

قال الماوردي : " التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا والشهادة  
على الله انه عنى باللفظ هذا ، فان قام دليل مقطوع به فصحيح ، والا فتفسير  
بالرأى وهو المنهى عنه ، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة  
على الله<sup>(٣)</sup> . . .

قال ابو طال الثعلبي : التفسير بيان وضع اللفظ اما حقيقة او مجازا كتفسير

- 
- ١- التفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ١٧ ط ١ - ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
  - ٢- تفسير المنار ج ٣ ص ١٨١ ط ٣ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان . . .
  - ٣- الاتفاق في علوم القرآن ج ٢ ص ١٧٢ ط ٣ / ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م مطبعة مصطفى  
البابى والحلبى .

الصراط بالطريق ، والصيب بالمطر . والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذاً من الاول وهو الرهوع لمأقبة الأمر فالتأويل اخبار عن حقيقة المراد والتفسير اخبار عن دليل المراد لان اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل ، مثاله قوله تعالى ( أن ربك لبالمرصاد ) تفسيره أنه من الرصد . يقال رصدتـه رقبته ، والمرصاد مفعال منه وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله ، والغفلة عن الالهة والاستعداد للعرض عليه . وقواطع الأدلة تقتضى بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ فى اللفظة<sup>(١)</sup> قال البغوى ووافق الكواش : التأويل هو صرف الآية الى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط والتفسير . والكلام فى اسباب نزول الآية وشأنها وقصتها فلا يجوز الا بالسمع بعد ثبوته من طريق النقل .<sup>(٢)</sup>

وقال بعضهم : التفسير ما يتعلق بالرواية ، والتأويل ما يتعلق بالدراسة ونذهب البعض الى أن التفسير هو بيان المعانى التى تستفاد من وضع العبارة والتأويل هو بيان المعانى التى تستفاد بطريق الاشارة .<sup>(٣)</sup>

هذه هى معظم وأهم الأقوال فى الفرق بين التفسير والتأويل وقد أعرضنا عن أقوال أخرى مخافة الاطالة ، والذي نيل اليه من هذه الأقوال هو أن التفسير ما كان راجعاً الى الرواية ، والتأويل ما كان راجعاً الى الدراية وذلك لان التفسير معناه الكشف والبيان ، والكشف عن مراد الله تعالى لا نستطيع ان نجزم به الا اذا كان مصدره الوحي الالهى الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١- المصدر السابق والجزء والصفحة

٢- تفسير البغوى على هامش تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٨

٣- انظر التفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٢١

أو ما كان رواية عن الصحابة الذين شهدوا الوحي والتنزيل وصحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وعاشره ورجعوا اليه في كل ما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم .

أما التأويل فيلاحظ فيه الترجيح ، أي ترجيح أحد احتمالات اللفظ بالدليل والترجيح عادة يعتمد على أعمال العقل وكذا الذهن ، ويتوصل اليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في اللغة العربية ، لما كان بعض الألفاظ محتتملا لعدة معان فالوصول اذا الى المعنى المراد لا يكون مقطوعا به .

لقد قسم الراغب الاصفهاني " التأويل الى قسمين بقوله : التأويل نوعان مستكره ، ومنقاد ، فالستكره ما يستبشع اذا سير بالحجة ، ويستقيم بالتدليات المزخرفة المزوجة ، قال : وذلك على أربعة أنسب :

الأول : أن يكون لفظ عام فيخصص في معنى ما يوضح تحته نحو قوله تعالى " وأن تظاهر عليه فان الله هو مولاہ وجبريل وصالح المؤمنين حمله بعض الناس على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،

الثاني : أن يلفق بين اثنين نحو قول من زعم الحيوانات كلها مكلفة محتجا بقوله تعالى " وان من أمة الا خلا فيها نذير (٢) ، وقد قال تعالى " وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أم أمثالكم (٣) . فدل بقوله ( أم أمثالكم ) أنهم مكلفون كما نحن مكلفون .

ثالثا : ما أستمين فيه بخبر مزور أو كالمزور ، كقوله تعالى " يوم يكشف عن ساق (٤) قال بعضهم : عنى به الجارحة استدلا بحديث موضوع . .

( ٢ ) فاطر ٢٤

١- التحريم ٤

( ٤ ) القلم ٤٢

٣- الانعام ٣٨

الرابع : ما يستعان فيه باستمارات واشتقاقات بعيدة كما قال بعض الناس في البقرة  
انه يبقر عن أسرار العلوم ، وفي الهدى انه انسان موصوف بهجـودة  
البحث والتفكير .

وأما الغفاد من التأويل فهو ما لا يعرض فيه البشاعة المتقدمة ، وقد يقع  
الخلافاً فيه بين الراسخين في العلم ، اما الاشتراك في اللفظ او الامـر راجـع  
للى النظم . اما الغموض المعنى أو وحازة في اللفظ<sup>(١)</sup>.

---

( ١ ) مقدمة التفسير للراغب الاصفهاني . الملحق لكتاب تنزيه القرآن عن المطاعن

## ( الباب الاول )

— (( تفسير القرآن الكريم من عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى عهد التابعين )) —

البحث الأول :

هل فسر النبي صلى الله عليه وسلم جميع معاني القرآن لأصحابه ؟

قال الله تعالى في سورة النحل (( وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ))<sup>(١)</sup> ، فهل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه القرآن كله أفراداً وتركيباً ، وما يتبع ذلك من بيان الأحكام ، أو أنه بين لهم بعضه وسكت عن بعضه الآخر ؟ ثم على أى وجه كان هذا البيان من الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ؟ وللجواب عن هذه التساؤلات نقول :

لقد اختلف العلماء في المقدار الذى فسره النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن لأصحابه ، فمنهم من يرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه كل معانى القرآن كما بين لهم الفاظه ، وعلى رأس هؤلاء شيخ الاسلام ابن تيمية حيث يقول فى كتابه ( مقدمة فى اصول التفسير ) يجب أن يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم الفاظه ، فقوله تعالى (( لتبين للناس ما نزل اليهم )) يتناول هذا وهذا<sup>(٢)</sup> .

ومنهم من ذهب الى القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين لأصحابه

من معانى القرآن الا القليل وعلى رأس هؤلاء الخويى والسيوطى .

(١) سورة النحل ٤٤

(٢) مقدمة أصول التفسير لابن تيمية تحقيق دكتور عدنان زرزور ص ٣٥ طبعة دار القرآن

الكريم بالكويست .

قال الخويى : علم التفسير عسر يسير أما عسره فظاهر من وجوه اظهرها أنه كلام متكلم لم تصل الناس الى مراده بالسمع منه ولا امكان الوصول اليه بخلاف الأمثال والاشعار ونحوها ، فان الانسان يمكن علمه منه اذا تكلم بأن يسمع منه أو ممن سمع منه ، وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم الا بأن يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك متعذر الا فى آيات قلائل . (١) . الخ .

وأما السيوطى فقد قال بعدما سرد قول الامام الزركشى بأن ما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم من التفسير كثير جدا ، قال السيوطى : قلت : الذى صح من ذلك قليل جدا ، بل أصل المرفوع منه فى غاية القلة . (٢)

هذا وقد استدل كل فريق على ما ذهب اليه بأدلة نورد ها ليتضح لنا الحق ويظهر الصواب .

ادلة من قال بأن النبى صلى الله عليه وسلم فسر جميع معانى القرآن :

أولا : قوله تعالى (( وأنزل اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون )) (٣)

والبيان فى الآية يتناول بيان معانى القرآن ، كما يتناول بيان الفاظه وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم الفاظه كلها ، فلا بد ان يكون قد بين كل معانيه أيضا ، والا كان مقصرا فى البيان الذى كلف به من الله .

ثانيا : ما روى عن ابى عبد الرحمن السلمى أنه قال " حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن . كعثمان بن عفان . وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما : انهم

كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل

(١) الاتقان للسيوطى تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ج ٤ ص ١٩٦ - ١٩٧

مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٢٥ م .

(٢) المصدر السابق والجزء ص ٢٠٨

(٣) سورة النحل ٤٤



جميعاً " ولهذا كانوا يبقون مدة طويلة في حفظ السورة الواحدة وقد ذكر الامام مالك في الموطأ : ان ابن عمر أقام على حفظ الآية ثمان سنوات والذي حمل الصحابة على هذا ما جاء في كتاب الله تعالى من قوله " كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته" (١) وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن ، وقوله (( انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون )) (٢) وعقل الكلام متضمن لفهمه ، ومن المعلوم ان كل كلام يقصد منه فهم معانيه دون مجرد الفاظه والقرآن أولى بذلك من غيره .

فهذه الآثار تدل على ان الصحابة تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم معاني القرآن كلها كما تعلموا الفاظه .

ثالثا : قالوا ان العادة تمنع ان يقرأ قوم كتابا في فن من فنون العلم كالطب أو الحساب ولا يستشرحوه فكيف بكتاب الله الذي فيه عصمتهم وهدى نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

رابعا : ما أخرجه الامام أحمد وابن ماجه عن عمر رضي الله عنه انه قال : من آخر ما نزل آية الريا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل ان يفسرها وهذا يدل بالفحوى على أنه كان يفسر لهم كل ما نزل ، وانه انما لم يفسر هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها ، والا لم يكن للتخصيص بها وجه . (٣)

(١) ص ٢٩

(٢) سورة يوسف ٢

(٣) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ج ١ ص ٤٩ - ٥٠

انظر مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية تحقيق الدكتور عدنان زرزور ص ٣٥ - ٣٧

وأما من قال بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفسر لأصحابه الا القليل من معانى القرآن استدلال بما يأتي :-

أولا : ما أخرجه الهزار عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن الا آيا بعدد ، علمه اياهن جبريل .

ثانيا : قال : ان بيان النبي صلى الله عليه وسلم لكل معانى القرآن متعذرو ولا يمكن ذلك الا فى أى قلائل ، والعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل ، ولم يأمر الله نبيه بالتنصيص على المراد فى جميع آياته لاجل ان يتفكر عباده فى كتابه

ثالثا : قال : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه كل معانى القرآن لما كان لتخصيصه ابن عباس بالدعاء له بقوله (( اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل )) فائدة ، لأنه يلزم من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه كل معانى القرآن استواؤهم فى معرفة تأويله ، فكيف يخصص ابن عباس بهذا الدعاء .<sup>(١)</sup>

(١) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى ج ١ ص ٥١

— ( مناقشة هذه الأدلة ) —

مناقشة أدلة الفريق الأول :

وقد نوقش دليل ابن تيمية ومن معه بالآية الكريمة ، بأنه استدلال غير واضح لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بمقتضى كونه مأمورا بالبيان كان يبين لهم ما أشكل عليهم ففهمه من القرآن ، لا كل معانيه ما أشكل منها وما لم يشكل ، وأما استدلالهم بما روى عن عثمان وابن مسعود وغيرهما من أنهم كانوا اذا - تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات من القرآن لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها ، فهو استدلال لا ينتج المدعى ، لأن غاية ما يفيد ، أنهم كانوا لا يجاوزون ما تعلموه من القرآن حتى يفهموا المراد منه ، وهو اعم من أن يفهموه من النسيب صلى الله عليه وسلم أو من غيره من اخوانهم الصحابة ، أو من تلقاؤهم انفسهم ، حسبما يفتح الله به عليهم من النظر والاجتهاد .

وأما الدليل الثالث : فكل ما يدل عليه هو أن الصحابة كانوا يفهمون القرآن ويعرفون معانيه شأن أى كتاب يقرؤه قوم ، ولكن لا يلزم منه أن يكونوا قد رجعوا الى النهى صلى الله عليه وسلم فى كل لفظ منه .

وأما الدليل الرابع : فلا يدل كذلك على ما ذهبوا اليه ، لأن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبين لهم آية الربا لا تدل على أنه كان يبين لهم ككل معانى القرآن ، فلعل هذه الآية كانت مما أشكل على الصحابة ، فكان لابد من الرجوع فيها الى النبي صلى الله عليه وسلم ، شأن غيرها مما يشكل عليهم فهمه من القرآن .

مناقشة أدلة الفريق الثانى :

وقد نوقش دليلهم بحديث عائشة بأنه استدلال غير ناهض لأنه لو فرض صحة الحديث

فهو محمول على تفسير ما لا يدرك علمه الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك  
تفصيل مجمل ما فى آية من أمر الله ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وحدوده وفرائضه  
وسائر معانى شرائع دينه ، الذى هو مجمل فى ظاهر التنزيل ، وبالعباد الذى  
تفسيره الحاجة ، لا يدرك علم تفسيره الا ببيان من عند الله على لسان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، وما اشبه ذلك مما تحويه آيات القرآن ، من سائر حكمه ، الذى  
جعل الله بيانه لخلقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يعلم أحد من خلق  
الله تفسير ذلك ، الا ببيان الرسول عليه السلام ، ولا يعلمه الرسول عليه الصلاة  
والسلام الا بتعليم الله اياه ذلك ، بوحيه اليه اما مع جبريل أو مع من شاء من رسله  
اليه ، فذلك هو الآيات التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسرها لأصحابه  
بتعليم جبريل اياه ، وهو لاشك آيات ذوات عدد ، ثم ومن آيات القرآن ما استأثر  
الله بعلم تفسيره ، فلم يطالع على علمه ملكا مقربا ، ولا نبيا مرسلا ، ولكنهم يؤمنون  
بأنه من عنده ، وأنه لا يعلم تأويله الا الله ، فأما ما لابد للعباد من علم تفسيره  
فقد بين لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم ببيان الله ذلك له ، بوحيه مع جبريل ، وذلك  
هو المعنى الذى أمره الله ببيانه لهم فقال تعالى (( وأنزلنا اليك الذكر لتبين  
للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون )) .

قال الامام الطبرى : ولو كان تفسير الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أنه كان لا يفسر من القرآن شيئا الا آيا تعدد هو ما يسبق اليه أو هام أهل هذا القول  
من أنه لم يكن يفسر من القرآن الا القليل من آياته ، واليسير من حروفه ، كـ  
انما أنزل اليه صلى الله عليه وسلم الذكر ليترك للناس بيان ما أنزل اليه لا ليبين  
لهم ما أنزل اليهم ، وفى أمر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ببلاغ  
ما أنزل اليه واعلامه اياه ، انه انما نزل اليه ما أنزل ليبين للناس ما نزل اليهم  
وقيام الحجة على ان النبى صلى الله عليه وسلم قد بلغ فأدى ما أمره الله ببلاغه وادائه

على ما أمره به ، كل هذا ينبىء عن خطأ من ظن ان معنى الخبر الذى ذكره عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئاً الا آياً تعد هو أنه لم يكن يبين لأُمَّته من تفسيره الا اليسير القليل منه ، هذا مع ما فى الخبر الذى روى عن عائشة من العلة التى فى اسناده التى لا يجوز معها الاحتجاج به ، لأنه من رواية محمد بن جعفر الزبيرى ، وهو ممن لا يعرف فى أهل الأئمة<sup>(١)</sup> لقد قال عنه البخارى ؛ لا يتابع فى حديثه ، وقال الحافظ ابو الفتح الأزدى ؛ منكر الحديث<sup>(٢)</sup> .

وأما استدلالهم بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس لا ينهض دليلاً لأنه لا يلزم من بيان الرسول صلى الله عليه وسلم جميع معانى القرآن ان يعيها كل من سمعها او بلغته ، حتى يقال لو بين الرسول صلى الله عليه وسلم لم ييسق لدعائه لابن عباس فى فهم القرآن معنى او فائدة .

والمحاضر بين صفوف الطلاب قد يشرح الدرس ويبين المعانى ولا يفهم ذلك منه ولا يعيها الا من فتح الله عليه .

---

(١) تفسير الطبرى تحقيق محمود محمد شاكر جـ ١ ص ٨٢ - ٨٩ دار المعارف المصرية  
 (٢) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي جـ ١ ص ٥٢ ط ١ مطبعة دار الكتب  
 الحديثية بمصر .

(( رأينا في هذا الموضوع ))

والذى نراه في هذا الموضوع هو التوسط بين الرأيين : فقد كان الصحابة الذين نزل القرآن بلغتهم كانوا يفهمون منه ما يفهمون مسترشدين بما في لغتهم من أساليب الأدب وأحكام التعبير ، وكانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم فى الأمور التى يفتقون عندها ولا يعرفون معناها فكان يوضح لهم الكلمات ، ويشرح لهم المعنى وبذلك بين لهم الكثير من معانى القرآن ، كما تشهد بذلك كتب الصحاح لقد روى البخارى فى باب التفسير عند قوله تعالى ( وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود . . . )<sup>(١)</sup> الآية . ان عدى بن خاتم اخذ عقالا أبيض وعقالا أسود ، حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبينها فلما أصبح قال : يا رسول الله جعلت تحت وصادتى عقالين ، قال : " ان وصادك اذا لعريض ان كان الخيط الأبيض والاسود تحت وصادتك " وفى رواية أخرى عنه قال : قلت : يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهما الخيطان ؟ قال : " انك لعريض القفا ان ابصرت الخيطين ثم قال : " لابل هو سواد الليل وبياض النهار<sup>(٢)</sup>

وأخرج أحمد والترمذى والحاكم وصحاه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا )<sup>(٣)</sup> قال عدلا<sup>(٤)</sup> .

وأخرج أحمد وغيره عن أبى رزين الأسدى قال : قال رجل يا رسول الله

(١) سورة البقرة ١٨٢

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ ٨ ص ١٨٢

(٣) سورة البقرة ١٤٣

(٤) الاتقان للسيوطى تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم جـ ٤ ص ٢١٥

أرأيت قول الله ( الطلاق مرتان <sup>(١)</sup> ) فأين الثالثة ؟

قال : التسريح باحسان الثالثة <sup>(٢)</sup> . وأخرج أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن

سمود قال : لما نزلت هذه الآية ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بالظلم <sup>(٣)</sup> )

شق ذلك على الناس فقالوا : يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه ؟ قال : انه ليس

الذى تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ( ان الشرك لظلم عظيم <sup>(٤)</sup> ) انما

هو الشرك <sup>(٥)</sup> .

وإذا رجعنا كتب الحديث المشهورة الموثوقة كصحيح البخارى وصحيح مسلم

وغيرهما نجد أنها تحتوى أبوابها كاملة من الاحاديث النبوية التى تفسر القرآن الكريم

وقد عرض الامام السيوطى فى كتابه ( الاتقان ) صفحات عديدة منها تفسير مختلف

جوانب الايات الكريمة <sup>(٦)</sup> .

ورغم هذا كله لا ينكر المحقق الباحث عن الحقيقة ان الرسول صلى الله عليه

وسلم لم يبين جميع معانى القرآن افراداً وتركيباً ، لان من القرآن ما استأثر الله

تعالى بعلمه ومنه ما يعلمه العلماء\* ، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ، ومنه

ما لا يقدر أحد بجهالته . .

(١) سورة البقرة ٢٢٩

(٢) الاتقان ج ٤ ص ٢١٦

(٣) سورة الانعام ٨٢

(٤) لقمان ١٣

(٥) الاتقان ج ٤ ص ٢٢٢ انظر فتح البارى ج ٨ ص ٢٩٤ فى باب ( ولم يلبسوا

إيمانهم بظلم )

(٦) انظر الاتقان تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ج ٤ ص ٢١٤ - ٢٥٧ .

كما صرح بذلك ابن عباس فيما رواه عنه ابن جرير قال : ( التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير تعرفه العلماء ، وتفسير لا يعلمه الا الله<sup>(١)</sup> .

وبدهى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسر لهم ما يرجع فهمه الى معرفة كلام العرب لأن القرآن نزل بلفتهم - كما قلنا سابقا - كذلك لم يفسر لهم ما تتبادر الألفهام الى معرفته وهو الذى لا يعذر أحد بجهله ، لانه لا يحفى على أحد ولم يفسر لهم كذلك ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة ، وحقيقة الروح ، ووقوت النفخ فى الصور ، ونزول عيسى بن مريم ، وما أشبه ذلك من كل ما يجرى مجرى الغيوب التى لم يطلع الله عليها نبيه ، وإنما فسر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المفاهيم التى اخفاها الله عنهم وأطلعهم عليها وأمره ببيانها لهم كما أخبره صلى الله عليه وسلم عما شاهدته فى الجنة والنار ليلة الاسراء وفسر لهم أيضا كثيرا مما يندرج تحت القسم الثالث ، وهو ما يعلمه العلماء ويرجع الى أجتهد هم كبيان المجهول ، وتخصيص العام ، وتوضيح المشكل وما الى ذلك من كل ما خفى معناه والتبس المراديه .

وأن مما يؤيد ما ذهبنا اليه من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسر جميع معانى القرآن هو أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وقع بينهم اختلاف فى تفسير بعض الآيات ، ولو كان عندهم فيه نص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع هذا الاختلاف أو لا يرتفع بعد الوقوف على النص .

ومن أمثلة هذا الاختلاف ما روى من أن عمر بن الخطاب استعمل قدامه ابن مظلوم على البحرين ، فقدم الجارود على عمر فقال : أن قدامة شرب فسكر

( ١ ) تفسير الطبري ج ١ ص ٣٤ ط ٣



فقال عمر : من يشهد على ما تقول ؟ قال الجارود : أبو هريرة يشهد على ما أقول .  
فقال عمر : يا قدامة انى جالدك ، قال : والله لو شريت كما يقول ما كان لك أن  
تجلدنى ، قال عمر : ولم ؟ قال : لأن الله يقول " ليس على الذين آمنوا وعطوا  
الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات ، ثم اتقوا  
وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا<sup>(١)</sup> . فأنا من الذين آمنوا وعلوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ،  
ثم اتقوا واحسنوا ، شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ، وأهدى ،  
والخندق ، والمشاهد فقال عمر : ألا تردون عليه قوله ؟ فقال ابن عباس :  
ان هذه الآيات نزلت عذرا للماضين وحجة على الباقين ، لأن الله يقول " يا أيها  
الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس ، من عمل الشيطان<sup>(٢)</sup>  
قال عمر : صدقت .

وهذا المثال يدل على اختلاف فهم قدامة عن فهم ابن عباس . .

#### والمثال الثانى :

مارواه البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : وكان  
عمريد خلنى مع اشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد فى نفسه فقال : لم تدخل هذا  
معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : أنه من حيث علمتم . فدعاه ذات يوم فأدخله  
مصهم فما رثيت أنه دعانى يومئذ الا ليريهم قال : ما تقولون فى قوله تعالى  
" اذا جاء نصر الله والفتح " فقال بعضهم : أمرنا نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا  
وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى : أكذاك تقول يا ابن عباس

( ١ ) المائدة ٩٣

( ٢ ) المائدة ٩٠

فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له ، قال : اذا جاء نصر الله والفتح - وذلك علامة أجلك - فسبح بحمدي ربك واستغفره انه كان توابا . فقال عمر : ما أعلم منها الا ما تقول (١) .

وهذا يدل كذلك على اختلاف فهم ابن عباس وعمر وفهم بعض الصحابة الذين فسروا الآية بغير ما فسر بها ابن عباس ، كما يدل في الوقت ذاته على أن الرسول عليه السلام لم يفسر لهم جميع معاني القرآن ، لانه لا يمكن ان يكون هذا الاختلاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما يكون بسبب اختلاف فهمهم في الآية . .

---

( ١ ) فتح البار شرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٣٤ - ٢٣٥ . .

بعض تفسير الايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم

وان قد انتهى بنا القول فيما أردناه من هذا الموضوع من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الكثير من معاني القرآن لأصحابه كما تشهد بذلك كتب الصحاح ، وقررنا كذلك بأنه عليه الصلاة والسلام لم يبين جميع معاني القرآن افراداً وتركيباً . لأن في القرآن كما قلنا سابقاً - ما أستاثر الله تعالى بعلمه ، فلنختتم هذا الموضوع ببعض ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من التفاسير المصرحة برفعها اليه .

لقد أخرج الامام البخارى عند قوله تعالى " وان قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا ، وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين " (١) .

يقول الامام البخارى : حدثني محمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " قيل لنبي اسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على أستاههم فيدلوا ، وقالوا حطة حبة في شجرة .. " (٢)

وأخرج الترمذي وغيره عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ويل واد في جهنم ، يهوى فيه الكافر اربعين خريفاً قبل ان يبلغ قصره " (٤) .

وعند قوله تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

١- البقرة ٥٨

٢- فتح الباري شرح صحيح البخارى ج ٨ ص ١٦٤ .

٣- أى اربعين سنة - انظر النهاية لابن الاكبر ج ٢ ص ٢٤ .

٤- الاتقان ج ٤ ص ٢١٥ .

ويكون الرسول عليكم شهيدا<sup>(١)</sup> . أخرج الامام البخارى عن أبى سميد . .  
 الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدعى نوح يوم  
 القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب ، فيقول : هل بلغت ؟ فيقول  
 نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون ما أتانا من نذير ، فيقول  
 محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيدا فذلك  
 قوله جل ذكره : وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس  
 ويكون الرسول عليكم شهيدا . . والوسط : العدل<sup>(٢)</sup> .

وأخرج أحمد وغيره عن أبى رزين الاسدى قال : قال رجل :  
 يا رسول الله أرأيت قول الله " الطلاق مرتان " وأين الثالثة قال :  
 التسريح باحسان الثالثة<sup>(٣)</sup> .

وأخرج أحمد والترمذى وصححه عن سمرة ، ان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قال : صلاة الوسطى . صلاة العصر<sup>(٤)</sup> .

وعند قوله تعالى " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض  
 من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل " <sup>(٥)</sup>  
 أخرج الامام البخارى عن الشعبى عن عدى رضى الله عنه قال :

١- البقرة ١٤٣ . .

٢- فتح البارى ج ٨ ص ١٧١ - ١٧٢ . .

٣- الاتقان ج ٤ ص ٢١٦ . .

٤- المصدر السابق ج ٤ ص ٢١٧ . .

٥- البقرة ١٨٧ . .

أخذ عدى عقالا أبيض وعقالا أسود ، حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبينــــــــــــــــا .  
 فلما أصبح قال : يا رسول الله ، جعلت تحت وسادى قال : ان وسادك اذا العريض  
 ان كان الخيط الأبيض والاسود تحت وسادتك " وفى رواية أخرى عنه قال : " قلت  
 يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الاسود أهما الخيطان ؟ قال : <sup>(١)</sup> أنتك  
 لعريض القفا أن أبصرت الخيطين ، ثم قال : لا بل هو سواد الليل وبيــــــــــــــــاض  
 النهار" <sup>(١)</sup>.

وأخرج الحاكم وصححه - عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل  
 عن قوله تعالى : " من استطاع اليه سبيلا " <sup>(٢)</sup> ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة <sup>(٣)</sup>.  
 وأخرج مسلم فى صحيحة ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال عند قوله تعالى  
 " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " الا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي <sup>(٤)</sup> .  
 هذا بعض من الآيات التى فسرها النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته  
 فكيف كان موقف الصحابة بالنسبة لتفسير القرآن الكريم بعد رفع الرسول عليه السلام  
 الى الرفيق الاعلى وهذا ما سنحاول الاجابة عنه فى البحث التالى :

( ١ ) فتح البارى ج ٨ ص ١٨٢ .

( ٢ ) آل عمران ٩٧ .

( ٣ ) الاتقان ج ٤ ص ٢١٨ .

( ٤ ) صحيح مسلم ج ٦ ص ٥٢ - مطبعة محمد على صبيح وأولادة بالا زهر .

## المبحث الثاني

جهود الصحابة في التفسير : مصدرها ومداهها

كان القرآن هو المرجع الأول للمسلمين في ذلك العصر أيضا يقرؤونه فـلى ويرتلونه صلاتهم في قيام ليلهم ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله تعالى ، ولم يتيسر لهم أخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعوا في ذلك إلى اجتهادهم واعمال رأيهم ويساعد هم على التفسير ، أنهم عرب خلص يعرفون معاني اللغة وأسرارها ، وأنهم عاشوا فترة نزول الوحي مع النبي فمرفوا أسباب النزول وأدركوا ما أحاط بالقرآن من ظروف وملايسات ثمسين على فهم كثير من الايات . .

غير أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا متفاوتين في قدرتهم على تفسير القرآن حسب اختلافهم في ادوات الفهم وذلك :

١- أنهم كانوا يعرفون العربية على تفاوت بينهم وان كانت العربية لغتهم فمنهم من كان يعرف كثيرا من الأدب الجاهلي ، ويعرف عربية ويستعين بذلك في فهم مفردات القرآن ، ومنهم من كان دون ذلك .

٢- كذلك منهم من كان يلزم النبي صلى الله عليه وسلم ويقوم بجانبه ويشاهد الأسباب التي دعت إلى نزول الآية ، ومنهم من ليس كذلك ومعرفة أسباب النزول من أكبر ما يعين على فهم المقصود من الآية والجهل بها قد يوقع في الخطأ .

٣- كذلك اختلافهم في معرفة عادات العرب في أقوالهم وأفعالهم فمن عرف عادات العرب في الجاهلية استطاع مثلا أن يفهم آيات الحج أكثر من لم يعرف

وكذلك التثديد بمعبودات العرب وطريقة عبادتهم لا يكمل فهمها الا لمن عسرف  
 ماذا كانوا يفعلون . .

ومثل هذا معرفة ما كان يفعله اليهود والنصارى فى جزيرة العرب وقت نزول  
 الآيات ففيها إشارة الى أعمالهم ، ورد عليهم وهذا لا يتم فهمه على الوجه الأكمل  
 الا بمعرفة ما كانوا يفعلون ، من ذلك ونحوه كان الاختلاف بين الصحابة فى فهم  
 معانى القرآن الكريم . .

هذا بخلاف ما ادعاه ابن خلدون فى مقدمته بقوله " ان القرآن نزل بلفظة  
 العرب وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه فى مفرداته  
 وتركيبه " (١) وما أشار اليه أبو عبيدة فى مقدمة مجازة بأن القرآن نزل بلسان عربى مبين  
 فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه أن يسألوا عن معانيه ، لانهم كانوا عرب  
 الألسن فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه وعما فيه مما فى كلام العرب مثله  
 من الوجوه والتلخيص ، وفى القرآن مثل ما فى الكلام العربى من وجوه الاعراب  
 ومن الغريب والمعانى (٢) .

وهذا القول بأنهم كلهم يفهمونه فيه تعميم واسع لم يطمئن اليه الا قدمون  
 أنفسهم فهذا بن قتيبة ، قبل ابن خلدون ببضعة من القرون يقول فى رسالته  
 المسائل والأجوبة " ان العرب لا تستوى فى المعرفة بجميع ما فى القرآن من الغريب  
 والمتشابه بل ان بعضها يفضل فى ذلك على بعض (٣) . .

١- انظر مقدمة ابن خلدون ص ٣٦٦ .

٢- انظر دراسات القرآن للدكتور السيد أحمد خليل ص ٧٥ - دار المعارف بمصر

٣- انظر دائرة المعارف الاسلامية عند مادة ( تفسير ) تعليق استاذ أمين الخولى

نعم أن الأمر كما قال ابن قتيبة ، لأنه ليس كل كتاب مؤلف بلغة يستطيع كل أهل تلك اللغة أن يفهموه ، ومقرؤوه ، فكمن كتاب انجليزى أو فرنسى لا يستطيع بعض الانجليزيين أو الفرنسيين قراءتها أو فهمها . ان فهم كتاب لا يتطلب معرفة اللغة وحدها ، وانما يتطلب درجة عقلية خاصة تتفق ودرجة رقى الكتاب وهكذا كان شأن العرب امام القرآن ، والا مثله أكثر من أن تحصن على غموض بعض الفاظ القرآن وتراكيبه على الصحابة وأضطرارهم أن يعودوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسؤال أو يقتصروا على التلاوة دون أن يعتمدوا الى التكلف أو التنطع .<sup>(١)</sup>

لا شك ان الصحابة كانوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أقدر الناس على فهم القرآن الكريم لأنه نزل بلغتهم ، ولأنهم شاهدوا الظروف والأحوال التى نزل فيها ، ومع هذا فقد كانوا - رضوان الله عليهم - متفاوتين فى العلم بمعانى القرآن ، حتى لقد توقف بعضهم فى فهم معانى غريب القرآن - كما بينا سابقا - فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخليفة الثانى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى عنه أنه كان على المنبر فقرأ قوله تعالى " أو يأخذهم على تخوف"<sup>(٢)</sup> وتساءل عن معنى ( التخوف ) فقال رجل من هذيل : التخوف عندنا التنقص ، ثم أنشده : تخوف الرجل منها تامكا فردا . . كما تخوف عود النعمة السفن .<sup>(٣)</sup>

وأخرج أبو عبيدة من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : كنت لا أدرى ما

١- التعمير الفنى فى القرآن للدكتور بكرى شيخ أمين بالتصرف ص ٩٩

٢- التحل ٤٧

٣- الموافقات لشاطبى ج ٢ ص ١٥٠ يراجع.



فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرته يقول أنا أبتدأتها .<sup>(١)</sup> فان كان عمر بن الخطاب يخفى عليه معنى التخوف وابن عباس - وهو ترجمان القرآن لا يظهر له معنى فاطر الا بلمع سماعها من غيره فكيف شأن غيرهما من الصحابة .

ومما يؤكد ما ذهبنا اليه ما أخرجه البخاري في صحيحة في باب فضل الجهاد والسير بسنده الى أبي جحيفة رضى الله عنه أنه قال : قلت لعلى رضى الله عنه هل عندكم شيء من الوحي الا ما في كتاب الله ؟ قال : لا . والذي خلق الحبة ورأى النسمة ما أعلمه الا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن .<sup>(٢)</sup>

ولقد دقت بعض اشارات القرآن الكريم على كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلحظها الا القليل منهم ، من ذلك ما روى من أن الصحابة فرحوا حينما نزل قول الله تعالى " اليوم أكملت لكم دينكم . . . " الآية ، لظنهم أنها مجرد اخبار وبشرى بكمال الدين . ولكن عمر بن الخطاب وقال : ما بعد الكمال الا النقص مستشعرا نعى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كان مصيبا في ذلك ان لم يمش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها الا واحد وثمانين يوما . . .<sup>(٤)</sup>

وقد ذكرنا قبل قليل ما رواه الامام البخاري في صحيحة عما حصل بين ابن عباس وبعض الصحابة في تفسير قوله تعالى " اذا جاء نصر الله والفتح . . . " الآية . . . وما

١- الاتقان ج ١ ص ١١٣

٢- صحيح البخاري ج ٤ ص ٣٠

٣- المائدة ٣ .

٤- الموفقات لشاطبي ج ٣ ص ٢٠٥ .

يقطع الخلاف في هذا الموضوع ما قاله مسروق : " جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالأخا<sup>(١)</sup>ذ يروى الرجل والأخا<sup>(١)</sup>ذ يزوى الرجلين والأخا<sup>(١)</sup>ذ يروى العشرة ، والأخا<sup>(١)</sup>ذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم ، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الأخا<sup>(٢)</sup>ذ .

---

( ١ ) الأخاذة والأخا<sup>(١)</sup>ذ بغيرها ، مجمع المأء شبهه بالندير وجمع الأخا<sup>(١)</sup>ذ أخذ كتاب وكتب - انظر معجم مقاييس اللغة لابي الحسين أخند بن فارس زكريا تحقيق عبد السلام محمد هارون ج- ١ ص ٦٨ ط ١ سنة ١٣٦٦ هـ بمصر .

( ٢ ) طبقات ابن سعد ج- ٢ ص ١٠٥ .

(( المشهورون من الصحابة في التفسير ))

وقبل أن نبدأ بذكر أشهر الصحابة في التفسير نريد أن نقرر بأن كثيراً من سنن الصحابة كانوا يحفظون القرآن كله حتى في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم خلاف ما ادعاه الدكتور بكرى أمين في كتابه ( التعبير الفني في القرآن ) حيث قال : " ولم يكن شائعا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حفظ القرآن جميعه كما شاع بعده ، إنما كانوا يحفظون السورة ، أو جملة آيات ، ويفهمون معانيها فإذا حدقوا ذلك انتقلوا الى غيرها ، فكان حفظ القرآن موزعا على الصحابة<sup>(١)</sup> هذا وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - قد أحلوا القرآن في المحل الأول من نفوسهم وأنزلوه المنزلة اللائقة به يتنافسون في حفظ لفظه ويتسابقون في فهمه معناه ، وجعلوه تمهدا لهم في ليلهم وساعاتهم في فراغهم وصاحبهم في أسفارهم وأنيسهم في وحدتهم وصديقهم الصدوق في منشطهم ومكروههم ، ومستشارهم الأمين في شؤون دينهم ودنياهم وما ظنك بكتاب يمتدنون - وحق لهم ذلك - أن تلاوته عبادة ، والاستغلال به من أعظم القربات الى الله ، وإن عزهم لن يكون الا به وسعادتهم في الدنيا والاخرة لن يتحقق الا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه نعم ، صحيحا كان الصحابة متفاوتين في الحفظ قلة وكثرة واتقاناً وتجويداً كما كانوا متفاوتين في فهم معانيه ، فمنهم من كان يحفظ كله ، ومنهم من كان يحفظ جملة ، ومنهم من كان يحفظ بعضه ، ومنهم من كان يحفظ السور تقل وتكثر الا أنه ما لا ينبغي أن يشك فيه هو أن القرآن كله كان محفوظا عند الكثيرين منهم قبل أن يقبض الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويلحق بالرفيق الأعلى ، لأنه عليه

١- التعبير الفني في القرآن ص ١٠٠ .

الصلاة والسلام كان اذا نزلت الآية أو الاياتان او السورة يقرأها على أصحابها  
ويحفظهم اياها ، ويفقههم فيها ويبين لهم طريقة آدائها وآداب تلاوتها ،  
كى يحفظوا اللفظ ويفقهوا المعنى ، ويلتزموا ما نزل عملا وسلوكا ويستقيموا عليه  
وقد اشتهر بحفظ القرآن الكريم من الصحابة عثمان بن عفان وقد روى أنه يختتم  
القرآن فى ركعة يحيى بها ليلة .<sup>(١)</sup>

وهذا زيد بن ثابت رضى الله عنه قد حفظ القرآن كله ووغاه فى حياة  
الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر ذلك القرطبى فى مقدمة تفسيره عن أبى  
بكر الأنبارى عند ذكر سبب اختيار زيد وايثاره على غيره . كأبى مسعود . فى جمع  
القرآن ونسخه وقال :

قال ابو بكر الانبارى : ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبى بكر وعمر وعثمان  
على عبد الله ابن مسعود فى جمع القرآن ، وعبد الله أفضل من زيد ، وأقدم  
فى الاسلام ، وأكثر سوابق ، وأعظم فضائل ، الا لأن زيدا كان أحفظ للقرآن  
من عبد الله ، ان وعاه كله ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى ، والذى حفظ  
منه عبد الله فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم نيف وسبعون سورة ، ثم تعلم  
الهاقى بعمد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالذى ختم القرآن وحفظه ورسول  
الله صلى الله عليه وسلم حى أولى بجمع المصحف وأحق بالايتار والاختيار .<sup>(٢)</sup>

وأما التفسير فقد اشتهر من مفسرى الصحابة عشرة ونرى أن ترتيبهم حسب  
أهميتهم فى التفسير وكثرة ممارستهم له : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود

١- المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد أبوشهبة ص ٤٠٥ ط ٢٠٠٢ .

٢- تفسير القرطبى ج ١ ص ٣٥٣ ط ٣ عن طبعة دار الكتب المصرية دار القلم

علي بن ابي طالب ، ابي بن كعب ، ابو بكر الصديق ، عمر بن الخطاب ،  
عثمان بن عفان ، زيد بن ثابت ، أبو موسى الأشعري ، عبد الله بن الزبير .<sup>(١)</sup>

ويختلف هؤلاء في كثرة تفسيرهم وقلته اختلافا واضحا ، فأكثرهم اشتغالا  
بالتفسير هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي كان يلقب بحبر الامة وترجمان  
القرآن .

ولد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنوات وتوفي بالطائف سنة ٦٨ هـ ولقد برع  
في ميادين شتى من ميادين العلم والمعرفة ، فقد كان بارعا في الفقه ، مجليا  
في التأويل والتفسير ، محلقا في الآداب والشعر واللغة ، حتى كان مرجع  
الناس في ذلك كله ، وموئل العلماء فيما يحتاجون اليه من هذه العلوم .

قال أبو صالح : لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به  
لكان لها الفخر ، لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابيه حتى ضاق بهم الطريق  
فما كان أحد يقدر أن يجس ولا أن يذهب ، قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم  
على بابيه ، فقال لي : ضع لي وضوءا ، قال : فتوضأ وجلس وقال : أخرج فقل  
لهم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل ، قال  
فخرجت فآذنتهم فدخلوا ، حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء الا أخبرهم  
عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ، ثم قال : اخوانكم ، فخرجوا ثم قال : أخرج  
فقل : من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل ، قال : فخرجت  
فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوا عن شيء الا أخبرهم وزادهم

١- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير لمحمد الصباغ ص ١٣٢ .

٢- أنظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٤١ - دار احياء التراث العربي .

مثل ما سألو أو أكثر ، ثم قال أخرج فقل من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقهاء فليدخل ، قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال أخوانكم فخرجوا ، ثم قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : أخوانكم فخرجوا ، ثم قال : أخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم قال : أخوانكم فخرجوا قال أبو صالح : فلو أن قريشا فخرت بذلك لكان فخرا ، فما رأيت هذا لأحد من الناس<sup>(١)</sup>.

وقال عمرو بن دينار في ابن عباس : ما رأيت مجلسا أجمع لخير من مجلسه الحلال والحرام . وتفسير القرآن ، والعربية والشعر والطعام<sup>(٢)</sup>.

وقال عبد الله بن عتبة : كان ابن عباس قد فاق الناس بخصال : بملم ما سبق اليه وفقه فيما أحتيج اليه من رأيه ، وحلم ونسب ونائل ، وما رأيت أحدا كان أعلم بما سبقه من حديث النبي صلى الله عليه وسلم منه ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأى منه ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير للقرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أعلم فيما مضى ولا أثقب رأيا فيما أحتيج اليه منه فلقد كان يجلس يوما ما يذكر إلا الفقه ، ويوما ما يذكر فيه إلا التأويل ، ويوما ما يذكر فيه إلا المفازي ، ويوما الشعر ، ويوما أيام العرب ، وما رأيت عالما

١- الهداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٣٠٢

٢- الهداية والنهاية ج ٨ ص ٣٠٢

قط جلس اليه الا خضع له ولا وجدت سائلا سألها الا وجد عنده علما ، قال : وربما حفظت القصيدة من فيه ينشد ها ثلاثين بيتا<sup>(١)</sup> .

وقال عطاء : ما رأيت مجلسا أكرم من مجلس ابن عباس ولا أكثر فقها ولا أعظم هيبه . أصحاب القرآن يسألونه ، وأصحاب العربية يسألونه ، وأصحاب الشمس يسألونه ، فكلهم يصدرون عن واد واسع<sup>(٢)</sup> .

رشد بلغ من مكانته في العلم أنه كان له موكب من طلاب العلم يضطازع موكب الخليفة .

قال يزيد بن الأصم : خرج معاوية حاجا معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم<sup>(٣)</sup> .

ويمرئى هذا العلم الفزير لابن عباس الى عدة أسباب :

منها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالفقه والفهم . وكفى بدعائها رسول الله صلى الله عليه وسلم سببا لهذا العلم الواسع والفهم العميق . ومنها : ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم . ولقد ظل ابن عباس منذ هاجر ملازما للرسول عليه الصلاة والسلام في شتى أنواع حياته في سفره ، حضرته ، في بيته وخارج بيته ، مما أكسبه معرفة لم تتح لنظرائه من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومنها : ملازمته لعمرو وعلى رضي الله عنهما : وهما من كبار فقهاء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقد كان ملازما لعمرو طيلة حياته ، وأحد الافراد الذين

١-الصدر السابق ج ٨ ص ٣٠١

٢-البداية والنهاية ج ٨ ص ٣٠١

٣- سير النبلاء ج ٣ ص ٢٣٥

بجالسهم ويركن اليهم ، وكان أيضا بعد ذلك ملازما لابن عمه على رضى الله عنه سيما فى الزمن الذى آلت اليه فيه الخلافة .

قال معمر : عامة علم ابن عباس من ثلاثة : من عمر وعلى وأبى بن كعب (١) .  
وقال ابن عباس : لما فتحت المدائن أقبل الناس على الدنيا وأقبلت على عمر  
فكان عامة حديثه عن عمر . (٢)

ومنها : حرصه على العلم وصبره فى تحصيله : فقد كان رضى الله عنه لا يأنف ان يأخذ العلم ممن عنده علم ، وكان لا تحول شدة الحر ولا شدة البرد دون تلقيه العلم ، ولا تدفعه مكانته من رسول الله أن يتعلم العلم هيثما كان روى البيهقى عن ابن عباس قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله فانهم اليوم كثيرا فقال : يا عجبها لك يا ابن عباس . أترى الناس يفتقرون اليك وفى الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم ؟ قال : فتركت ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان كان ليبلغنى الحديث عن الرجل فأتى بابيه وهو قائل (٣) فاتوسد رداى على بابيه ، ويسقى الريح على من التراب فيخرج فيرانى فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت الى قاتيك فأقول : لا ، أنا أحق أن آتيك ، قال : فأسأل عن الحديث ، قال : فمأش هذا الرجل الأنصارى حتى رآنى وقد أجمع حولى الناس يسألوننى فيقول هذا الفتى كان أعقل منى (٤) . وروى محمد بن عبد الله الأنصارى عن ابى سلمة

- 
- ١- البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٩٨
  - ٢- حياة الصحابة ج ٣ ص ٦٤٥
  - ٣- القيلولة النوم فى منتصف النهار
  - ٤- البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٩٨



عن ابن عباس قال : وجدت عامة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحى من الأنصار . ان كنت لا قيل بنهاب أحد هم ، ولو شئت ان يؤذن لى عليه لاذن لسى ولكن أبتغى بذلك طيب نفسه .<sup>(١)</sup>

وروى محمد بن سعد عن ابي سلمه قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت الزم الاكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما نزل من القرآن فى ذلك وكنت لا آتى أحدا منهم الا سرهاتيانى اليه لقرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجملت أسأل ابي بن كعب يوما - وكان من الراسخين فى العلم - عما نزل من القرآن بالمدينة فقال : نزل تسع وعشرون سورة وسائرهما مكى .<sup>(٢)</sup>

وسعد : فان من جمعت فيه هذه الصفات : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقرابته منه ، وملازمته له وللفقهاء من اصحابه بعمده ، وحرصه على العلم حرى به أن يكون لديه هذا العلم الزاخر ، وان يقال فى شأنه حبر هذه الأمة وان يسميه الناس البحر لسعة علمه وقيد قال عنه ابن سعد : نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد .<sup>(٣)</sup>

وعن الاعشى عن ابي وائل قال : استعمل على بن ابي طالب رضى الله عنه ابن عباس على الحج فخطب يومئذ خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها .<sup>(٤)</sup>

(١) البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٩٨

(٢) المصدر السابق جـ ٨ ص ٢٩٨

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٤٠

(٤) المصدر السابق جـ ١ ص ٤٠ - ٤١ - دار احياء التراث العربى بيروت

نعم فقد شهدت له أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بأنه اعلم الناس بعناسك الحج  
كما شهد له عبد الله بن عمر بن العاص - رضى الله عنهما فلقد قال : ابن عباس  
اعلمنا بما رضى وافقنا فيما نزل مما لم يأت فيه شي<sup>(١)</sup> .

فلما توفى ابن عباس صلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات ربانى هذه  
الأمة رضى الله عنه .<sup>(٢)</sup>

الا ان ابن عباس قد كثرت الروايات عنه كثرة كبيرة ، وأجود الطرق عنه هي طريق  
معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وابن أبي طلحة غالبا يروى  
عن مجاهد عن ابن عباس ، وهذه الطريق اعتمدها البخارى ومسلم وأحمد واصحاب  
السنن .

وهناك طريق اخرى صحيحة كذلك وهي : قيس بن مسلم الكوفى ، عن عطاء  
بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهذه الطريق صحيحة على شرط  
الشيخين واعتمدها الحاكم فى " مستدركه " وأما أو هي الطرق عن ابن عباس فهى  
طريق محمد بن السائب الكلبى ، عن أبي صالح عن ابن عباس ، ومن يروى عن الكلبى  
محمد بن مروان السدى الصغير قال السيوطى : فان انضم الى ذلك رواية محمد  
ابن مروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب .<sup>(٣)</sup>

وشأن عبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وأبى بن كعب شأن كبير فى التفسير  
ولا نستطيع ان نفضل القول فى ذلك ، فنكتفى بما اورده عن ابن عباس رضى الله  
عنهم جميعا .

(١) انظر البداية والنهاية جـ ٨ ص ٣٠١

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٤١

(٣) الاتقان جـ ٢ ص ١٨٩

وليس هؤلاء الصحابة المذكورون هم الذين اشتغلوا بالتفسير فقط بل ان عددا كبيرا من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يفسرون في بعض الاحيان ولكن هؤلاء الذين نوهنا عنهم هم المكثرون في هذا المجال :

(( نماذج من تفسير الصحابة ))

•••••

وقبل ان نتطرق الى الكلام عن قيمة تفسير الصحابة نرى من المستحسن أن نذكر نماذج من تفاسيرهم لكاتب الله تعالى لتتكامل الدراسة عنهم في هذا الضمار ، ولنلتزم ان شاء الله ما نقل عنهم نقلا صحيحا وبالله نستعين .

فعند قوله تعالى (( ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر

فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم ))<sup>(١)</sup>

عن هشام بن عروة عن ابيه أنه قال قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأنا يومئذ حديث السن - رأيت قول الله تبارك وتعالى : ( ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ) فما أرى على احد شيئا ان لا يطوف بهما فقالت عائشة رضی الله عنها : كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، انما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لصاة وكانت صاة حذو قديد وكانوا يتخرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله ( ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما )<sup>(١)</sup>

(١) سورة البقرة ١٥٨

(٢) صحيح البخارى ج ٣ ص ٧٣ الطبعة الاخيرة سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

وعند قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر الى قوله عذاب ألهم )<sup>(١)</sup> فمن مجاهد قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول كان في بني اسرائيل القصاص ولم يكن فيهم الدية فقال الله تعالى لهذه الأمة كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من أخيه شيء ، فالمغفون يقبل الدية في العمد فاتباع بالمعروف واداءه اليه باحسان يتبع بالمعروف ويؤدى باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة مما كتب على من كان قبلكم فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب ألهم بأن قتل بعمد قبول الدية .<sup>(٢)</sup>

وعند قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون )<sup>(٣)</sup> عن ابن عمر رضي الله عنهما قال " كان عاشورا يصومه أهل الجاهلية فلما نزل رمضان قال : من شاء صامه ومن شاء لم يصمه .<sup>(٤)</sup>

وعند قوله تعالى ( وعلى الذين يطيقونه فدية الطعام مسكينا . . . )<sup>(٥)</sup> الآية

يقول ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعما مكان كل يوم مسكينا .<sup>(٦)</sup>

(١) سورة البقرة ١٧٨

(٢) صحيح البخارى ج ٣ ص ٧٣

(٣) سورة البقرة ١٨٣

(٤) صحيح البخارى ج ٣ ص ٧٣

(٥) سورة البقرة ١٨٤

(٦) صحيح البخارى ج ٣ ص ٧٤

وعند قوله تعالى ( وليس البربان تأتو البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتو البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون )<sup>(١)</sup> فمن أبى اسحاق عن البراء قال : كان اذا احرموا فى الجاهلية أتو البيت من ظهره فأنزل الله ( وليس البربان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها )<sup>(٢)</sup>

وعند قوله تعالى ( ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ..... )<sup>(٣)</sup> الآية

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا فى الجاهلية فتأثموا أن يتجروا فى المواسم فنزلت ( ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج )<sup>(٤)</sup> .

وعند قوله تعالى ( أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب الى قوله لعلكم تتفكرون )<sup>(٥)</sup> عن عبيد بن عمير قال : قال عمر رضى الله تعالى عنه يومها لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيم ترون هذه الآية نزلت ( أيود أحدكم أن تكون له جنة ) قالوا الله اعلم فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أولا نعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شيء يا أمير المؤمنين قال عمر يا ابن أخى قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا له مل قال عمر أى عمل قال ابن عباس لعمل قال عمر لرجل غنى يعمل بطاعة الله عز وجل ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله .<sup>(٦)</sup>

(١) سورة البقرة ١٨٩

(٢) صحيح البخارى ج ٣ ص ٧٥

(٣) سورة البقرة ١٩٨

(٤) صحيح البخارى ج ٣ ص ٧٥

(٥) سورة البقرة ٢٦٦

(٦) صحيح البخارى ج ٣ ص ٧٨

وعند قوله تعالى ( ثانی اثین ان هما فی الغار ان یقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا . . . )<sup>(١)</sup> عن انس قال حدثنی أبوبکر رضی الله عنه قال : كنت مع النبی صلی الله علیه وسلم فی الغار فرأیت آثار المشرکین قلت : یا رسول الله لـو أن احد هم رفع قدمه رأنا قال : ما ظنک باثنین الله ثالثهما .<sup>(٢)</sup>

وعند قوله تعالى : ( ولما جاءت رسلنا لوطا سوی بهم وضاقت بهم ذرعا وقال هذا یوم عصیب )<sup>(٣)</sup> فسر ابن عباس یوم عصیب بقوله : یوم شدید .<sup>(٤)</sup>

وعند قوله تعالى ( وان خفتن ان لاتقسطنوا فی الیتامی فانکحوا ما طاب لکم من النساء منی وثلاث ورباع ) عن عروة بن الزبیر أنه سأل عائشة رضی الله عنها عن هذه الآیة فقالت : یا ابن اختی هی الیتیمة تكون فی حجر ولیها تشاركه فی ماله فیعجبه ماله وجمالها فیرید ولیها أن یتزوجها بغير أن یقسط فی صداقها فیعطیها مثل ما یعطیها غیره فنهوا ان ینکحوهن الا أن یقسطوا لهن ویهلقوا بهن أعلى سنتهن من الصداق وأمروا ان ینکحوا ما طالب لهم من النساء سواهن ، متفق علیه واللفظ لمسلم .<sup>(٥)</sup>

وعند قوله تعالى : ( وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا . . . )<sup>(٦)</sup> الآیة قالت عائشة رضی الله عنها : أنزلت هذه الآیة فی المرأة تكون عند الرجل فتطول صحبتها فیرید طلاقها فتقول لاتطلقنی وامسکنی وانت فی حل منی : متفق علیه واللفظ لمسلم .<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) سورة التوبة ٤٠  
 (٢) صحیح البخاری ج ٣ ص ٩٧  
 (٣) سورة هود ٧٧  
 (٤) صحیح البخاری ج ٣ ص ١٠١  
 (٥) صحیح مسلم ج ٢ ص ٦٠٦ - مطبعة المشهد الحسینی بصر ، انظر صحیح البخاری ج ٣ ص ٨٤  
 (٦) سورة النساء ١٢٨  
 (٧) صحیح مسلم ج ٢ ص ٦٠٧ ، انظر صحیح البخاری ج ٣ ص ٨٨

وعند قوله تعالى " خذوا زينتكم عند كل مسجد " <sup>(١)</sup> قال ابن عباس : كانت المرأة

تطوف بالبیت وهي عريانة فتقول من يميرني تطوافا تجعله علي فرجها وتقول :

اليوم يبيد وبمضه أو كله فما بدا منه فلا أحله ، فنزلت هذه الآية <sup>(٢)</sup>.

وعند قوله تعالى " ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء ان أردن تحصنا لتتبنوا عرض

الحياة الدنيا... " الآية <sup>(٣)</sup> قال جابر : ان جارية لعبد الله بن أبي بن سلوس

يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة فكان يكرهما على الزنا فشكنا ذلك إلى

النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء إلى قوله

<sup>(٤)</sup>

عفور رحيم .

وعند قوله تعالى " لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهوا ولا تمضوهم لتذهبوا

<sup>(٦)</sup>

بعض ما أتيتموهن " قال ابن عباس : لا تمضوهم اي لا تقهرهن .

وعند قوله تعالى " ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجيبات

والطاغوت " <sup>(٧)</sup> قال عمر بن الخطاب رضی الله عنه الجبت السحر والطاغوت الشيطان <sup>(٨)</sup>.

١- الاعراف ٣١

٢- صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٠٩

٣- النور ٣٣

٤- صحيح مسلم ج ٢ ص ٦١٠

٥- النساء ١٩

٦- صحيح البخارى ج ٣ ص ٨٥

٧- النساء ٥١

٨- صحيح البخارى ج ٣ ص ٨٦

وعند قوله تعالى " أنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان " (١) قال ابن عباس : الأزلام الأقداح يفتسمون بها في الأُمُور والنصب أنصاب يذهبون عليها (٢) . .

وعند نفس الآية قال ابن عمر : سمعت عمر رضي الله عنه على منبر النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أما بعد أيها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي خمسة من العنب والتمر والمسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل (٣) . .

هذا نموذج من تفسير الصحابة رضوان الله عليهم وسنكتفي بهذا

القدر وفيه كفاية .

---

١- المائدة ٩٠

٢- صحيح البخاري ج ٣ ص ٩٠

٣- صحيح البخاري ج ٣ ص ٩٠



(( قيمنة تفسير الصحابة ))

•••••

لا شك أن أقوال الصحابة في فهم القرآن الكريم تعتبر المرتبة الثانية بعد تفسير صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، فكلما هم في هذا له اعتباره في فهم الكتاب العزيز : وذلك لما يأتي :

أ - ان الصحابة هم الذين سمعوا القرآن الكريم ابتداءً ، وهم الذين شاهدوا وعينوا وتلقوا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ما يبهم عليهم يسألون النبي عليه السلام عنه ، ويروى عن ذى النورين عثمان رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كلما تلا عليهم طائفة من الآيات تولى تفسيرها لهم ، فكان تفسيرهم أقرب الى السنة ، بل يعد الكثيرون من السنة ما دام لا يمكن ان يكون للرأى فيه مجال .

ب - انهم الذين شاهدوا أسباب النزول ، وعلموا في أى موضع نزلت آيات الكتاب الكريم ، ولا شك ان معرفة أسباب النزول طريق معبد لفهم الكثير من الآيات الكريمة لان أول ما ينطبق عليه المعنى الآية القرآنية هو ما كان سببا لنزولها ، ثم يعمم الحكم بعموم اللفظ ، جريا على قول الاصوليين في مجمل قواعدهم ( العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ) .

ج - وان الصحابة أعلم الناس بمعانى الالفاظ القرآنية ، لأنهم من العرب ومسمن أعلم الناس بلغة العرب ، وما يكون غريبا بالنسبة لنا لا يكون غريبا بالنسبة لهم لان اكثر المفردات العربية معروفة لديهم ،<sup>(١)</sup> لذ فنحن ننظر في التفسير المنقول عن الصحابة فان كان مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو حديث ، له حكم الحديث

(١) المعجزة الكبرى لمحمد ابى زهرة ص ٥٠٥

أى يكون حجة ان صح سنده . وان لم يكن مرفوعا ننظر فيه فان كان متعلقا بأسباب النزول أو بما لا يكون من قبيل الرأى والاجتهاد ، اعطى حكم المرفوع وكان حجة ان صح سنده . اما اذا كان من قبيل الاجتهاد والاستنباط او ليس متعلقا بأسباب النزول فانه يكون موقوفا على الصحابي القائل به .

وقد اختلف العلماء بالنسبة الى الموقوف هذا : فمن العلماء من يقول انه رأى لا يلزم ومنهم من يرى انه رأى يلزم ويحتج به ، هذا وقد قال ابن تيمية فى ( مقدمة اصول التفسير ) " اذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعت فى ذلك الى اقوال الصحابة فانهم ادرى بذلك ، لما شاهدوه من القرائن والأحوال التى اقتصوا بها ولما لهم من الفهم التام والملم الصحيح لاسيما علماءؤهم وكبرائؤهم (١) وقال الامام الزركشى فى ( البرهان ) : ينظر فى تفسير الصحابي فان فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان ، فلا شك فى اعتماده ، وان فسره بما شاهدته من الاسباب والقرائن فلا شك فيه . (٢)

ويتحصل من ذلك ان التفسير المروى عن الصحابي ان كان متعلقا بأسباب النزول او بما لا يمكن ان يكون من قبيل الرأى والاجتهاد كان ملزما ، وكذلك ان كان تفسيراً يعتمد على اللغة التى هم ادرى الناس بها فهو ملزم أيضا .  
واما اذا اختلف الصحابة فى تفسير آية من الآيات القرآنية او اختلفوا فى بعض الاحكام الفقهية التى لم يرد فيها نص من الكتاب ببيان الحكم ، جاز لعلماء التفسير او الفقهاء ان يختاروا من آرائهم ما يرونه انسب للسألة التى اجتهدوا فيها .

(١) مقدمة اصول التفسير تحقيق الدكتور عدنان زرور ص ٩٥ - ٩٦ انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣

(٢) البرهان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٧٢ ط ٢ - دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت

ومن ذلك قولهم في عدة المتوفى عنها زوجها اذا كانت حاملا ، فقد اختلف في تفسير آيات المدة الصحابة ، ففريق منهم - وعلى رأسهم علي بن أبي طالب عمل الآيتين الواردتين وهما قوله تعالى ( والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتريصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشر )<sup>(١)</sup>

والآية الثانية هي قوله تعالى في سورة الطلاق ( واولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن )<sup>(٢)</sup> فقال هذا الفريق من فقهاء الصحابة : انها تمتد بأمد الأجلين أي تمتد بوضع الحمل اذا كان بعض ضئى أربعة اشهر وعشر ، وتمتد بالأشهر اذا كان وضع الحمل قبل انتهاء المدة .

وقالت طائفة اخرى - وعلى رأسهم عبد الله بن مسعود - انها تمتد بوضع الحمل أخذا بعموم اللفظ ( واولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن ) لأنه يشمل الحامل المتوفى عنها زوجها ، كما يشمل المطلقة<sup>(٣)</sup> .

وهنا على الفسر ان يختار ما يراه حسب اجتهاده وحسب ما فتح الله عليه .

(١) سورة البقرة ٢٣٤

(٢) سورة الطلاق ٤

(٣) المعجزة الكبرى لابي زهرة ص ٥٠٣

.. (( البحث الثالث )) ..

جهود التابعين في التفسير الى منتصف القرن الثاني الهجري

.....

اذا ذكر المفسرون من التابعين فانهم يمتدحون كثرة كثرته ، ويعدون فسق  
العدد أكثر من الصحابة ، ذلك لأن الذين اشتهروا بالتفسير من الصحابة  
لا يزيدون على عشرة ، وقد تقدم معنا اسماؤهم ، أما التابعون فقد كثر فيهم  
المفسرون ، واشتهروا شهرة واسعة ، ونبغ فيهم رجال اذنان ، اعتنوا عناية كبيرة  
بتفسير كتاب الله تعالى ، وعنهم نقل المفسرون معظم الآراء ، ونستطيع أن نعتبر  
التابعين طبقات ثلاثة : طبقة أهل مكة — وطبقة أهل المدينة — وطبقة أهل  
العراق .

أما الطبقة الاولى — وهي طبقة أهل مكة :

~~~~~

فقد كانوا اعلم الناس بالتفسير لأنهم أخذوا علومهم ، من شيخ المفسرين
وترجمان القرآن ، عبد الله بن عباس رضي الله عنه وارضاه ، وقد قال عنهم ابن
تيمية في مقدمته لاصول التفسير : " وأما التفسير فان اعلم الناس به أهل مكة
لانهم أصحاب ابن عباس ، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح . . . الخ (١)

وقد اشتهر فيهم عدد كبير وظهر فيهم رجال اذنان ، على رأسهم : مجاهد

ابن جبر (ت ١٠٤ هـ) وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٤ هـ) وعكرمة بن عبد الله

(ت ١٠٧ هـ) وطاووس (ت ١٠٦ هـ) وسعيد بن جبير (ت ٩٥ هـ) .

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية تحقيق الدكتور عدنان زرزور ص ٦١ ط ١

ومن أهل المدينة : أبو العالية (ت ٩٠ هـ) ومحمد بن كعب القرظي (ت ١١٨ هـ)

وزيد بن اسلم (ت ١٣٦ هـ)

ومن أهل العراق : علقمة بن قيس (ت ٦١ هـ) وسروق بن الأجدع (ت ٦٣ هـ)

وأسود بن يزيد (ت ٧٤ هـ) والحسن البصري (ت ١١٠ هـ) وقتادة بن دعامة

السندوس (ت ١١٧ هـ) (١)

ونرى أنه ليس من الضروري أن نترجم لهؤلاء المفسرين من التابعين جميعاً

ولكن نجد ربنا أن نترجم لأبرز واحد من كل طبقة والله نستعين .

فلنبداً بأهل مكة : أولهم وأبرزهم مجاهد بن جبير

ترجمته

هو أبو الحجاج القرشي الحزومي مولى السائب بن أبي

السائب الحزومي المكي المقرئ المفسر ، مجاهد بن جبير أحد أئمة

التابعين والمفسرين وأحد الأعلام الاثبات ، ولد سنة احدى وعشرين

من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كانت وفاته بمكة

المكرمة وهو ساجد ، سنة أربع ومائة وقيل ثلاث ومائة وقيل غير ذلك

وعمره ثلاث وثمانون سنة . (٢)

(١) نقلنا تاريخ وفاة هؤلاء التابعين في تهذيب التهذيب لابن حجر .

(٢) أنظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج ١٠ ص ٤٢ - ٤٤ ط ١

مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند سنة ١٣٢٧ هـ .

مكانته في التفسير ؛

كان مجاهد متخصصا في التفسير حتى قيل انه اعلم الناس بالتفسير ، يقول مجاهد عن نفسه " عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة " وروى عنه أيضا قرأت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه وأسأله فيم نزلت وكيف كانت (١) ،

طبعا - فلا تعارض بين الروایتين ؛ لأن الأولى تفيد أنه قرأه عليه عن ظهر قلب (٢) لتمام الضبط ، ودقة التجويد وحسن الأداء ، وقراءته عليه بعد ذلك ثلاث مرات طالبا لتفسيره ، ومعرفة ما يدق من اسراره ، وخفى من معانيه كما يشمر بذلك الفاظ الرواية الثانية (٣) . نعم لقد تعلم مجاهد التفسير من ابن عباس ترجمان القرآن ، ولزمه مدة ليقرأ عليه القرآن وتخصص في تفسيره ، وعن ابن أبي مليكة قال : " رأيت مجاهدا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواحه ، فقال ابن عباس : اكتب ، حتى سأله عن التفسير كله (٤) .

وكان مجاهد يحب العلم ويلتمسه أينما كان ولم يوقفه حبه للمعلم على الكسب والرجال فحسب وانما كان يسافر لطلب العلم ، وشقاق الى ان يرى الآثار التاريخية بنفسه ، ولم يرد بعلمه الا وجه الله تعالى

(١) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٩٢ - دار احياء التراث العربي

(٢) انظر هامش معجم الأديباء للياقوت الحموي ج ١٧ ص ٧٨

(٣) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ١٠٤

(٤) اصول التفسير لابن تيمية تحقيق الدكتور عدنان زررور ص ١٠٢ .

انظر تفسير الطبري ج ١ ص ٩٠

ولقد سافر مجاهد إلى العراق واستقر في الكوفة وأقام بها حتى عد من أهل العراق ، قال ابن قتيبة : كان أشد أهل العراق في الرأي والقياس الشعبي ، واسهلهم فيه مجاهد^(١) . وقد كان يحترمه ابن عمر ، قال مجاهد : كنت اصحسب ابن عمر في السفر ، فكنت اذا اردت ان اركب يأتيني فيمسك ركابي فاذا ركبت سوى على ثيابي قال مجاهد فجاءني مرة فسكأنى كرهت ذلك فقال : يا مجاهد انك ضيق الخلق^(٢) . وكان مجاهد كاسمه مجاهداً يتجهز للفرز ويقاتل في سبيل الله واعلاء كلمة الله^(٣) . ومع هذا كله كان متواضعا ، قال الأعمش كنت اذا رأيت مجاهداً ازد ربه مبتذلاً كأنه خيرندج^(٤) قد ضل حماره وهو مهتم ، فاذا نطق خرج من فيه اللؤلؤ^(٥) . والرواية الأخرى تبين سبب تواضعه واهتمامه ، قال الأعمش : كنت اذا رأيت مجاهداً تراه مغموماً ، فقل له في ذلك فقال : أخذ عبد الله - يعني ابن عباس - بيدي ثم قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي وقال لى يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل^(٦) .

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٦٩ ط ١ - سنة ١٣٢٦ هـ

(٢) معجم الأدباء للهاقوت ج ١٧ ص ٧٨

(٣) تفسير الطبري ج ١٠ ص ٢٢ ط ١ - سنة ١٣٢٧ هـ

(٤) أصله في الفارسية (جريندة) الذي يكرى الحمار ويرعاه ويخدمه .

انظر مقدمة تفسير مجاهد ص ٤

(٥) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٢ ط ٣

(٦) مقدمة تفسير مجاهد ص ٤

آراء العلماء في:

لقد أجمع العلماء الذين ترجموا لجهاد علي إمامته في التفسير ، قال عبد السلام ابن حرب عن مصعب ؛ كان أعلمهم بالتفسير مجاهد وبالخج عطاء ؛ وقال أبو نعيم قال يحيى القطان ؛ رسائل مجاهد أحب الي من رسائل عطاء وقال سلمة بن كهيل ما رأيت أحدا اراد بهذا العلم وجه الله تعالى الا عطاء وطاووس ومجاهد ، وقال قتادة ؛ أعلم من بقى بالتفسير مجاهد ؛ وقال ابن سعد عنه ؛ كان ثقة فقيها عالما كبيرا الحديث ؛ وقال عنه ابن حبان ؛ كان فقيها ورعا عبدا مثقنا ؛ وقال أبو جعفر الطبري كان قارئا عالما ، وقال العجلي ؛ مكي تابعي ثقة . (١)

وقال ابن جرير ؛ لان أكون سمعت من مجاهد أحب الي من أهلي ومن مالي (٢)

وقال النباتي ؛ مجاهد ثقة بلا مدافعة (٣) وقال حماد ؛ لقيت عطاء وطاووسا ومجاهدا ، وشامت القوم فوجدت أعلمهم لمجاهدا . (٤) وقال ابن عطية ؛ ومن المفسرين المبرزين في التابعين الحسن البصري ومجاهد وسعيد بن جبير . (٥) وقال ابن تيمية القول الصواب هو قول أئمة السلف - قول مجاهد او نحوه - فانهم أعلم بمعاني القرآن لاسيما مجاهد فانه كان آية في التفسير ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم ، وكذلك الامام أحمد وغيره ممن صنف في التفسير يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره . (٦)

وقال الحافظ ابن كثير ؛ مجاهد أحد أئمة التابعين المفسرين ؛ كان من أخص أصحاب ابن عباس ، وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير حتى قيل ؛ انه لم يكن أحد يريد بالعلم وجه الله الا مجاهد وطاووس . (٧)

-
- (١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١٠ ص ٤٣ ط ١ سنة ١٣٢٧ هـ
 (٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٢
 (٣) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٤٣٩
 (٤) مقدمة تفسير مجاهد ص ٤٩
 (٥) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٦
 (٦) اصول التفسير لابن تيمية ص ٣٧
 (٧) الهداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٢٤ مطبعة السعادة بصر .

ومن هذه الاقوال نستطيع أن ندرك ما كان لهذا الامام من مكانة مرموقة في نفوس العلماء
وهذه الاقوال ان ذلت على شيء فانما تدل على ما لاحظته هؤلاء الاجلاء من علم مجاهد
الغزير وعلو مكانته في التفسير . رحمه الله رحمة واسعة .

طبقة أهل العراق

—————

الحسن البصرى :

هو الحسن بن أبى الحسن يسارى البصرى أبو سعيد مولى الانصارى شيخ الاسلام .

ويلاحظ فى هذا التعريف بأنه كان يلقب بشيخ الاسلام ويكنى بأبى سعيد ، هذا رواه الحافظ الذهبى^(١) . أما غيره فمنهم من كان يقصره على اسم الحسن البصرى ، ومنهم من كان يوافق الذهبى على الاسم والكنية ويترك اللقب مثل : الحسن بن أبى الحسن ابوسعيد البصرى^(٢) . ومنهم من كان يلقبه بامام اهل البصرة^(٣) . بل قال بعض العلماء : اذا ذكرت كلمة " الحسن " فى كتاب التفسير والحديث والفقه فانه تنصرف - غالبا - الى الحسن البصرى الذى نحن بصدده^(٤) .

اما بالنسبة لوالده فتكاد كلمة الباحثين تجمع على أن اسمه " يسار " ويسار هذا - كما قال بعضهم - كان ينادى قبل الاسلام بـ " فيروز " .^(٥)

-
- ١- تذكرة الحفاظ. للذهبي ج ١ ص ٧١ .
 - ٢- كتاب التاريخ الكبير للامام البخارى ج ١ ص ٣٥٤ .
 - ٣- شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ج ١ ص ١٣٦ .
 - ٤- انظر دائرة المعارف للبيستاقى ج ٧ ص ٤٤ - مطبعة المعارف بيروت سنة ١٨٨٣ م وانظر طبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٥٢ .
 - ٥- الحسن البصرى للدكتور مصطفى سيد بيومى ص ١٩٤ .

وكان يسار من سبى " ميسان " ^(٢) سباه الامير المفيرة ابن شعبة حينما افتتحها في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد صار بمسند السبى مولى للصحابى الجليل " زيد بن ثابت " وأمه كانت تسمى خيرة وهى من السبايا أيضا صارت بعد ذلك مولاة لأم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ثم تزوج يسار من خيرة ، وفى هذا البيت النبوى الكريم ولد الحسن فى سنة ٢١ هـ هذا ما عليه الكثير من أصحاب التراجم والطباقات .

ومجىء الحسن من أبوين من " ميسان " يدل على أنه كان ينتمى إلى أسرة غير عربية ، وهذا واضح من جميع المراجع ، ومع هذا ذكر بيومى فى رسالته " الحسن البصرى " أن أحد الباحثين من المحدثين قال بأن الحسن البصرى هذا ينحدر من أسرة عربية .

وعلى بيومى هذا رأى بقوله : وعلى كل فاذا كان هذا رأى فيه شىء من الصحة نستطيع أن نقول : لعل أسرة الحسن التى أُنحدرت إلى المدينة مع السبى كانت أصلا موجودة فى هذه المنطقة العربية . ثم هاجرت إلى العراق مع المهاجرين أيام انهيار " سد مأرب " ^(٢) .

وغير ذلك خاصة وأن المهاجرات العربية عبر التاريخ كانت متعددة إلى أماكن مختلفة . .

-
- ١- هى قرية بين البصره وواسط ، والنسبة ميسانى " انظر ترتيب القاموس المحيط للطاهر احمد الزاوى ج٤ ص ٣٠٢ ط٢ مطبعة عيسى البابى الحلبي بصره .
 - ٢- هو سد كان فى اليمن يقع بين حضر موت وصنعاء (انظر معجم البلدان للياقوت

ومع هذا التعليل فاننا نرجح الرأى القائل بعدم عربية أسرتنا^(١).

وعلى كل فان ما يعنى به الاسلام ليس هو اللون والجنس وانما هو تقوى الله سبحانه وتعالى لأن البارى جل وعلا يقول فى محكم كتابه " يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير"^(٢) . وبالتالى فان الحسن البصرى رحمه الله أصبح عربيا خالصا بنشأته ، ولسانه ، وعلمه . . .

ولد الحسن فى بيت ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم - كما ذكرنا بالمدينة المنورة سنة احدى وعشرين للهجرة النبوية لسنتين بقيتا من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونشأ بواد القرى^(٣) . وحفظ كتاب الله فى خلافة عثمان وسمعه يخطب مرات وكان يوم الدار ابن اربع عشر سننة ثم كبر ولازم الجهاد ولازم العلم والعمل ، وكان أحد الشجعان الموصوفين يذكر مع قطرى بن الفجاءة ، وصار كاتبا فى دولة معاوية لوالى خراسان الربيع بن زياد وكان حافظا علامة من بحور العلم كبير الشأن عديم النظير رأس فى أنواع الخير^(٤) . رأى عليا وطلحة وعائشة وكثيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جمع الله فيه من الفضائل والمواهب ما استطاع به ان يوثق فى قلوب الناس ويرفع به قيمة الدين واهل الدين فى المجامع ، فقد كان واسع العلم غزير المادة

١- الحسن البصرى للدكتور بيوى ص ١٩٥ - ١٩٦ .

٢- الحجرات ١٣

٣- واد القرى يقع فى الحجاز شمال المدينة المنورة .

٤- تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧١ - ٧٢ .

فى التفسير والحديث ، ولم يكن لأحد فى ذلك العصر ان ينشر دعوته ويقوم
بالاصلاح الا اذا كان متوفرا على هذين العلمين ، ويظهر من حياته ومواعظه
انه درس هذا العصر دراسة عميقة ، وأدرك روحه ، وعرف كيف تطور المجتمع
الاسلامى ومن أين انحرف ، وكان واسع الاطلاع ، دقيق الملاحظة للحياة
ومختلف الطبقات وعوائدها واخلاقها وعملها وادائها ، كتابيب مارس المصالح
صده (١) . وكان مع ذلك غائبة فى الفصاحة وحلاوة المنطق والتأثير فى مستمعيه
وقد قيل أن سبب فصاحته هو أنه خيرة غابت فى حاجة فبدأ يبكى فأعطته
أم سلمة رضى الله عنها ثديها تملله به الى أن تجىء أمه فد ر عليه ثديها فشرب
منه فيرون ان تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك (٢) .

قال ابو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصرى والحجاج
بن يوسف والحسن أفصح منه (٣) ، لقد كان الحسن البصرى يجمع بين بلاغة اللسان
وقوة الايمان وكان يؤمن بما يقوله ويعمل بما يعتقد ، وكان الذى يقول يخرج
من القلب فيدخل فى القلب ، وكان اذا ذكر الصحابة أو وصف الآخرة أدمع انميون
وحرك القلوب ، لانه يتذوق الايمان ، لذلك كانت حلقاته فى البصرة أوسع الحلقات
وانجذب الناس اليه انجذاب الحديد الى المغناطيس . وذلك شأن أهل القلوب .
والاخلاص فى كل زمان (٤) .

- ١- رجال الفكر والدعوة فى الاسلام لابي الحسن الندوى ص ٧ ط ٣ - دار القلم
بالكويت .
- ٢- وفيات الاعيان لابن خلكان تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ج ١ ص ٣٥٤
ط ١ سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م مطبعة السعادة بصره .
- ٣- وفيات الاعيان لابن خلكان تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ج ١ ص ٣٥٤
ط ١ سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م مطبعة السعادة بصره .
- ٤- رجال الفكر والدعوة فى الاسلام للندوى ص ٧١ .

وكان صاحب شخصية قوية جذابة حبيبة الى النفوس وكان الناس مأخوذين
بسحرها خاضعين لعظمتها ، حتى قال ثابت بن قرة الحكيم الحراني " أن الحسن
من أفراد الامة المحمدية التي تتباهى بهم على الامم الاخرى " (١)

ثناء العلماء عليه

~~~~~

لقد اتفق جميع علماء المسلمين على امامة الحسن البصرى وفضله وكثرة  
علمه قال عنه انس بن مالك : سلوا الحسن فانه حفظ ونسينا ، وقال سليمان  
التميمي ، الحسن شيخ أهل البصرة ، وقال مطر الوارق كان جابر بن زيد رجلاً  
أهل البصرة فلما ظهر الحسن جاء كأنما كان في الآخرة فهو يخبر عما رأى وعائنه  
وقال محمد بن فضيل عن عاصم الأحول قلت للشعبي لك حاجة قال نعم  
اذا أتيت البصرة فاقراً الحسن مني السلام قلت ما أعرفه قال : اذا دخلت البصرة  
فانظر الى أجمل رجل تراه في عينك وأهيبه في صدرك فأقرأه مني السلام قال فما عدا  
أن دخل المسجد فرأى الحسن والناس حوله جلوس فأتاه فسلم عليه .  
وقال أبو عوانة عن قتادة ما جالست فقيها قط الا رأيت فضل الحسن  
عليه ، وقال أيوب : ما رأيت عيناى رجلاً قط كان أفقه من الحسن ، وقال غالب  
القطان عن بكر المزني : من سره أن ينظر الى أعلم عالم أدركناه في زمانه فليتنظر  
الى الحسن فما أدركنا الذي هو أعلم منه .

وقال يونس بن عبيد ان كان الرجل ليرى الحسن لا يسمع كلامه ولا يرى عمله  
فينتفع به ، وقال حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد وحميد الطويل : رأينا الفقهاء

فما رأينا أحد أكمل مروة من الحسن وقال الحجاج بن أرطاة سألت عطاء بن أبا رباح فقال لى عليك بذاك - يعنى الحسن - ذاك امام ضخم يقتدى به ، وقسسال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس أختلفت الى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله فليس من يوم الا أسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك .

وقال الاعمش ما زال الحسن يعنى الحكمة حتى نطق بها وكان اذا ذكر عند أبى جعفر - يعنى الباقر - قال ذاك الذى يشبه كلام الانبياء .

وقال أبو داود لم يحج الحسن الا حجتين وكان الشجعان ، قال جعفر بن سليمان كان المهلب يقدمه - يعنى فى الحرب .<sup>(١)</sup> قال عنه الذهبى سيد التابعين فى زمانه بالبصرة ، كان ثقة فى نفسه ، حجة رأسا فى العلم والعمل عظيم القدر .<sup>(٢)</sup>

قال الفزالى فى احياء العلم " ولقد كان الحسن البصرى رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأقربهم هديا من الصحابة رضى الله عنهم اتفقت الكلمة فى حقه على ذلك .<sup>(٣)</sup>

١- تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٢٦٣ - ٢٧١ .

٢- ميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٢٦ .

٣- احياء علوم الدين للفزالى ج ١ ص ٦٨

(١) القدر ورأى الحسن البصرى فيه :

مشكلة القدر من المشكلات التي كثر الكلام فيها قديما وحديثا ، فهولا  
فلاسفة اليونان انقسموا فيما بينهم الى فريقين الفريق الأول هم :- الرواقيون  
يقولون بعدم حرية الانسان .

والثاني وهم الابيقوريون يقولون بحرية الانسان لا يقيد ارادته شى ، وأهل  
الكتاب من اليهود والنصارى اختلفوا فيما بينهم كذلك الى فرق متعددة فى هذه  
المسألة ، بل أن عرب الجاهلية أنفسهم كان لهم نصيب فى هذا التفكير . (٢)  
وهكذا حتى جاء الاسلام ليحرر العقول والنفوس فى أول قرآن نـسـزل  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم . اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من  
علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم على الانسان ما لم يعلم . (٣)

---

١- القدر أو القدرية هى القول بأن كل فعل للانسان هو بارادته المستقلة عن  
ارادة الله سبحانه وتعالى . أو القول بأن الانسان لا يخلق أفعاله وليس له مما  
ينسب اليه من الافعال شىء . أى نفى الفعل حقيقة عن العبد و اضافته الى الرب  
تعالى ، ان العبد كما يقولون لا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبور فى  
أفعاله لا قدرة له ولا ارادة ولا اختيار ( أنظر المذاهب الاسلامية لابي زهرة  
ص ١٧١ ، وص ١٨٥ - ١٨٦ .

٢- انظر المذاهب الاسلامية لابي زهرة ص ١٦٣ - المطبعة النموذجية بمصر .

٣- سورة العلق ه .



فاتفقت كلمة المسلمين على عقيدة واحدة ، وخفت صوت الجدل فى حرية  
الانسان وعدمه حينما من الدهر . . . (١)

ولما قام المسلمون بفتوحاتهم المختلفة فى العراق وفارس والشام  
ومصر . . . فى عصر الخلفاء الراشدين ، ودخل الموالى فى الاسلام ، انفتح  
باب الجدل الضار الذى نهى عنه الاسلام أو على الأقل ضيق حدوده والذى ما زلنا  
نحن منه ونتوجه الى اليوم .

وكان المركز الكبير لهذا التيار الجارف هو العراق خاصة البصرة ، ونتيجة  
لهذه التيارات المختلفة من المناقشات والجدل ظهرت الأحزاب والفرق الدينية  
وتعاليمها التى أخذت وقتا كبيرا مما كان الاسلام فى أشد الحاجة اليه لنشـر  
تعاليمه على أوسع مدى حتى يعم الخير البلاد كلها .

وكان من أشهر الأحزاب والفرق الدينية التى ظهرت فى هذا العصر الشيعة  
والخوارج والمرجئة ، والمعتزلة (٢) وهذه الأخيرة كان يتزعمها بعض رواد حلقة  
الحسن البصرى مثل : واصل بن عطاء . وعمر بن عبيد وغيرهما :

١- الحسن البصرى للدكتور بيوى ص ٢٢٣ .

٢- الشيعة : اسم لكل من فضل عليا على جميع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ورأى ان أهل البيت أحق بالخلافة .

الخوارج : طائفة مخصصة كان أول خروجهم على أمير المؤمنين على بن ابى طالب  
رضى الله عنه ومن بآدئهم تكفير عثمان وعلى رضى الله عنهما ، وأصحاب الجمل والحكيم  
ومن رضى بالتحكيم أو صوب الحكيم أو أحدهما ، ومنها تكفير مرتكب الزنوب .  
المرجئة : ان لفظ المرجئة مشتق من الارجاء وهو على معنيين :  
أحد هما بمعنى التأخير كما فى قوله تعالى " أرجه وأرخاه" الاعراف . . .  
والثانى : اعطاء الرجاء ، ويطلق اسم المرجئة على هذه الطائفة بهذين المعنيين  
معا ، لانهم كانوا يؤخرون العطل عن النية والمقد ، كما كانوا يقولون : لا تضر مع  
الايان معصية ، ولا تنفع مع الكفر طاعة .

المعتزلة : لفظة اشتقت من الاعتزال والمعتدل أنه أطلق على أصحاب واصل بن عطية  
وعمر بن عبيد حين اعتذلا مجلس الحسن البصرى لما خالفوه فى القول بأن مرتكب الكبيرة  
ليس بموءمن ولا كافر . ولكنه فاسق ، فى منزلة بين المنزلتين ومن بآدئهم : انكار روية  
الله سبحانه وتعالى يوم القيامة . والقول بأن كلام الله مخلوق ومنفصل منه ( انظر هذه  
المعلومات فى المثل والنحل للشهر ستانى ج ١ ص ١٧٠ ط سنة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ ،  
مطبعة حجازى بالقاهرة . ومقالا الاسلاميين واختلاف المصلين للإمام ابى الحسن الاشعري  
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ج ١ ص ٦٥ ط سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م والتجسيم  
عند المسلمين لسهير محمد مختار ص ١٤ طبعة سنة ١٩٧١ م شركة الاسكندرية للطباعة والنشر .

لقد كانت حلقات الحسن البصرى غاصة بمختلف العلماء ، وكانوا يلقبون  
اليه بالأفكار المتنوعة التى يتلقونها من غيرهم .

لقد سبق أن تحدث بعض الناس حول هذه المعانى مثل معبد الجهنى  
وعطاء بن يسار وغيرهما ، بخلاف ما يدعيه بعض الكتاب من أن الحسن البصرى  
هو أول من قال بالقدر ، فكيف يكون أول من قال بالقدر وفى الوقت نفسه يـنـذـم  
" القدرية " ولقد أجمعت كتب العقائد الاسلامية وغيرها - تقريبا - على أن أول من  
تكلم فى القدر بالبصرة هو معبد الجهنى وليس الحسن البصرى .

المهم أن العلماء اختلفوا فى نظرتهم للحسن البصرى بالنسبة لهذا  
الموضوع : فبعضهم يؤيد نسبة القدرية الى الحسن البصرى مستدلين بقصة  
معبد الجهنى وعطاء بن يسار والقصة كالاتى :

قال ابن قتيبة : كان عطاء بن يسار قاصا ويزى القدر ، وكان لسانه  
يلحن ، فكان يأتى الحسن هو ومعبد الجهنى ، فيسأله ويقولان :  
يا أبا سعيد ان هؤلاء الطوك يسفكون دماء المسلمين يأخذون الأموال  
ويفعلون ، ويفعلون ويقولون : انما تجرى أعمالنا على قدر الله فقال : كـذـب  
اعداء الله فتعلق عليه بهذا واشباهه .<sup>(١)</sup>

وما روى عن ممر عن قتادة عن الحسن قال : الخير بقدر والشر ليس  
بقدر قال أيوب فناظرته فى هذه الكلمة فقال : لا أعود .<sup>(٢)</sup>

١- المعارف لابن قتيبة تحقيق ثروت عكاشة ص ٤٤١ - مطبعة دار الكتب سنة ١٩٦٠م

٢- تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٢٧٠ .

وقول ابن قتيبة أيضا عن الحسن : وكان تكلم في شيء من القدر فرجع عنه . . (١) والملاحظ هو أن هذه الأدلة ليس نصا في قدرية الإمام الحسن البصرى والتي لولا خوف من الاطالة والخروج عن موضوعنا لناقشنا كل دليل هلى حدة حتى تتبين عدم لصيته . ومع ذلك نقول : امام هذه الأدلة توجد أدلة كثيرة جدا تدل على نفي القدرية عن الامام ، بل رد على القدرية ردا عنيفا . ومن هذه الأدلة ما يأتي :

عن عبد الرحمن بن أبى الرجال عن عمر مولى عفرة قال : كان أهمل القدر ينتحلون الحسن بن أبى الحسن ، فكان قوله مخالفا لهم كان يقول يا أبى آدم لا ترغى أحدا بسخط لله ولا تطيعن أحدا فى معصية الله ولا تحمدن أحدا على فضل الله ولا تلومن أحدا فيما لم يوءتك الله ، ان الله خلق الخلق والخلائق فمضوا على ما خلقهم عليه ، فمن كان يظن أنه مزاد بحرصه فى رزقه فليزيد بحرصه فى عمره ، او يغير لونه او يزيد فى اركانه أو بنانه . (٢)

وعن حميد الطويل سمعته يقول : يعنى الحسن البصرى - خلق الله الشياطين وخلق الخير وخلق الشر . . (٣)

وعن حماد بن سلمة عن حميد قال : قرأت القرآن على الحسن ففسره على الاثبات - يعنى على الاثبات القدر - وكذا قال حبيب بن الشهيد ومنصور بن زاذان ، وقال رجاء بن أبى سلمة عن ابن عون سمعت الحسن يقول من كذب بالقدر فقد كفر . . (٤)

١- المعارف لابن قتيبة .

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٧٥ .

٣- تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٧٠ .

٤- تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٧٠ .

ولقد زد الحسن البصرى على القدرية - كما قلنا سابقا - وكتب كتابا الى عبد الملك بن مروان فى الرد على القدرية<sup>(١)</sup> .

ومما لا شك فيه أن هذه الاقوال المتعددة وغيرها تدل بأن الحسن البصرى له صلة قوية بموضوع القدر الا أنه لم يكن كما يقوله معارضوه أو كما يقوله المعتزلة بأنه من مؤيديهم ، بل كانت حلقة عبارة عن الميزان الذى توزن به الافكار والآراء المختلفة المحلية والمستوردة ثم تخرج منها الى الأمة بعد تنقيحها وتهذيبها سليمة معافة من كل زيغ وضلال . .

ولقد دفع عن الحسن البصرى الامام الجليل الحافظ الذهبى بقوله " وقد بدت منه - يعنى الحسن البصرى - هفوة فى القدر لم يقصد ها لذاتها فتكلموا فيه فما التفت الى كلامهم ، لانه لما حوقق عليها تبرأ منها ، وقد سئل عن آدم أخلق للجنة أم للأرض ؟ قال بل للأرض ، قيل : أكان يستطيع أن يكسب من أهل الجنة ولا يصير الى الأرض ؟ قال : لاف هذا هو سر المسألة فان الميسر لا يقدر أن يستقيم الا ان يشاء الله له أن يستقيم . .<sup>(٢)</sup>

١- طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ١٤٧ . .

٢- ميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٢٧ ط ١ سنة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

(( تفسير الحسن البصرى ))

•••••

من تتبع تفسير الحسن البصرى للقرآن الكريم وأمعن النظر فيه يجد ان الأمام  
يميل بتفسيره الى ما يسمى فى هذا العصر بـ ( التفسير الاصلاحى ) حيث  
يميل الى بيان العبرة فى الآية الكريمة والموعظة والتذكير بيوم الآخرة لأنه - رحمه  
الله - رأى ان عصره ومجتمعه فى أمس الحاجة الى مثل هذا التفسير ولا شك ان -  
المجتمع الذى افترسته المادية واستحوذت عليه الشهوات ، واصيب بالافراق فى  
الترف ، والامان فى الامانى ، كان فى حاجة ملحة الى مثل هذا التفسير الذى  
يكشف الغطاء عن العميون ويمس القلوب .

وكان يصور فى اكثر تفسيره عصر الصحابة ، وما اتسم به من اخلاق وصفات ، ويقارن  
بين عصرهم وعصره ، ويصف التدهور الذى أصيب به المجتمع الاسلامى من بلبلية  
فى الفكر والمقيدة ، وكان اذا وصل الى هذه النقطة أثار الأحزان وأهاج الوجدان  
وكان تفسيره مثالا جميلا للنثر البليغ والادب الرفيع ، واسمع تفسيره عند قوله تعالى  
( وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا . . . )<sup>(١)</sup> الآية .

يقول الحسن البصرى " ان المؤمنين لما جاءتهم هذه الدعوة من اللـه  
صدقوا بها وأفضى يقينها الى قلوبهم خشمت قلوبهم وابدانهم وأبصارهم  
كنت واللـه اذا رأيتهم رأيت قوما كأنهم رأى عين ، واللـه ما كانوا بأهل جدل ولا باطل  
ولكنهم جاءهم امر من عند اللـه فصدقوا به ، فنمتهم اللـه فى القرآن أحسن نعمت  
فقال ( وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ) واليهون فى كلام العرب :  
اللين والسكينة والوقار . ( وانما خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ) حلما لا يجهلون

(١) سورة الفرقان ٦٣ - ٦٤

وان جهل عليهم خلقوا ، يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ، ثم ذكر  
 ليلهم خير ليل فقال : " والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً " ينتصبون لله  
 على أقدامهم ، ويخترشون وجوههم سجداً لربهم ، تجرى دموعهم على خدودهم  
 فرقا من ربهم ، لأمر ما سهروا ليلهم ، ولأمر ما خشوا نهارهم ، قال " والذين  
 يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً " وكل شيء يصيب  
 ابن آدم ثم يزول عنه فليس بفرام ، انما الفرام اللازم له ما دامت السموات والارض  
 صدق القوم والله الذي لا اله الا هو ، فعملوا ، وانتم تتمنون ، فاياكم وهذه  
 الاماني رحمكم الله : فان الله لم يعط عبداً بأمنيته خيراً في الدنيا والآخرة .<sup>(١)</sup>

من هذا النموذج من التفسير نعلم كيف كان الحسن البصرى رحمه الله  
 يقرأ القرآن بتدبر وامعان ، ولا عجب في ذلك فقد قسم القراء الى ثلاثة أقسام  
 قوم اتخذوه بضاعة يطلهون به ما عند الناس ، وقوم أجادوا حروفه وضمموا  
 حدوده يستدرون به أموال الولاة واستطالوا به على الناس - وقد كثر هذا الجنس  
 من حملة القرآن والعيان بالله - فلا كثر الله جمعهم ولا أبعد غيرهم ، وقوم  
 قرأوا القرآن فتدبروا آياته وتداووا به .<sup>(٢)</sup>

وكان رحمه الله من هذا القسم الذي يفهم معنى قراءة القرآن وتفسيره ، قرأ  
 رضى الله عنه قوله تعالى " وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا  
 ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون " <sup>(٣)</sup> ثم قال : " يا عجباً لمن يخاف  
 ملكاً ، او يتقى ظالماً بعد ايمانه بهذه الآية ، أما والله لو أن الناس اذا ابتلوا

(١) انظر رجال الفكر والدعوة في الاسلام للندوى ص ٧٢ - ٧٤ ط ٣ دار القلم  
 بالكويت .

(٢) الحسن البصرى للدكتور بيوصى ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٣) الأعراف ١٣٧ .

صبروا لأمر ربهم ، لفرج الله عنهم كربهم ولكنهم جزعوا من السيف فوكلوا الى الخوف  
ونعموا بالله من شر الهلاء .

وقرأ أيضا - رحمه الله - يوما ( الهاكم التكاثر )<sup>(١)</sup> ثم قال : انا لله وانا اليه  
راجعون ، الهى والله عن نار الخلود ، وشغل عن نعيم لا يبئد ثم قرأ ( كلا سوف  
تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ) ثم قال : أيسها الناس لو توعدكم مخلوق يموت لـ  
استقربكم القرار فكيف بوعد ملك الطوك والحن الذى لا يموت .  
وكان اذا قام بالقرآن وانتهى الى هذه السورة لم يتجاوزها ولا يزال يردد ها  
ويكى الى ان ينقطع تحبه .

وكان رضى الله عنه اذا تلى قوله تعالى ( فلنحيينه حياة طيبة )<sup>(٢)</sup> قال : لنرزقنه  
طاعة يجد لذتها فى قلبه . وفى رواية اخرى قال : لنرزقنه رزقا لا نمذبه عليه  
ثم يقول : حياة ابن آدم والله مرة الا حياته فى الجنة .<sup>(٣)</sup>

(( وفاة الحسن البصرى ))

.....

وكان من أثر هذا الاخلاص ، والتفانى فى الدعوة الى الله ، والتأثير فى القلوب  
أنه اجتمعت القلوب على حبه والاعتراف بفضله وشغلت به البصرة ، وكانت المدينة  
التي تلى دمشق فى العظمة والاهمية فى ذلك العصر حتى اذا مات - رحمه الله  
سنة ١١ هـ وكان دفنه بحد صلاة الجمعة تبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به ،  
فلم تقم صلاة العصر بالجامع : لانه لم يبق بالمسجد من يصلى العصر وقال بعضهم  
من شهد جنازته : لا أعلم ان صلاة العصر تركت فى الاسلام يعنى فى جامع البصرة  
الا يومئذ . رحمه الله الامام الكبير والفسر الجليل الحسن البصرى رحمة واسعة .<sup>(٤)</sup>

(١) سورة التكاثر ٤

(٢) سورة النحل ٩٧

(٣) الحسن البصرى للدكتور بيومى ص ١٩٦

(٤) انظر رجال الفكر والدعوة فى الاسلام للمندوى ص ٨٠

(( طبقة أهل المدينة ))

زيهد بن أسلم :

هو زيد بن أسلم العدوي يكنى أبا أسامة أو أبا عبد الله المدني الفقيه المفسر مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه <sup>(١)</sup> . كان من كبار التابعين وكان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته ، واستقدمه الوليد بن يزيد فى جماعة من فقهاء المدينة الى دمشق مستفتيا فى أمر <sup>(٢)</sup> .

وكان رجلا مهيبا ، قال ابن عجلان : ما هبت أحدا قط هيبتى لزيد بن أسلم <sup>(٣)</sup> وحدث ذات يوم بحديث ولم يسنده ، فسأله رجل : يا أبا أسامة عن هذا ؟ فقال يا ابن أخى ما كنا نجالس السفهاء .

وكان له حلقة كبيرة فى المسجد النبوى الشريف ، وكان على بن الحسن يجلس اليه فيستمع له ويترك مجالس قومه فقال له نافع بن جبير بن مطعم تتخطا مجالس قومك الى عبد عمر بن الخطاب ، فقال على : انما يجلس الرجل الى من ينفعه فى دينه <sup>(٤)</sup> .

ثناء العلماء عليه :

لقد أثنى علماء الجرح والتمديد على زيد بن أسلم وقال فيه أحمد وابوزرعة وأبو حاتم ومحمد بن سعد النسائى وابن خراش : ثقة .

(١) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٥ ط ١ سنة ١٣٢٥ هـ

(٢) التبيان فى علوم القرآن لمحمد على الصابونى ص ١٦٥

(٣) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٥

(٤) المصدر السابق والجزء ص ٣٩٦



وقال فيه يعقوب بن شيبة ثقة من أهل الفقه والعلم وكان عالما بتفسير القرآن ، وذكره ابن حبان في الثقات .<sup>(١)</sup> ويكفيها شهادة هؤلاء الاعلام دليلا قويا على ثقته وعدالته . قال أبو حازم الأعرج : لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعمين فقيها أدنى خصلة فبينا التماس بما في أيدينا ، وما رأيت فيه متمازين ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا .<sup>(٢)</sup>

وكان أبو حازم هذا يقول : لا أرانى الله يوم زيد ، انه لم يبق أحد أرضى لدينى ونفسى منه ، فأتاه نعى زيد فعقر فما شهد .<sup>(٣)</sup> .<sup>(٤)</sup>  
تفسيره :

وقد عرف زيد بن أسلم أنه كان من الذين يفسرون القرآن برأيهم واجتهادهم ولا يتخرجون من ذلك فقد روى حماد بن زيد ، عن عبيد الله بن عمر أنه قال فيه : لا اعلم به بأسا الا أنه يفسر برأيه القرآن ويكثر منه .<sup>(٥)</sup> وهذه شهادة من عبيد الله بن عمران زيد ثقة لا يؤخذ عليه شيء الا أنه كان يكثر من القول فى القرآن بالرأى ، وهذا لا يعد مفضا من عبيد الله فى ثقته وعدالته كما لا نستطيع أن نعد هذا طمعا منه فى علمه ، فلعل عبيد الله كان ممن يتورعون عن القول فى القرآن باجتهادهم كغيرة من الصحابة والتابعين وكان زيد يرى جواز

١- المصدر السابق والجزء ص ٣٩٧ .

٢- طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ١٧٦ انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٢ .

٣- المقر الجرج - انظر القاموس المحيط ج ٢ ص ٩٦ - المؤسسة العربية للطباعة

والنشر بيروت - لبنان .

٤- طبقات المفسرين للداودى ج ١ ص ١٧٦ .

٥- تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٦ .

تفسير القرآن بالرأى فلا يتخرج منه كما لم يتخرج من ذلك كثير من الصحابة  
 والتابعين ، ولا نجد في الملما من نسب زيد بن أسلم إلى مذهب من المذاهب  
 المتدعة حتى نقول انه كان يفسر القرآن برأية مطابقا لمذهب البدعي ، ولو كان  
 شي من ذلك لما سكت عبيد الله عن بيانه ، ولما حكم عليه حكمه هذا الذي يدل  
 على ثقته وعدالته ، وان دل على اختلافهما في جواز التفسير بالرأى (١) .

وأشهر من أخذ التفسير عن زيد بن أسلم من علماء المدينة : ابنه عبد الرحمن  
 بن زيد ومالك بن أنس امام دار الهجرة .

قال الذهبي في " تذكرة الحفاظ " ولزيد " تفسير " يرويه عنه ولده عبد الرحمن  
 وكان من الملما الأبرار . (٢)

وكانت وفاته سنة ست وثلاثين ومائة من الهجرة (٣) هو "أ" هم اعلام المفسرين  
 من التابعين ، استمدوا علومهم واقتبسوا معارفهم من الصحابة الكرام رضوان  
 الله عليهم أجمعين ، وعنهم أخذ تابعوا التابعين . ومن بعدهم من العلماء  
 العاطلين .

وهكذا حفظ دين الله وكتابه ، وشريعته وعلومه ومعارفه سليمة كاملة ، عن  
 طريق التلقي والتلقين ، جيلا عن جيل ، مصداقا لقوله تعالى " انا نحن نزلنا  
 الذكر وانا له لحافظون " (٤) .

وهكذا حفظ الله كتابه بحفظ هو "أ" الرجال الاعلام ، والثقات الأفاضل

١- التفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ١١٧ .

٢- تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٣٢-١٣٣ .

٣- تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٧ ، انظر طبقات المفسرين للداودي ج ١ ص ١٧٦ .

٤- الحجر ٩ .

الذين كرسوا جهودهم في خدمة العلم والدين ، فجزاهم الله عن الاسلام  
والمسلمين خيرا الجزاء .

#### المبحث الرابع

الرأى وموقف علماء المسلمين بالنسبة الى استعماله فى الشريعة

#### الاسلامية

م م م م م م م

ويحسن بنا قبل أن ندخل فى صلب الموضوع الذى هو " التفسير بالرأى " .  
ان نبين معنى كلمة " الرأى " - كما سبق أن بينا معنى كلمة التفسير فى التمهيد  
ثم نتبع ذلك ببيان موقف علماء المسلمين بالنسبة الى استعمال الرأى فى الشريعة  
الاسلامية . .

#### معنى كلمة الرأى فى اللغة :

رأى : عينه همزة ولا مه ياء لقولهم رؤئية ، وتحذف الهمزة من مستقبله  
فيقال ترى ويرى ونرى . قال تعالى " فاما ترى من البشر أحد <sup>(١)</sup> . وقال أيضا  
" أرنا اللذين أضلنا من الجن والانس " <sup>(٢)</sup> .

والرؤية المراد المرئى وذلك أنواع بحسب قوى النفس ، والأول بالحاسة  
وما يجرى مجراها نحو قوله تعالى " لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين <sup>(٣)</sup> ،  
وقوله تعالى " ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله <sup>(٤)</sup> ولقد مقلوا بما يجرى مجرى

- ١- مريم ٢٦ .
- ٢- فصلت ٢٩ .
- ٣- التكاثر ٧ .
- ٤- الزمر ٦٠ .

الحاسة بقوله تعالى " فسيرى الله عظمكم <sup>(١)</sup> " فقالوا : انه مما أجرى مجرى الرؤية الحاسة فان الحاسة لاتصح على الله تعالى عن ذلك <sup>(٢)</sup> قلت وهذا القول فيه نظر .

والثانى : بالوهم والتخيل نحو : أرى أن زيدا منطلق .

والثالث : بالتفكر نحو : " انى أرى مالاترون " .

والرابع : بالعقل وعلى ذلك قوله تعالى " ما كذب الفؤاد ما رأى <sup>(٣)</sup> وعلى

ذلك حمل قوله تعالى " ولقد رآه نزله أخرى " .

قال الجوهري : الرؤية بالعين تتمدى الى مفعول واحد ، ومعنى العلم

تتمدى الى مفعولين ، يقال : رأى زيد عالما <sup>(٤)</sup> وقال الراغب : رأى اذا عدى

الى مفعولين اقتضى معنى العلم واذا عدى بالى اقتضى معنى النظر المؤدى الى

الاعتبار . . . <sup>(٥)</sup>

الرأى هو العقل والتدبر وجمعه آراء وهو مقلوب والأصل فيه أراء ورجل

ذو رأى اى بصيرة بالأمر ، والعرب تسمى الحاذق والفظن ذا الرأى ومنه تسميتهم

العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الرأى ، وكذلك

الحباب بن المنذر الأنصارى الذى أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بتغيير مواقع المسلمين العسكرية يوم بدر ، والنزول بين قريش وبين الماء

بحيث يكون الماء تحت أيدى المسلمين فلا يتحكم فيهم العدو .

١- التوبة ٩٤ . . .

٢- المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهاني تحقيق محمد سيد كيلانى

الطبعة الاخيرة ص ٢٠٩ انظر تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ج ١٠

ص ١٣٩ ط ١ - مطبعة الخيرية سنة ١٣٠٦ هـ . . .

٣- النجم ١١ - ١٣ . . .

٤- الصحاح للجوهري تحقيق احمد عبد المنفور عطا ج ٦ ص ٢٣٤٧ - مطبعة

دار الكتاب العربى بمصر سنة ١٣٧٧ هـ . . .

٥- المفردات للراغب الاصفهاني ص ٢٠٩ . . .

وربيعة الرأي شيخ الامام مالك ، وامرؤ القيس يسمى بذلك لقياس الأُمور

برأية ، يقال فلان يتراء برأى فلان اذا كان يرى رأيه ويميل اليه ، ويقتدى به .<sup>(١)</sup>

وأصحاب الرأي عند اهل الحديث هم أصحاب القياس لأنهم يقولون برأيهم فيمسالم

يجدوا فيه حديثا أو أثرا ، وفيما أشكل عليهم من الحديث ، أو الآيات القرآنيـمه

يقول الامام ابن قيم الجوزيه في كتابه " اعلام الموقعين عن رب العالمين

" عند كلامه عن الرأي : الرأي في الاصل مصدر رأى الشيء يراه رأيا ، ثم غلب

استعماله على المرئى نفسه من باب استعمال المصدر في المفعول ، كالهوى فى

الأصل مصدر هويه يهواه هوى ، ثم استعمل فى الشيء الذى يهوى ، فيقال :

هذا هوى فلان والعرب تفرق بين مصادر فعل الرؤيه بحسب معالها فتقول رأى كذا

فى النوم رؤيا ورآه فى الهقطه رؤيه . ورأى كذا لما يعلم بالقلب ولا يرى بالعين

رأيا .<sup>(٢)</sup>

وفى اصطلاح الاصوليين هو : ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفه

وجوه الصواب مما تتعارض فيه الامارات . .<sup>(٤)</sup>

فخرج بقولنا بعد فكر وتأمل من رأى بقلبه أمرا غائبا عنه مما يحسب أن يذكره

بعد نسيان فذكره فهذا لا يقال له رأى ، ولا هذا رأى فلان ، لانه لم يأت

عن فكر وتأمل وطلب بل يهجم على القلب دفعة واحدة بالهام من الله سبحانه

وتعالى . .

١- لسان العرب لابن منظور ج ٩ ص ١٣٠ - الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٢- تاج العروس ج ١٠ ص ١٤١ .

٣- اعلام الموقعين تحقيق عبد الرحمن الوكيل ج ١ ص ٦٩-٧٠ مطبعة المدنى بمصر .

٤- اعلام الموقعين تحقيق عبد الرحمن الوكيل ج ١ ص ٧٠ مطبعة المدنى بمصر .

وخرج بقولنا مما تتعارض فيه الامارات : الأمر المعقول الذي لا تختلف فيه  
المقول ولا تتعارض فيه الدلائل والامارات كدقائق الحساب ونحوها من الهدى هيئات  
والضروريات والنظريات ذات المقدمات الضرورية ، فكل منها لا يقال له رأى وان احتاج  
الى فكر وتأمل .

وخرج به كذلك استصحاب الحال فان العقل يحكم باستمرار عدم ما كان  
معدوما ، واستمرار وجود ما كان موجودا حتى يعلم أو يظن خلافه ، ولا يحتاج  
فى ذلك الى تأمل وفكر ولا تتعارض فيه الامارات فمده من قبيل الرأى تجرور  
ليس الا (١) . .

---

١- الرأى عند الامام أحمد بن حنبل لمثمان ابراهيم الشهيد ص ٦٥ - ٦٧

انظر اعلام الموقمين ج ١ ص ٧٠ .

موقف علماء المسلمين بالنسبة لاستعمال الرأي في الشريعة الإسلامية :

والكلام عن موقف العلماء في هذا الموضوع يقتضى تقديم مقدّمات لا مندوحة عنها  
عنهما إذ هما كالمعالم على جانبي الطريق تهدي إلى الرشاد ، أو كالتنوير  
الهادي الذي يعصم من السقوط والزلل .

المقدمة الأولى لمحّة إلى الاجتهاد في الإسلام والثانية إلى القياس في  
الإسلام .

وقبل البدء بتعريف كل منهما نود أن نلفت النظر إلى أن بعض العلماء  
يرون أن الاجتهاد والقياس بمعنى واحد ، ولقد سئل الإمام الشافعي عن القياس  
أهو الاجتهاد ؟ أم هما مفترقان ؟ فقال : هما اسمان لمعنى واحد ، ثم قيل  
له فما جماعهما ؟ فقال : كل ما نزل بمسلم فقيه حكم لازم ، أو على سبيل الحق  
فيه دلالة موجودة ، وعليه إذا كان فيه بعينه حكم اتباعه ، وإذا لم يكن فيسه  
بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد والاجتهاد القياس . (١)

وأما الاجتهاد لغة :

فالجهد بالفتح والضم لفتان في الطاقة والمشقة والوسع والمبالغة . (٢)  
جهد دابته واجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها ، وجهد الرجل  
في الامرائجد وتمب فيه وبالغ . (٣)

- 
- ١- الرسالة للإمام الشافعي تحقيق احمد محمد شاكر ص ٤٧٧ - طبعة الأولى  
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٤٠ م .
  - ٢- الصحاح للجوهري ج ١ ص ٤٥٧ انظر تاج المروسر ج ٢ ص ٣٢٩ .
  - ٣- الصحاح للجوهري ج ١ ص ٤٥٧ .

وقال تعالى " والذين لا يجدون الا جهدهم " (١) وقال تعالى " وأقسموا بالله جهداً  
جهداً أيمنهم " (٢) أي خلقوا واجتهدوا في الحلف ان يأتوا به على أبلغ ما نفس  
وسمهم . . . (٣)

الاجتهاد هو : أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة في طلب ، وفي حديث  
معاذ بن جبل اجتهد رأيي أي ابذل كل ما في وسعي في طلب الأمر والمراد به  
رد القضية عن طريق القياس الى الكتاب والسنة . . . (٤)

وهذه كلها في اللغة واما في الاصطلاح فقد عرفوه بعدة تعريفات نكتفي  
بواحد منها :

وهو بذل الجهد من المجتهد في درك الاحكام الشرعية الفرعية ———  
أدلتها التفصيلية . . . (٥)

والمراد ببذل الجهد - وهو جنس في التعريف ، او كالجنس فيه - بذل تمام  
المقدور والطاقة ، واستقصاء الوسع بحيث يحس البازل بالمجرع عن بذل المزيد  
لان الناظر في استعمال كلمة الاجتهاد يجد أنها قد اشتملت هي وما اشتق  
منها من الكلمات - غالباً - في معان تنبئ عن العمل فوق مستوى الاعمال العادية  
وعن الحالة التي يصعب تحملها او لا تكون مرغوباً فيها . . . (٦)

فلا يدخل في جنس التعريف اجتهاد القاصر ، ولا حاجة الى الاتيان بقيس

- 
- ١- التوبة ٧٩ .
  - ٢- الانعام ١٠٩ .
  - ٣- المفردات في غريب القرآن للراغب ص ١٠١ .
  - ٤- تارح المروس ج ١ ص ٣٣٠ .
  - ٥- انظر الاسنوى على المنهاج ج ٣ ص ١٩١ ، وجمع الجوامع ج ٢ ص ٣٧٩ .
  - ٦- انظر كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام للجزدي لأحمد البخاري ج ٤ ص ١٤  
دار الكتب العربي سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م بيروت لبنان .



بمخرجة منه وكذلك لم يدخل فى جنس التصريف معرفة ما هو من الدين بالضرورة  
 مما لا يحتاج فى فهمه الى تحمل مشقة<sup>(١)</sup> .

ولقد استفتح علماء الأصول تعريفاتهم للاجتهاد بألفاظ : بذل الطاقنة  
 وبذل المجهود ، وبذل الوسع ، واستفراغ الوسع ، واستفراغ الجهد او المجهود  
 وكل هذه الكلمات والمعانى تؤدى الى نفس المعنى الذى قصدناه ألا وهو —  
 " بذل الجهد " .

لقد قسموا الاجتهاد الى قسمين : مطلق وغير مطلق .

فالا جتهاد المطلق هو القدرة على استنباط الأحكام من أدلتها فى كل الحوادث التى  
 تقع وتحدث ، ويسمى من توجد عنده هذه القدرة بالمجتهد المطلق ، وانا أطلق  
 لفظ الاجتهاد انصرف اليه .

واما الاجتهاد غير المطلق . ويسمى المقيد فهو بذل الجهد لمعرفة  
 حكم شرعى على من دليله التفصيلى ولكن مع التقيد فى أخذ الحكم من دليله  
 بأصول مجتهد معين ومع التقيد بطرق استنباطه ووجوه استدلاله .

فالفرق بين الاجتهاديين اذا هو : ان المجتهد اجتهادا مطلقا مستقل  
 فى استنباط الحكم من دليله مرجعه فى الاستنباط أدلة الاحكام الشرعية  
 واعتماده فيه على ما قرره الشريعة من مبادئ عامة وعلى ما تقرره اللغة من  
 قواعد يستعان بها على فهم النصوص وأخذ الاحكام منها ، بينما المجتهد اجتهادا  
 مقيدا غير مستقل فى استنباط الحكم من دليله بل مقيد فى استنباطه بالأصول  
 والقواعد التى ارتضاها غيره من المجتهدين وطرق هذا الغير فى الاستنباط  
 وفهم النصوص .

١- الاجتهاد للسيد محمد موسى ص ٩٩ . . .

لقد اتفق علماء المسلمين المفتبرين على ان الاجتهاد أصل من أصول الشريعة . ولم يتلف في ذلك أحد اللهم الا اختلافهم فيمن يجوز له الاجتهاد وفي العصر الذي يجوز فيه الاجتهاد .

وقد استدلو بجواز الاجتهاد بل بوجوده عند البعض بما يأتي :

١- قوله تعالى : " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله " (١) .

وقوله تعالى " كذلك نفضل الآيات لقوم يتفكرون " (٢) وقوله تعالى " كذلك نفضل الآيات لقلوم يعقلون " (٣) .

كما استدلو بحديث معاذ بن جبل المشهور حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا الى اليمن قال له : بم تقضى ؟ قال : بما في كتاب الله قال : فان لم تجد في كتاب الله ؟ قال : اقضى بما قضى به رسول الله ، قال : فان لم تجد فيما قضى به رسول الله ؟ قال : اجتهد برأى قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسوله وتبين لما ذكروها من الآيات وحديث أنه سند للاجتهاد . .

١- النساء ١٠٥ .

٢- يونس ٢٤ .

٣- الروم ٢٨ .

## القياس

مممم

واما القياس فتعريفه لغة : التقدير ، ومنه يقال : قست الارض بالقصبــــــــــــــــة  
والثوب بالذراع ، قدرتهما بذلك ، وقاس الطبيب الجرح اذا سبره بالسبــــــــــــــــار  
ليصرف مقدار غوره .<sup>(١)</sup>

والتقدير يستدعي أمرين يضاف أحدهما الى الآخر بالمساواة فهو نسبــــــــــــــــة  
وانحافة بين شيئين ولهذا يقال : فلان يقاس بفلان ولا يقاس به اى يساويهــــــــــــــــة  
أولا يساويه . .<sup>(٢)</sup>

فالتسوية لازمة للتقدير ، ومن هنا قال الأصوليون فى تعريف القياس :  
انه تسوية او مساواة بين شيئين فى علة تجمع بينهما تقتضى استواءهما فــــــــــــــــى  
الحكم . .<sup>(٣)</sup>

### تعريفه فى الاصطلاح :

القياس : اما ان يكون جمعا بين متماثلين ، فذلك قياس المساواة .  
أو قياس الطرد ، او فرقا بين مختلفين ، فذلك قياس العكس .

### قياس المساواة :

مممممممممم

قياس المساواة هو المتبادر من اطلاق لفظ القياس لدى علماء الأصول وقد ذكروا

١- اصول السرخى تحقيق ابى الوفا الافغانى ج ٢ ص ١٤٣ - دار المعرفة للطباعة  
والنشر بيروت لبنان .

٢- الاحكام للآمدى ج ٣ ص ٢٦١ - مطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .  
انظر شرح الهدخشى ج ٣ ص ٣ - مطبعة محمد على صبيح بمصر .

٣- الاحكام للآمدى ج ٣ ص ١٨٣ .

في تعريفه عبارات كثيرة يمكن حصرها في مجموعتين :

المجموعة الأولى : تعرفه بوصفه عملاً من أعمال المجتهد فتري عبارات : الاثبات والحمل ، والتمدية ، والابانة . . . ومن أشهرها تعريف القاضي أبي بكر الباقلاني الذي تابعه عليه أكثر الأصوليين مع اختلاف يسير في الالفاظ وهو القياس : حمل معلوم على معلوم في اثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما من اثبات حكم أو صفة لهما أو نفيهما عنهما . . (١)

الناظر المتأمل في هذا التعريف يجد في بعض الفاظه مثل : حمل ، واثبات ، والأول يوهم ان الفرع والأصل يصدقان على شيء واحد لأن المحمول عليه لا بد أن يكونا متحدين فيما يصدقان عليه مع أن واقعة الاصل غير واقعة الفرع ، والثاني يوهم ان القائل يثبت حكماً في الفرع وينشئه مع أنه في الحقيقة يكشف ويظهر أن حكمه هو حكم الأصل . . (٢)

والمجموعة الثانية :

تعرفه باعتباره دليلاً شرعياً نظر فيه المجتهد أو لم ينظر كالكتاب والسنة اذ لا تتوقف حجية السنة على نقلها عن طريق ، الرواية فعمل الراوي لا يتمدى الاعلام والاخبار بصدور هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اما كونها يجب العمل به فهذا يستفاد من الادلة على حجية السنة ، وكذلك القياس هو دليل شرعي نصبه الله للدلالة على حكم الفرع والمجتهد كاشف عنه باجتهاده وليس بمنشئ له .

١- الاحكام للآمدى ج ٣ ص ٢٦٦ .

٢- انظر مصادر التشريع الاسلامي فيما لانص فيه لمبد الوهاب باخلاف ص ٢٢ ط ٣

سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م - دار القلم للطباعة والنشر الكويت .

ومن أشهر التعريفات على هذا النظر قولهم : انه " مساواة فرع لأصل في علة حكمه " . وهذا مختار الأمدى ، وابن الحاجب <sup>(١)</sup> ، وانتصر له ابن الهمام في التحرير وأطال شرحه وضمف ماعداه من التعريفات ، وزاد عليه قيود أخرى هي محل فقال : " وهو مساواة محل لأخر في علة حكم له شرعى لا تدرك من نصه بمجرد فهم اللفظة <sup>(٢)</sup> . غير بالمحل بدلا من الأصل والفرع ليتجنب ايهام الدور الناشئ عن توقف معرفة الأصل والفرع على معرفة القياس فكيف يؤخذ ان في تعريفه .

وقيد الحكم بالشرع ليخرج الأحكام غير الشرعية ، كالعقوبة واللفوية ووصف العلة بأنها لا تدرك من نصه بمجرد فهم اللفظة ، لأن العلة في القياس تحتاج في فهمها وادراكها الى تأمل ونظر واجتهاد . فان كانت العلة من الظهور والوضوح بحيث يمكن ادراكها لكل من يعرف اللفظة ، ومعانى الالفاظ اللفوية فان ثبوت الحكم بواسطتها في المحل الذى لم ينص على حكمه لا يسمى قياسا وانما يسمى دلالة نص .

وذلك كنبوت حرمة ضرب الوالدين وسبهما المفهوم من قوله تعالى فلا تقل لهما أف <sup>(٣)</sup> . فان كل من يعرف اللفظة ، يدرك ان العلة في تحريم التأفif هو ما فيه من الحاق الأذى بالوالدين ، فيكون تحريم الضرب وما مثله ثابتا بالطريق الأولى فالعلة هنا لا يحتاج في فهمها الى تأمل واجتهاد ولهذا جن في التعريف بهذا القيد ( لا تدرك من نصه بمجرد فهم اللفظة ) .

١- انظر الاحكام للأمدى ج ٣ ص ١٩ ، ومختصر ابن الحاجب بشرح المصدي ج ٢ ص ٢٠٤ .

٢- تيسير التحرير ج ٣ ص ٢٦٤ . طبع سنة ١٣٥١ هـ بمطبعة مصطفى الهابى الحلبي بمصر .

٣- الاسراء ٢٣ .

والذى يظهر ان تعريف ابن الهمام واتباعه هو الأولى بالقبول ، لانه التعميرى الذى يكشف عن حقيقة القياس باعتباره دليلا من الادلة الشرعية نصبه الله سبحانه وتعالى للدلالة على الأحكام ، نظرفيه المجتهد او لم ينظر ، ثم هو تحديد لشيء بخصائصه الذاتية وذلك مطلوب فى الحد ما أمكن .

أما تعريفات المجموعة الأولى فانها تعريف القياس بثمرته وهى اثبات الحكم فى الفرع او الظن بثبوته فى الفرع ومعرفة الثمرة تتوقف على معرفة الثمر فلا تخلو من دور أو شائبة دور .  
قياس العكس :

اما قياس العكس فهو : تحصيل نقيض حكم المعلوم ما فى غيره لتنافيهما فى علة الحكم .  
ومن أمثله ما تضمنه قوله تعالى " أمن يخلق كمن لا يخلق " <sup>(٢)</sup> فقد أثبت الله تعالى لنفسه الشرف باستحقاق الألوهية وأنكر أن يكون غيره مستحقا لذلك استقلالاً او اشتراكاً لتنافيهما فى الموجب وهو الخلق . فله الخلق والأمر وحده وغيره ليس اليه شئ من ذلك . . .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم " وفى بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله أى ايتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام أكلان عليه وزر ؟ فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر " <sup>(٣)</sup> . . .

- 
- ١- الاحكام للامدى تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفى ج ٣ ص ١٨٣ انظر تيسير التحرير ج ٣ ص ٢٧١ .
  - ٢- النحل ١٧٠٠ .
  - ٣- صحيح مسلم ج ٣ ص ٨٢ انظر تعليق عبد الرزاق عفيفى فى الاحكام للامدى ج ٣ ص ١٨٣ . . .

حجية القياس وعدمه

—————

اتفق جميع علماء المسلمين على أن القياس حجة في الأمور الدنيوية كما فسروا  
الأدوية والأغذية ، وكذلك اتفقوا على حجية القياس الصادر منه صلى الله عليه  
(١)  
وسلم . .

واختلفوا في القياس الشرعي فكانوا فيه على أربعة مذاهب :  
الأول : انه يستحيل التعمد به عقلا ، وهذا هو قول ابراهيم النظام<sup>(٢)</sup> والشيمية  
وجماعة من معتزلة بغداد كينحي الاسكافي وجمفر بن مبشر وجمفر  
(٣)  
بين حرب .

الثاني : وجوب التعمد به عقلا ، وهذا هو قول القفال من أصحاب الشافعي  
وأبي الحسن البصري .

الثالث : جواز التعمد به عقلا ، الا أنه لم يرد التعمد به شرعا ، بل ورد الشرع  
بحظره ، وهذا هو قول داود بن علي الاصفهاني الظاهري وابنه محمد

---

١- ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ص ١٩٩ ط ١ بمطبعة

مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .

٢- وهو أول من بدأ بنفس القياس ، وطمن في السلف لا احتجاجهم بالقياس  
ونسبهم بتهوره الى خلاف ما وصفهم الله به ، فخلع به ريقه الاسلام من عنقه  
وكان ذلك منه اما للقصد الى افساد طريق المسلمين عليهم او للجهل منه بفقده  
الشريعة ( انظر أصول السرخسي ج ٢ ص ١١٨ - ١١٩ ) .

٣- الاحكام للامدي ج ٤ ص ٥ - ٦ .

وجميع أهل الظاهر ومنهم ابن هزم ، والقاشاني والنهرواني ؛ غير أن داود وابن سبه والقاشاني والنهرواني كانوا يقولون بالقياس فيما كانت علتة منصوصة أو موسى اليها .  
 الرابع ؛ جواز التمسك به عقلا ووقوعه شرعا وهذا قول السلف من الصحابة والتابعين والشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل وأكثر الفقهاء والمتكلمين ، وهذا طرف من الأدلة التي استدلت بها النفاة للقياس والمثبتون له وذلك على سبيل الاجمال :

### أدلة النافين لحجيتهم :

أستدل نفاة القياس على أنه ليس حجة شرعية بالكتاب والسنة وآثار الصحابة والمعقول .

أما الكتاب : فقد أوردوا آيات كثيرة وأظهرها ما يأتي :

١-قوله تعالى " اولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم <sup>(١)</sup> ووجه الاستدلال

بالآية هو أن المصير الى الرأي لا يثبت حكم في محل قول بأن الكتاب غير كاف .

٢- وقوله تعالى : " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء <sup>(٢)</sup> " وقال تعالى : " ما فرطنا

في الكتاب من شيء <sup>(٣)</sup> " . وقال تعالى : " ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين <sup>(٤)</sup> "

ووجه الاستدلال من هذه الآيات هو أن القرآن فيه بيان كل شيء ، ولا حاجة

معه الى التشريع بالقياس لأنه اذا دل القياس على نفس ما دل عليه القرآن

فلا حاجة اليه ، واذا دل على خلافه فمردود ومن ثم فلا يعمل به والعمل به

يوهدى الى أن في الكتاب تفريطا ، وأنه ليس تبيانا لكل شيء .

١- المنكوت ٥١ .

٢- النحل ٨٩ .

٣- الأنعام ٣٨ .

٤- الأنعام ٥٩ .



٣- ومنها قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله <sup>(١)</sup> " وقال تعالى " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون <sup>(٢)</sup> ". " الظالمون " " الفاسقون " ووجه الاستدلال هو أن الصلح بالرأى فيه تقديم بين يدي الله ورسوله وهو حكم بغير ما أنزل الله ، فأن طريقة الاستنباط بأرائنا لا يكون مما أنزل الله في شيء ، إنما المنزل كتاب الله وسنة رسوله ، فقد ثبت أنه ما كان ينطق إلا عن وحى ، كما قال تعالى " ان هو إلا وحى يوحى <sup>(٣)</sup> ". وقال تعالى " لتبين للناس ما نزل إليهم <sup>(٤)</sup> " وإنما الحكم بالرأى من جملة ما قال الله تعالى : ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام <sup>(٥)</sup> ". الآية

وأما السنة :- فقد استدلوها بظاهر أحاديث كثيرة منها :

حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لم يسزل بنو إسرائيل على طريقة مستقيمة حتى كثر فيهم أولاد السبايا ، فقا سوا ما لم يكن بما قد كان فضلوا وأضلوا " .

وفى حديث أبي هريرة أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تحمل هذه الأمة برهة بالكتاب ثم برهة بالسنة ثم برهة بالرأى فإذا فعلوا ذلك ضلوا " ووجه الاستدلال هو ان الرسول صلى الله عليه وسلم جعل العمل بالقياس والرأى موجهبا

---

١- الحجرات ١

٢- المائدة ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ .

٣- النجم ٤ .

٤- النحل ٤٤ .

٥- النحل ١١٦ ، انظر اصول السرخسى تحقيق أبى الوفا ج ٢ ص ١٢٠ ، والمحلى لابن حزم ج ١ ص ٥٦ - المكتب التجارى للطباعة والنشر بيروت ، انظر كذلك كشف الاسرار على البزدوى ج ٣ ص ٢٧١ طبعة دار الكتب العربى بيروت سنة

للضلال .

ومنها ؛ قول الرسول صلى الله عليه وسلم ( ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها )  
 وحد حدودا فلا تعتدوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء  
 رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها ) ووجه الاستدلال هو أن الحديث يدل على  
 أن الأشياء إما واجبة وإما حرام ، وإما مسكوت عنها ، فهي في دائرة المعفو  
 عنه أو الحاح والمقيس من المسكوت عنه ، فهو في دائرة المعفو عنه بلا ريب ، فاذا  
 قسنا المسكوت عنه على الواجب مثلا نكون قد أوجبنا ما لم يوجبه الله ، وإذا قسناه  
 على الحرام نكون قد حرمنا ما لم يحرمه الله .

وأما اقوال الصحابة فقد استدلوا بما يأتي :

روى عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال : " أى ارضي تقلنى ، وأى سماء تظلمنى  
 اذا قلت فى كتاب الله برأىي .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه " اياكم وأصحاب الرأى فانهم اعداء الدين  
 اعيتهم السنة أن يحفظوها فقالوا برأيتهم فضلوا وأضلو " .

وقال على رضى الله عنه " لو كان الدين يؤخذ بالرأى لكان باطن الخف أولسى  
 بالمسح من ظاهره .

وقال ابن سمود رضى الله عنه " اياكم وأرأيت وأرأيت فانما هلك من كان قبلكم  
 فى أرأيت وأرأيت " (١) .

(١) انظر اصول السرخسى ج ٢ ص ١٢١ ، وكشف الاسرار على المبرزوى ج ٣

وأما المعقول فقالوا :

( ١ ) ان القول بالشمع بالقياس يفضى الى الاختلاف ، وذلك عندما اذا ظهر لكل واحد من المجتهدين قياس مقتضاه نقيض حكم الآخر ، والاختلاف ليس من الدين لقوله تعالى ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا )<sup>(١)</sup> وقوله تعالى ( أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه )<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى ( ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم )<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى ( ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا )<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى ( ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا )<sup>(٥)</sup> ذكر ذلك في معرض الذم ، ولازم على ما يكون من الدين ، وقد ذم الصحابة الاختلاف حتى قال عمر " لا تختلفوا فانكم ان اختلفتم كان من بعدكم أشد اختلافا " وأنه لصا سمع ابن مسعود وأبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد أو الاثني ، صمد المنبر وقال " رجالان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلافا ، فمن أى فتياكم يصدر المسلمون ؟ لا أسمع اثنين يختلفان بحد مقامى هذا الا فعلت وصنمت"<sup>(٦)</sup> وقال جرير بن كليب " رأيت عمر ينهى عن العتمة وعليها يأمر بها ، فقلت ان بينكما لشرا " وكتب على رضى الله عنه الى قضاته أيام خلافته أن اقضوا كما كنتم تقضون ، فانى اكره الخلاف وارجو ان اموت كما مات أصحابي .<sup>(٧)</sup>

(١) سورة النساء ٨٣

(٢) سورة الشورى ١٣

(٣) سورة الانفال ٤٦

(٤) سورة الانعام ١٥٩

(٥) سورة آل عمران ١٠٥

(٦) الاحكام للامدى ج ٤ ص ١٠ - ١١

(٧) المصدر السابق والجزء ص ١١

( ٢ ) أنه اذا اختلفت الأقسية في نظر المجتهدين ، فاما أن يقال بأن كل مجتهد صيب ، فيلزم منه أن يكون الشيء ونقيضه حقاً ، وهو محال ، واما أن يقال بأن الصيب واحد ، وهو أيضا محال ، فانه ليس تصويب أحد الظنين ، مع استوائهما ، دون الآخر أولى من العكس .

( ٣ ) أنه لو جاز التصيد بالقياس ، لأفضى ذلك الى ثقبيل الأدلة وتكافئها وأن يكون الرب تعالى موجبا للشيء ومحرما له ، وهو محال على الله تعالى وبیان ذلك أنه قد يتردد الفرع بين أصلين حكم أحدهما الحل والآخر الحرمة ، فاذا ظهر في نظر المجتهد شبه الفرع بكل واحد منهما لزم الحكم بالحل والحرمة في شيء واحد وذلك محال (١) .

#### أدلة القائلين بحجية القياس :

استدل الجمهور على كون القياس حجة بالكتاب والسنة والاجماع والمعقول :

( ١ ) اما الكتاب فقوله تعالى ( فاعتبروا يا أولى الأبصار )<sup>(٢)</sup> ووجه الاستدلال ان الله سبحانه وتعالى أمر بالاعتبار ، والاعتبار هو الانتقال من الشيء الى غيره ، ولهذا قال ابن عباس في الأسنان : أعتبر حكمها بالأصابع في أن ديتها مساوية ، أطلق الاعتبار وأراد به نقل حكم الأصابع الى الأسنان ، والأصل في الاطلاق الحقيقة ، واذا ثبت ان القياس مأور به : فالأمر اما ان يكون للوجوب او للندب ، وعلى كلا التقديرين فالعمل بالقياس يكون مشروعا<sup>(٣)</sup> .

(١) الأحكام للآمدی ج ٤ ص ١٠ - ١١

(٢) الحشر ٢

(٣) الأحكام للآمدی ج ٤ ص ٣٨ . انظر شرح البدخشي ج ٣ ص ١١

( ٢ ) وقوله تعالى ( فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول <sup>(١)</sup> ) ووجه الاستدلال ان الله تعالى أمر المؤمنين أن تنازعوا واختلفوا فى شىء ليس لله ولا لرسوله ولا أولى الأمر منهم حكم فيه ان يردوه الى الله والى الرسول ورده اى ارجاعه الى الله والى الرسول ، باطلاقه يشمل كل ما يصدق عليه أنه رد اليهما ، فردوه الى قواعد الشرع الكلية رد الى الله ورسوله وهـذا هو القياس ، واذن فالقياس مأمور به فيكون مشروعاً وهو المطلوب ولا يجوز أن يقال المراد هو الرجوع الى الكتاب والسنة ، لأنه علق ذلك بالمنازعة والأمر بالعمل بالكتاب والسنة غير متعلق بشروط المنازعة ، ولأن المنازعة بين المؤمنين فى احكام الشرع قلما تقع فيما فيه نص من كتاب أو سنة فعرف بذلك أن المراد به المنازعة فيما ليس فى عينه نص ، وان المراد هو الأمر بالرد الى الكتاب والسنة بطريق التأمل فيما هو مثل ذلك الشىء من المنصوص وانما تعرف هذه المماثلة باعمال الرأى وطلب المعنى فيه . <sup>(٢)</sup>

واما السنة : فأظهر ما استدلوا به ما يأتى :

( ١ ) ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لمعان حين بعثه الى اليمن قاضياً : " بم تقضى ؟ قال بكتاب الله ، قال : فان لم تجد فى كتاب الله قال : بسنة رسول الله ، قال فان لم تجد فى سنة رسول الله ؟ قال : اجتهد رأىي ولا آلو ، فضرب رسول الله صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله "

(١)

(٢) اصول السرخسى ج ٢ ص ١٢٩

ووجه الاستدلال هو أن اجتهاد الرأي لا بد وأن يكون مردود الى اصل والا كان  
مرسلا ، والرأي المرسل غير مقبول ، وذلك هو القياس ،<sup>(١)</sup>

( ٢ ) وما روى انه عليه السلام قال لصرحين سئله عن القبلة في حالة الصوم : رأيت  
لو تضرعت بما ثم مجبته أكان يضرك ؟ وهذا تعليل المقايسة فان بالقبلة  
يفتح طريق اقتضاء الشهوة ولا يحصل بعينه اقتضاء الشهوة كما أن بادخال  
الماء في الفم يفتح طريق الشرب ولا يحصل به الشرب .<sup>(٢)</sup>

( ٣ ) وأيضا ما روى عنه عليه السلام انه قال لعمان وأبي موسى الأشعري وقعد  
أنفذهما الى اليمن " بم تقضيان ؟ فقالا : ان لم نجد الحكم في الكتاب  
ولا السنة قسنا الامر بالامر ، فما كان أقرب الى الحق عملنا به " لقد صرحوا  
بالعمل بالقياس والرسول صلى الله عليه وسلم أقرهما عليه فكان حجة .<sup>(٣)</sup>

( ٤ ) وما روى أنه عليه السلام قال لصرابين العاص رضي الله عنه " اقض بين هذين  
قال : على ماذا اقضى ؟ فقال : على أنك ان اجتهدت فأصبت فلك عشر  
حسنات وان اخطأت فلك حسنة واحدة " ووجه الاستدلال هو أنه لو لم يكن  
اجتهاد الرأي فيما لا نص فيه مدارك احكام الشرع لما أمر به رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بحضرته .<sup>(٤)</sup>

(١) الاحكام للآمدى ج ٤ ص ٣٢ ، انظر اصول السرخسي ج ٢ ص ١٣٠

(٢) اصول السرخسي ج ٢ ص ١٣٠

(٣) الاحكام للآمدى ج ٤ ص ٣٣

(٤) اصول السرخسي ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣١

## الاجماع :

واما الاجماع - كما قال الأمدى فى كتابه ( الأحكام ) وهو أقوى الحجج فى هذه المسألة <sup>(١)</sup> ، فهو ان الصحابة الفقوا على استعمال القياس فى الوقائع التى لا نص فيها ، وتكرر ذلك منهم ، وشاع من غير تكبر من أحد منهم فىكون ذلك اجماعا على حجية القياس . فمن ذلك ما يأتى :

( ١ ) ان الصحابة لما اختلفوا فى أمر الخلافة ، بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، وتكلم كل واحد فيها برأى ، استقر رأيهم على رأى عمر رضى الله عنه الذى كان بطريق المقايسة ، حيث قال : رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينا ، أفلا نرضاه لديانا ، فهذا قياس للخلافة على الامامة فى الصلاة ، ولا شك أن أمر الخلافة من أهم ما يترتب عليه احكام الشرع ، وقد علو فيها بالقياس .

( ٢ ) روى ان أبا بكر رضى الله عنه سئل عن الكلالة ، فقال أقول فيها برأى فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، الكلالة من لا ولد له ولا والد ، فلما ولى عمر قال : انى لاستحق ان أخالف ابا بكر فى رأى رآه <sup>(٢)</sup>

( ٣ ) روى ان عمر رضى الله عنه كتب فى عهده الى ابى موسى الأشعري حين ولاه

قضاة البصرة " الفهم الفهم فيما يحتلج فى صدرك مما لم يبلغك فى الكتاب والسنة اعرف الأشباه والنظائر ثم قس الأمور عند ذلك فأعد الى أحبها عند الله واشبهها بالحق فيما ترى . <sup>(٣)</sup>

(١) الاحكام للامدى تعليق عبد الرزاق عفيفى ج ٤ ص ٤٠

(٢) ابن كثير فى تفسيره ج ١ ص ٤٦٠ مطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر .

(٣) انظر الاحكام للامدى ج ٤ ص ٤٢

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه " يعرف الحق بالمقايسة عند ذوى الالهاب " وروى عنه أيضا أنه قال " اتفق رأيى ورأى عمر على ان لا يبعن - يعنى امهات الأولاد وقد رأيت الآن بيعهن <sup>(١)</sup> " .

ومن ذلك قول ابن عباس ، لما ورث زيد ثلث ما بقى فى مسألة زوج وأبوين : " أين وجدت فى كتاب الله ثلث ما بقى فقال له زيد : أقول برأىى وتقول برأيك " .

المعقول :

واما المعقول فقد قالوا : ان الشريعة الاسلامية ، خاتمة الشرائع السماوية فلا توجد شريعة بعدها الى يوم القيامة ، وهذا يقتضى ان تكون مصادرها وافية بأحكام الحوادث التى تطرأ على المسلمين ، ما وجد منها وما سيوجد الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

ولما كانت النصوص من الكتاب والسنة متناهية لانقطاع الوحي بانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، والحوادث غير متناهية ولا محدودة ، لتجدد الأعراف واختلاف البيئات وأحوال الناس باختلاف الأزمنة والمصور .

ومن الطبيعى والضرورى المسلم به ، أن المتناهى - وهو المنصوص - لا يفى ببيان أحكام غير المتناهى ، وهو الحوادث المتجددة على مر الزمان ، لذلك كان لابد من البحث فى المعانى والعملل التى من أجلها شرعت الاحكام حتى يمكن تطبيق هذه الاحكام على نظائرها مما لم يرد فيه ، نص وهذا هو القياس الذى يتوصل به الى ظهور تناول النصوص الشرعية للحوادث والوقائع التى لم يرد فيها نص <sup>(٢)</sup> .

(١) انظر الاحكام للآمدى ج ٤ ص ٤٣

(٢) انظر كشف الاسرار على الهزدوى ج ٣ ص ٣٧١



.. ( ( الرد على أدلة نفاة القياس ) ) ..

.. . . . .

وقد رد الجمهور على ادلة نفاة القياس ونفاة حججه ، وقالوا فيما يتعلق بالآيات التي استدلت بها النفاة مثل قوله تعالى ( ما فرطنا في الكتاب من شيء ) وقوله ( ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ) وغيرهما من الآيات ، قالوا : أن المراد بها ان الكتاب بيان لكل شيء ، اما بدلائل ألفاظه من غير واسطة واما بواسطة الاستنباط منه ، أو دلالة على السنة والاجماع الدالين على اعتبار القياس ، فالعمل بالقياس يكون عملا بما بينه لكتاب لا أنه خارج عنه ، كيف وأنه مخصوص بالاجماع فاننا نعلم عدم اشتماله على تعريف العلوم الرياضية من الهندسية والحسابية بكل وكثير من الاحكام الشرعية ، كسائل الجد والاخوة وسائل العول ونحوها وعند ذلك فوجب حملها على أن ما اشتمل عليه الكتاب من الاحكام الصينة به لا تفريط فيها حذرا من مخالفة عموم اللفظ (١) .

وردوا على حديث أبي هريرة الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم " تعمل هذه الأمة برهة بالكتاب . . . الحديث . قالوا بأن معناه المتبادر منه غير ما فهموه ، فان المعنى الظاهر المتبادر ففهمه منه ، تعمل هذه الأمة برهة بالكتاب وحده ولا يحتجون بسنة ولا بقياس ، وبرهة بالسنة فيعملون بما تقضى بها ويؤولون نصوص الكتاب ، وبرهة بالقياس فيعملون به ويتأولون نصوص الكتاب والسنة ان خالفته فاذا فعلوا ذلك فقد ضلوا .

وهذا معنى حق ، وتاريخ التشريع يؤيده ، لأننا لا نترك العمل بالكتاب او السنة

(١) الاحكام للامدى ج ٤ ص ٧١ - ٧٢

ونلجأ الى القياس ، وانما نلجأ اليه حيث لا نص من كتاب او سنة او اجماع فلا يرد علينا هذا الحديث ، وذلك يكون الحديث دليلاً على حجية القياس ، لأنه ذكره مع الكتاب والسنة في بيان ما يعمل به ، وترتيب الاستدلال ،

واما الحديث " أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها . . ." الحديث ، فقد أجابوا بأن الحكم الثابت بالقياس ليس حكماً من المجتهد ، وانما هو حكم الله لأن غلة حكم الأصل استلزمت الحكم في الفرع بطريق المعنى ، فكان الله تعالى قال ! كلما تحققت علة هذا الحكم في محل لم ينص على حكمه فأعطوه مثل هذا الحكم لأن الاحكام الشرعية ، معللة ، والعلة تقتضى ثبوت الحكم في المقيس كالحكم في المقيس عليه لتحقق العلة فيهما جميعاً .

واما استدلالهم بموقف بعض الصحابة في انكار الرأي مثل قول أبي بكر وعمر وغيرهما فيقال : اما القول بالرأي عن أبي بكر رضي الله عنه فهو أشهر من أن يمكن انكاره لانه قال في الكلاله عند ما سئل عنها " أقول فيها برأى فان يكن صواباً فمن الله . . ." <sup>(١)</sup> الحديث .

وما رووه عنه قد اختلفت فيه الرواية فقال في بعضها : ان قلت في كتاب الله تعالى بخلاف ما اراد الله ، ولئن ثبت ما رووا فانما استبعد قوله بالرأي فيما فيه نص بخلاف النص وهذا لا يجوز منه ولا من غيره ولا يظن به .

واما عمر رضي الله عنه : فالقول عنه بالرأي أشهر من الشمس ، وبه يتبين أن مراده بذي الرأي عند مخالفة النص او الاعراض عن النص فيما فيه نص والاشتغال بالرأي الذي فيه موافقة هوى النفس ، والى ذلك أشار في قوله : اعيتهم السنة ان يحفظوها . . ."

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٦٠ - طبعة دار احياء الكتب العربية بصر  
أو طبعة عيسى الهلبى بصر .

والقول بالرأى عن علي رضي الله عنه مشهور فانه قال : اجتمع رأيي ورأى عمر علي حرمة بيع أمهات الا ولاد ثم رأيت أن أرقهن ، وهذا يتبين ان مراده بقوله : لو كان الدين بالرأى : أصل موضوع الشرع ، وبه نقول : فان أصل احكام الشرع غير صني علي والرأى ولهذا لا يجوز اثبات الحكم به ابتداءً .

وقد اشتهر القول بالرأى عن ابن مسعود حيث قال في الفوضىة :<sup>(١)</sup>  
اجتهد رأيي فعرف بذلك ان مراده ذم السؤال عن وجه التعنت بعد ما تبين الحق ، والتكليف فيما لا يحتاج المرء اليه ، وهو نظير قوله عليه السلام : " ذروني ما ترككم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوء الهمة واختلافهم على انبيائهم<sup>(٢)</sup> " وكان الصحابة رضي الله عنهم يمتدرون الرأى والاجتهاد أصلاً من أصول الشريعة كما كان الحال في السنة ، وقد كانوا يستندون في فتواهم أولاً إلى الكتاب ثم إلى السنة فان اعجزهم ذلك افتوا بالرأى وهو القياس بأوسع معانيه وأما ما استدل به نفاه القياس من المعقول بقولهم : ان القول بالتمدد بالقياس يفضي إلى الاختلاف ، فقد قالوا : ان ذلك وان أفضى إلى الاختلاف بين المجتهدين ، فان ذلك غير محذور مطلقاً ، فان الشرائع والمطل كلفها من عند الله ، وهي مختلفة ولا محذور فيها ، والا لما كانت مشروعة من عند الله ، كيف وان الأمة الاسلابة معصومة عن الخطأ على ما عرف ، فلو كان الاختلاف مذموماً ومحذورا ، على الاطلاق ، لكانت الصحابة مع اشتهاار اختلافهم . وتباين اقوالهم

١- الفوضىة او التفويض هو أن يعقد النكاح دون صداق ، انظر بداية المجتهد .

لابن رشد ج ٢ ص ٢٦ ط ٤ سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م مطبعة مصطفى البابي

الحلبي بمصر .

٢- أصول السرخسي ج ٢ ص ١٣٣ .

فى المسائل الفقهية مخطئة بل الأمة قاطبة ، وذلك معتنع وعلى هذا فيجب حمل ما ورد من ذم الاختلاف والنهي عنه على الاختلاف فى التوحيد والايان بالله ورسوله والقيام بمنصرته ، وفيما المطلوب فيه القطع دون الظن ، والاختلاف بمد الوفاق ، واختلاف العامة ومن ليس له أهلية النظر والاجتهاد ، وبالجملة كسل ما يجوز فيه الاختلاف جمعا بين الأدلة بأقصى الامكان ، وأما قوله تعالى : ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فانما المراد به نفي التناقض والاضطراب ، والاختلاف ، المناقض للمهاجرة عن القرآن ، لانفى الاختلاف فى الاحكام الشرعية . . (١)

وعن الثانية باختيار تصويب كل مجتهد بناء على أن الحكم عند الله تعالى فى حق كل واحد ما أدى اليه اجتهاده وذلك ما لا يمنع من كون الشئ ونقيضه حقا بالنسبة الى شخصين مختلفين كما فى الصلاة وتركها بالنسبة الى الحائض والطاهر ، وكا الجهات المختلفة فى القبلة حال اجتهادها بالنسبة الى شخصين وبالنسبة الى شخص واحد فى حالتين مختلفتين ، وكجواز ركوب البحر فى حق من غلب على ظنه السلامة وتحريمه فى حق من غلب على ظنه الهلاك ، وهذا بخلاف القضايا العقلية ، وما الحق فى نفس الأمر لا يكون الا واحد مميئا ، كحدوث المالم وقد مر وجود الصانع وعدمه ، (٢)

وعن الثالثة قالوا : أنه مهما تقابل فى نظر القائلين قياسان على التحليل والتحريم مثلا فكل واحدة من العلتين غير موجبة لحكمها لذاتها ، فلا يلزم من ذلك اجتماع الحكيم ، وعلى هذا ان ترجحت احدهما على الأخرى كان العمل بها وان تعارضا من كل وجه . أمكن أن يقال بالوقف الى حين ظهور الترجيح ، وأمكن أن يقال بتخيير المجتهد فى العمل بأى القياسين شاء على ما عرف من مذهب الشافعى وأحمد بن حنبل (٣)

١- الاحكام للأمدى ج ٤ ص ١٩ - ٢٠

٢- الاحكام للأمدى ج ٤ ص ٢٠

٣- الاحكام للأمدى ج ٤ ص ٢٨٠

## الباب الثاني

## المبحث الأول

## التفسير بالرأى ورأى العلماء فى ذلك

=====

بمد هذا العرض الموجز عن الرأى وموقف علماء المسلمين منه ننتقل الآن الى صلب الموضوع وهو التفسير بالرأى . ويجد ربنا ان نلفت النظر الى أنه وجد من العلماء من يرى ان القرآن الكريم لا يحتاج الى تفسير الا فى بعض الالفاظ الغريبة على القارى ، فانه يستعين عليها بالمعاجم تبينها ، والا بعض آيات الاحكام والمجملات المبينة بالسنة ، فانها تفصلها وتوضح بالعمل والقول مراميها وغايتها ، وما عدا ذلك فانه بين لا يحتاج الى بيان لأن الله سبحانه وتعالى وصف كتابه بأنه مبين اى بين ، واليهن لا يحتاج الى تبين ، ووصفت آياته بأنها بينات ، فقد قال تعالى : " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم " (١) وقال تعالى " الرتك آيات الكتاب المبين " (٢) وقال تعالى " الرتك آيات الكتاب ، وقرآن مبين " (٣)

وقال تعالى " وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون ممن المنذرين بلسان عربى مبين " (٤) وقال تعالى " واذا تتلى عليهم آياتنا بينات

١- المائدة ١٦

٢- يوسف ١

٣- الحجو ١

٤- الشعراء ١٩٢ - ١٩٥

ما كان حجتهم الا أن قالوا اثتوباً باننا ان كنتم صادقين <sup>(١)</sup> . وقال تعالى \* ولقد  
انزلنا اليكم آيات بيّنات <sup>(٢)</sup> .

قالوا : ان هذه الايات كلها تدل على ان القرآن بين ، وكيف يحتاج الكلام  
البيّن الى من يبيّنه ؟ انه يبيّن نفسه . . <sup>(٣)</sup>

وجوار هذا الرأى - اى الذين قالوا ان القرآن مبين بذاته لا يحتاج الى من  
يبيّنه ويفسره - كان من يرى ان القرآن يتعبد به ، ويتلى تلاوة ، ولا يتصرف على  
معانيه الا بتصريف من النبى صلى الله عليه وسلم . . <sup>(٤)</sup>

وشل هذه الآرا\* حاولت بها الزنادقة أن يلبسوا على الأمة أمر دينهم  
وتلقتها بمضى الواثف الذين قصر علمهم عن الوقوف على معانى القرآن ، واستنكفوا  
أن يتعلموها من أرباب الصناعة ، فاكتفوا بجهلهم وحقاقتهم ولم يصلوا الى  
يقظتهم وافاقتهم مثل الروافض الذين اعتمدوا على أنه لا سبيل الى شىء من علم  
الدين الا من جهة الامام المعصوم الذى يدعونه حجة الله على عباده من غير  
ان يقفوا منه على أثر ، وتسمية هذا الامام الذى يدعونه بالمعدوم أولى منه  
بالمعصوم ، لأنهم منذ قرون عديدة ينتظرونه ويعدون الناس خروجه ويتصدونه وهو  
كل يوم أخفى أثرا ، وأعمى بصرا . . <sup>(٥)</sup>

ومما يدل دلالة واضحة على فساد هذا القول ان الله سبحانه وتعالى أمرنا  
بالتدبر والتفكر فى كتابه العزيز حيث يقول : " كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته

١- الجاثية ٢٥ .

٢- النور ٣٤ .

٣- المعجزة الكبرى لمحمد أبى زهرة ص ٥٧٩ - ٥٨٠ .

٤- المعجزة الكبرى لمحمد أبى زهرة ص ٥٨١ .

٥- انظر مقدمتان فى علوم القرآن لأثر جفرى ص ١٨٤ ط ٢ سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م  
مطبعة دار الأنصار بصر . .

وليتذكر اولو الالباب<sup>(١)</sup> " وأصل التدبر من الدبر ودبر كل شئ<sup>١</sup> عقبه فمتدبر القول هو الذى يتبع ما يودى اليه من العاقبة والغرض المقصود منه ، وهذا هو التأويل أو التفسير ، وقوله تعالى " وليتذكر اولو الالباب " نمت مترتب على اعمال الالباب فى القرآن وليس ذلك الا بتثبع معانيه ، ولو اراد الله جل وعلا التמיד بقراءة القرآن وحفظها فقط دون فهم معانيه لكان ذكر الاذان وما هو نعمتها من الاستماع يفنى عن الالباب ، وكان الاستماع يفنى عن التدبر<sup>(٢)</sup> .

والآن الى موضوعنا وهو التفسير بالرأى ، وهذا النوع من التفسير يسمى عند بعض العلماء بالتفسير بالدراسة أو التفسير بالمعقول ، لأن المفسر لكتاب الله تعالى يعتمد فيه على اجتهاده ، لا على المأثور المنقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، بل يكون فيه الاعتماد على الثقة الصربية ، وفهم أسلوبها على طريقة الصرب ، ومعرفة طريقة التخاطب عندهم وادراك العلوم الضرورية التى ينبغى أن يكون ملما بها كل من أراد تفسير القرآن كالنحو والصرف وعلوم البلاغة ومعرفة اسباب النزول الى غير ذلك من العلوم التى يحتاج اليها المفسر كما سنبينه فيما بعد ان شاء الله .

ومما ينبغى فهمه هو أنه من الصعب بل ومن الخطأ أن يقتصر تفسير علمى الرأى المجرى دون التفسير بالمأثور ان التفسير بالمأثور هو الأصل وليكن اذا غلب التفسير بالرأى والاجتهاد على التفسير بالمأثور سمي تفسير بالرأى<sup>(٣)</sup> .

١- سورة ص ٢٩ .

٢- المقدتان فى علوم القرآن ص ١٨٥ .

٣- التفسير ومناهجه فى ضوء المذاهب الاسلامية للدكتور محمود بيسوى فوده ص ٥٠ .

مطبعة الامانة بصر سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

هذا وقد اختلف العلماء في هذا النوع من التفسير ، فمنهم من منعه ومنهم من أجازته ولكل وجهة ولكل أدلة .

أدلة مانعوا التفسير بالرأى :

استدل المانعون بأدلة أولها : أن التفسير بالرأى قول على الله بغير علم والقول على الله بغير علم منهي عنه فالتفسير بالرأى منهي عنه ، وبيان ذلك بامضاح ان المفسر بالرأى ليس متيقنا أنه مصيب ولا يمكنه القطع بما يقول وغاية الأمر عنده الظن والقائل بالظن قائل على الله بغير علم ، وهذا منهي عنه بقوله تعالى " وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون " <sup>(١)</sup> وهو معطوف على المحرمات .

ثانيا : استدلوا بقوله تعالى " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم " <sup>(٢)</sup> قالوا : ان الله سبحانه وتعالى أنصاف البيان الى الرسول صلى الله عليه وسلم فعلم أنه ليس لغيره شيء من البيان لمعاني القرآن . .

ثالثا : استدلوا بما ورد في السنة من تحريم القول في القرآن بالرأى فمن ذلك :

١- مارواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اتقوا الحديث عنى الا ما علمتم ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار " <sup>(٣)</sup> .

٢- مارواه الترمذى وأبو داود عن جندب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم " من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ " <sup>(٤)</sup> .

١- البقرة ١٦٩

٢- النحل ٤٤

٣- تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ج ٨ ص ٢٧٨ ط ٢ - مطبعة الفجالة الجديدة بصر سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

٤- تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ج ٨ ص ٢٧٩ ط ٢ مطبعة الفجالة الجديدة بصر سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .



رابعا : ما ورد عن الصحابة والتابعين من الآيات التي تدل على أنهم كانوا يتخرجون من القول في القرآن بأرائهم ، فمن ذلك ، ما جاء عن أبي مليكة أنه قال : سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في تفسير حرف من القرآن فقال : " أى أرض شغلنى وأى سماء تظلمنى اذا قلت فى القرآن برأى أو بما لا أعلم " وما ورد عن سعيد بن المسيب أنه كان اذا سئل عن الحلال والحرام تكلم وأذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع شيئا .  
ومن ذلك ما روى عن شمبى أنه قال " ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت : القرآن والروح والرأى " وغير ذلك من الأخبار التي تدل على أن القول في القرآن بالرأى مضع . .

رد المجيزون على هذه الأدلة :

وأما المجيزون فقد ناقشوا هذه الأدلة وبينوا أنها لا تنطبق عليهم كما يأتى :

١- قالوا في الدليل الاول : أن الظن نوع من العلم إذ هو ادراك الطرف الراجح ثم ان سلمنا بأن المفسر بالرأى ليست متيقنا أنه مصيب ولا يمكنه القطع بما يقول . لكننا لا نسلم بأن كل قائل بالظن قائل على الله بنير علم لأن الظن منهي عنه اذا امكن الوصول الى العلم اليقيني القطعى بأن يوجد نص قاطع او دليل عقلى ، أما اذا لم يوجد ذلك فالظن مأوربه ، لأن الواجب على المجتهد هو ما يؤديه اليه اجتهاده ، ثم لو كان التفسير بالرأى غير جليز لما كان الاجتهاد جائزا ، ولتمطل كثير من الاحكام ، وهذا باطل لأن الاجتهاد حاصل ومأوربه لاستنباط الاحكام الشرعية ، والمجتهد فى حكم الشرع مأجور أصاب أم أخطأ كما دام أنه قد استفرغ جهده وبذل ما فى وسعه

بغية الوصول الى الحق والصواب .

٢- وعن الدليل الثاني قالوا : نعم ان النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بالبيان ولكنه مات ولم يبين كل شىء ، ولا ينكر أن يكون بيانه عليه الصلاة والسلام قد كان على حسب الحاجة فى ذلك الوقت ، ولأنك القوم ، ثم احتاج من بعدهم الى زيادة بيان ، لذا فما ورد بيانه عنه صلى الله عليه وسلم ففيه الكفاية عن رأى من بعده ، وما لم يرد عنه بيانه ففيه حينئذ رأى أهل العلم بعده ، فيستدلون بما ورد بيانه على ما لم يرد والله تعالى يقول فى آخر الآية " ولعلمهم يتفكرون " فهذه الخاتمة تدعو كل مسلم يجد عنده القدرة أن يتدبر ويجهد فى فهم المعانى التى تشتمل عليها الآيات القرآنية .

٣- وأجابوا عن الحديثين بأجوبة :

منها : أن النهى محمول على من قال برأيه فى نحو مشكل القرآن ، ومثابته من كل ما يعلم الا عن طريق النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه عليهم رضوان الله .

منها : أنه أراد بالرأى ، الرأى الذى يغلب على صاحبه من غير دليل يقوم عليه ، اما الذى يشده البرهان ، ويشهد له الدليل فالقول به جائز والنهى على هذا متناول لمن كان يعترف الحق ولكن له فى الشىء رأى وميل اليه من طبعه وهواه ، فيتناول القرآن على وفق هواه ليحتج به على تصحيح رأيه الذى يحيل اليه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لما لاح له هذا المعنى الذى حمل القرآن عليه ، وكذلك من كان جاهلا بالحق ولكنه يحمل الآية التى تحتل أكثر من وجه على ما يوافق رأيه وهواه ويرجح هذا الرأى بما يتناسب مع ميوله ولولا هذا لما ترجح عنده ذلك الوجه ، ولمن كان له غرض صحيح ولكنه يستدل

لفرضه هذا بدليل قرآني يعلم أنه ليس مقصودا به ما أراد ، مثل الداعي السي  
مجاهدة النفس الذي يستدل على ذلك بقوله تعالى " اذهب الى فرعون  
انه طغى <sup>(١)</sup> ويريد من فرعون النفس ، ولا شك ان مثل هذا قائل في القرآن  
بزأيه .

ومنها : ان النهي محمول على من يقول في القرآن بظاهر العربية ، من غير  
أن يرجع الى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله ، وأدوا اليها من السنين  
ما يكون بيانا لكتاب الله تعالى ، وبدون أن يرجع الى السماع والنقل فيما  
يتعلق بفريب القرآن ، وما فيه من المبهات والحذف ، والاختصار والاضمار  
والتقديم والتأخير ، ومراعاة مقتضى الحال ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ، وما  
الى ذلك من كل ما يجب معرفته لمن يتكلم في التفسير ، فان النظر الى ظاهر  
العربية وحده لا يكفي ، بل لابد من ذلك أولا ، ثم بعد ذلك يكون التوسع  
في الفهم والاستنباط ، انظر الى قوله تعالى " وآتينا ثمود الناقة مبصرة  
فظلموا بها <sup>(٢)</sup> فان معناه وآتينا ثمود الناقة آية مبصرة بينة واضحة فظلموا  
بقتلها أنفسهم ، ولكن الناظر الى ظاهر العربية يظن أن مبصرة حال ممن  
الناقة وهي وصف لها في المعنى . ولا يدري بما ظلموا ؟ وهل ظلموا غيرهم  
أو أنفسهم؟

وإذا صح حمل الحديثين على أحد هذه الأوجه لا يصحان دليلين للقائلين  
بالمنع ، لأن الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال .  
وزيادة على هذه الاحتمالات يمكن الاجابة عن حديث جندب بأنه لم تثبت

١- النازعات ١٧

٢- الاسراء ٥٩

صحته لأن من رواه سهيل بن أبي حزم ، ويسمى كذلك سهيل بن مهسران وهو متكلم فيه ، قال فيه البخاري : ليس بالقوى .<sup>(١)</sup> وقال عنه الامام أحمد : روى أحاديث **منكره** ، وقال أبو حاتم ليس بالقوى يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال عنه النسائي ليس بالقوى .<sup>(٢)</sup>

والترهفي نفسه يقول بمد روايته لهذا الحديث " وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم ."<sup>(٣)</sup>

وأما الآثار التي رويت عن بعض الصحابة والتابعين في امتناعهم من القول في التفسير فقد أجابوا بأن ذلك بمنزلة من امتنع منهم عن الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا فيما لم يجد عنه بدا ، ولم يكن امتناعهم من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الانكار على من روى ، ولكن على سبيل الاعظام لذلك واغتنام السلامة ان وجدوا من قد كفاهم ذلك من غيرهم ، فكل ذلك امتناع من امتنع منهم من أن يتكلم في التفسير برأيه ، وقد كان هذا الاحجام منهم ورعا واحتياطاً لأنفسهم ، مخافة الا يبلفوا ما كلفوا به من اصابة الحق في القول ، وكانوا يرون أن التفسير شهادة على الله بأنه على باللفظ كذا وكذا فأسكوا عنه خشية ان لا يوافقوا مراد الله عز وجل وكان منهم من يخش ان يفسر القرآن برأيه فيجمل في التفسير اما ما يبني على مذهبه ويقضي طريقه ، فرما جاء أحد المتأخرين وفسر القرآن برأيه فوقع في الخطأ ويقول : اما في التفسير بالرأى فلان من السلف .

(١) كتاب التاريخ الكبير للامام البخاري ج ٤ ص ١٠٦

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٤ ص ٢٦١ ، انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٤٤

(٣) تحفة الاحوذى بشرح الترمذى ج ٨ ص ٢٨١

وكذلك أحجام بعضهم كان مقيدا بما لم يعرفوا وجه الصواب فيه اما اذا عرفوا وجه الصواب فكانوا لا يتخرجون من ابداء ما يظهر لهم ولو بطريق الظن ، وقد ورد عنهم ما يفيد أنهم تكلموا في القرآن باجتهادهم ورأيهم فهذا أبو بكر رضي الله عنه يقول - وقد سئل عن الكلاله المذكورة في القرآن - أقول فيها برأى فان كان صوابا فمن الله ، وان كان غير ذلك فمضى ومن الشيطان : الكلاله كذا وكذا " وهذه الاحتمالات تصبح هذه الآثار غير صالحة للاستدلال .

هذا ولم يكن هؤلاء العلماء يرد أدلة المانعين ، وانما احتجوا لقولهم بأدلة عديدة سنقتصر على ايراد أهمها .

١ - قالوا : ان القرآن نفسه يأمر بالتدبر والاستنباط ، واستشهدوا بقوله تعالى " ولورده الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم <sup>(١)</sup> وقوله تعالى ( أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقلها ) <sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى ( كتاب أنزلناه انيك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوالألباب ) <sup>(٣)</sup> وجهة الدلالة في هذه الآيات انه تعالى ذكر في الآية أولى على ان فس القرآن ما يستنبطه أولوالألباب باجتهادهم ويصلون اليه بأعمال عقولهم ، وحث في الآيتين الأخيرين على تدبر القرآن والاعتبار بآياته والاعتماظ بعظاته ولا يكون التدبر الا بالتأمل الذي يعتمد على الفهم واعمال الفكر والاجتهاد ، ومذلك يكون القرآن نفسه أمرا بالتفسير بالرأى ،

(١) النساء ٨٣

(٢) محمد ٢٤

(٣) سورة ص ٢٩

فقد يفسر القرآن موقوف على فهمه ، ولا نستطيع ان نفهم الآيات التي لم يرد في شرحها أثر أو حديث الا بأن نجتهد في تفسيرها ضمن الشروط التي نصص العلماء على ضرورة توافرها .

٢ - قالوا : لو كان التفسير بالرأى غير جائز لما كان الاجتهاد جائز ولتعطل كثير من الأحكام وهذا باطل بين البطلان ، وذلك لان باب الاجتهاد لا يزال مفتوحا الى اليوم امام اربابه ، والمجتهد في حكم الشرع مأجور أصاب او أخطأ والثبني صلى الله عليه وسلم لم يفسر كل آيات القرآن ، ولم يستخرج لنا جميع ما فيه من الأحكام .

٣ - استدلوا كذلك بما ثبت من الصحابة رضوان الله عليهم - أنهم قرءوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه ، ومعلوم أنهم لم يسمموا كل ما قالوه في تفسير القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم ان أنه لم يبين لهم كل معاني القرآن ، بل بين لهم بعض معانيه ، والبعض الآخر توصلوا الى معرفته بمقولتهم واجتهادهم ولو كان القول بالرأى محظورا لكأن الصحابة خالفت ووقعت فيما حرم الله ونحن نعيذ الصحابة من ، المخالفة والسجرة على محارم الله .

٤ - قالوا أيضا : أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنهما فقال في دعائه له " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " فلو كان التأويل مقصورا على السماع والنقل كالتنزيل لما كانت هناك فائدة لتخصص ابن عباس بهذا الدعاء ، فدل ذلك على ان التأويل الذي دعا به الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس أمر آخر وراء النقل

والسماغ ، ذلك هو التفسير بالرأى والاجتهاد (١) .

قلت : واذا كانت الأكلة التي استند إليها المانعون من التفسير بالرأى والاجتهاد لم تنهض أمام البحث والنظر ، فقد تبين للباحث المنصف جواز التفسير بالرأى القوى المصير ، والاجتهاد الذي توفرت لصاحبه أسبابه وهي الالمام بالعلوم التي سنذكر فيما بعد .

وأيضاً لو لم نفسر القرآن بالاجتهاد لفات معنى التدبر والتأمل فى القرآن الذى حثنا الله عليه فى غير آية ، ولفات كثير ما اشتمل عليه الكتاب الكريم من الأحكام والآداب ، والوان المعارف والعلوم التى لا يزال يظهر منها فى كتاب الله كل يوم جديد .

وليس من شك فى ان الصحيح الثابت المروى فى تفسير القرآن عن النبى صلى الله عليه وسلم قليل ، بالنسبة الى ما لم يرد عنه فيه شئ ، وكذلك ما روى عن الصحابة والتابعين - رضى الله عنهم - لم يستوعب كل آيات الكتاب الكريم هذا الى ما فيه من الضعف والموضوع والاسرائيليات وهو شئ كثير ولا سيما فى الآيات الكونية التى يتجدد العلم فيها عصراً بعد عصر ، ويظهر بطلان ما فسرت به بطريق اليقين ، فكان لا بد اذا من فتح باب الاجتهاد

(١) انظر هذه الاقوال والآراء فى : مقدتان فى علوم القرآن ص ١٨٣ - ١٩٥ والتفسير ومناهجه فى ضوء المذاهب الاسلامية ص ٥٠ - ٥٥ ، التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٥٥ - ٢٦٣ ، لمحات فى علوم القرآن واتجاهات التفسير لمحمد الصباغ ص ١٩٣ - ١٩٧ ، اصول التفسير لكتاب الله المنير لخالد عبد الرحمن ص ٤٢ ، مناهل المرفان فى علوم القرآن للزرقانى ج ٢ ص ٥٤ - ٥٩ .

فى تفسير القرآن الكريم ، والا لا استعجم شئ غير قليل من آيات القرآن  
الكريم ، وصفت غير مفهومة المعنى ، ولا معروفا منها المراد ، وهذا ينافى  
كونه كتاب الهداية الكبرى ، والمرشد الأعظم للبشرية فى عصورها المتعاقبة  
والمعجزة العظمى ، والآية الباقية لخاتم الأنبياء والمرسلين على وجه الدهر .  
هذا ونرى تكملة لهذا الموضوع ان نورد كلمة بعض الأئمة البارزين فى  
هذا الشأن .

لقد ذكر الامام ابن جرير الطبرى ( ت ٣١٠ هـ ) فى مقدمة تفسيره  
بعد سرد الأحاديث والآثار التى تنهى عن التفسير بالرأى بقوله " وهذه  
الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا : من أن ما كان من تأويل آى القرآن  
الذى لا يدرك علمه الا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بنصبة  
الدلالة عليه ، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه . بل القائل فى ذلك برأيه  
وان أصاب الحق فيه - فمخطئ فيما كان من فعله ، بهيله فيه برأيه ، لأن  
اصابته ليست اصابة موقن انه محق ، وانما هو اصابة خارض وظان . . (١)

قلت : مثال ما لا يدرك علمه الا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قوله تعالى ( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) (٢) .  
وقوله تعالى ( ولله على الناس حج البيت ) (٣) .  
وقوله تعالى ( وآتوا حقه يوم حصاده ) (٤) . ونحو ذلك من الامور المجلطة

(١) تفسير الطبرى تحقيق محمود محمد شاكر ج ١ ص ٧٨ - دار المعارف بصر

(٢) سورة البقرة ٤٢

(٣) سورة آل عمران ٩٧

(٤) سورة الانعام ١٤١



التي لو تركنا وظاهر القرآن لم يكن يمكننا الوقوف على تفاصيلها الشرعية ففسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأن ذكر أركان الصلاة وشرائطها ومقادير الزكوات وما تجب هي فيه ، وكيفية الحج ، وحق الله في الحبوب وهذا الوجه من التفسير الذي هو بيان المجملات لم يكن ليصح من أحد إلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ هو الواسطة بين الله وبين عباده فسي بيان ما يريد منهم ويطلبه .

وقال الامام الطبري - أيضا - في مكان آخر " وأما الاخبار التي ذكرناها عن ذكرناها عنه من التابعين ، باحجامه عن التأويل ، فان فعل من فعل ذلك منهم ، كفعل من احجم منهم عن الفتيا في النوازل والحوادث ، مع اقراره بأن الله جل ثناؤه لم يقبض نبيه اليه الا بعد اكمال الدين به لعباده وعلمه بأن لله في كل نازلة وحادثة حكما موجودا بنص أو دلالة ، فلم يكن احجامه عن القول في ذلك احجام جاهد ان يكون لله فيه حكم موجود بين أظهر عباده ولكن محجم خائف أن لا يبلغ في اجتهاده ما كلف الله العلماء من عباده فيه فكذلك معنى احجام من أحجم عن القيل في تأويل القرآن ، وتفسيره من علماء السلف انما كان احجامه عنه حذرا ان لا يبلغ أداه ما كلف من اصابة صواب القول فيه ، لا على أن تأويل ذلك محجوب عن علماء الأمة غير موجود بين أظهرهم .<sup>(١)</sup>

وقال الراغب الاصفهاني ( ت ٥٠٢ هـ ) في مقدمة التفسير - بعد أن ذكر المذهبين وادلتهما - " وذكر بعض المحققين ان المذهبين هما الغلو والتقصير ، فمن اقتصر على المنقول فقد ترك كثيرا مما يحتاج اليه

(١) تفسير الطبري تحقيق محمود محمد شاكر ج ١ ص ٢٩

ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد عرضه للتخليط ، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى ( ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب )<sup>(١)</sup> .

وذكر الامام الفزالي ( ت ٥٥٥ هـ ) في الاحياء بقوله " ان في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالفا ، وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه ، فبطل ان يشترط السماع في التأويل ، وجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه ، وحد عقله"<sup>(٢)</sup>

وذكر ابن عطية ( ت ٥٤١ هـ ) في مقدمة تفسيره - بعد ما أورد حديث " من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ " - وقال " ومعنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتصور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء واقتضته قوانين العلوم كالنحو ، والاصول ، ثم قال - اي ابن عطية - وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لفته ، والنحاة نحوه ، والفقهاء معانيه ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر ، فان هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلا بمجرد رأيه ، وكان جلة من السلف الصالح كسعید بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ويتوقعون عنه تورعا واحتياطا لأنفسهم مع ادراكهم وتقديرهم ، وكان جلة من السلف كبير عدد هم يفسرونه وهم أبقوا على<sup>(٣)</sup> المسلمين في ذلك رضی الله عنهم .<sup>(٤)</sup>

(٢) مقدمة التفسير للراغب ملحق بتنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار

ص ٤٢٣

(٢) الاحياء في علوم الدين ج ١ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٣) أي أرحم على المسلمين ( انظر تاج المبروس للزبيدي ج ١٠ ص ٤١ )

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية تحقيق أحمد صادق

الملاح ج ١ ص ٤٦ - ٤٧

وقال الامام القرطبي ( ت ٦٧١ هـ ) في تفسيره " الجامع لاحكام القرآن " ما نصه " وقال بعض العلماء : ان التفسير موقوف على السماع لقوله تعالى ( فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول . . . ) الآية ) وهذا فاسد ، لان النهي عن تفسير القرآن لا يخلو اما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والسموع وترك الاستنباط ، أو المراد به أمر آخر واطل أن يكون المراد به ألا يتكلم أحد في القرآن الا بما سمعه ، فان الصحابة رضوا الله عنهم قد قرءوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجهه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال ( اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ) فان كان التأويل مسموعا كالتخريف فما فائدة تخصيصه بذلك .<sup>(١)</sup>

واما الامام النيسابوري ( ت ٧٢٨ هـ ) فقد ذكر في تفسيره ( غرائب القرآن وغرائب الفرقان ) - وحيد ذكر ما قاله الامام القرطبي - " وانما النهي تحمل على وجهين .

أحدهما : أن يكون له في الشئ رأي واليه ميل من طبعه وهواه ، فيتناول القرآن على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه ، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى . .

الوجه الثاني : ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بفريب القرآن وما فيه من اللفاظ الجبهة والاختصار

(١) مقدمة تفسير الطرطبي ص ٣٣ ج ١ ط ٣ طبعة دار الكتب المصرية

فالنقل والسمع لا بد منه في ظاهر التفسير أو لا ليتقى به مواضع الغلظ  
ثم بعد ذلك يتسع للتفهم والاستنباط . . .

ثم قال : وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهى اليه مادام على قوانين  
العلوم العربية والقواعد الاصلية والفرعية<sup>(١)</sup> .

واما الامام ابن تيمية ( ت ٧٢٨ هـ ) فيقول - بعد ذكر الاحاديث  
والآثار التي تنهى عن التفسير بالرأى ( فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها  
عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به  
فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لفدة وشرعا فلا حرج عليه ولهذا روى عن  
هؤلاء وغيرهم أقوالا في التفسير ، ولا منافاة ، لانهم تكلموا فيما علموه وسكوتوا  
عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فانه كما يجب السكوت  
عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه : لقوله تعالى  
( لتبيننه للناس ولا تكتمونه )<sup>(٢)</sup> ولما جاء في الحديث المروى من طرق ( من  
سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار )<sup>(٣)</sup> .

واما الحافظ ابن كثير ( ت ٧٧٤ هـ ) فقد أيد شيخه ابن تيمية  
في رأيه وذكر نفس ما قاله في مقدمة تفسيره<sup>(٤)</sup> .

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابورى تحقيق ابراهيم عطوه عوض ج ١  
ص ٥٦ - ٥٧ ط ١ - مطبعة مصطفى البابى الحلبي بصر - انظر تحفته  
الاحوذى شرح الترمذى ج ٨ ص ٢٨٠

(٢) سورة آل عمران ١٨٧

(٣) مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية تحقيق الدكتور عدنان زرزور ص ١١٤

(٤) انظر مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد على الصابوني ج ١ ص ١٣

..... (( المبحث الثاني )) .....  
 -----

— ( نشأة التفسير بالرأى واسبابها ومظاهرها ) —  
 .....—.....

وبعد هذا العرض السريع لآراء العلماء المعتمدين في هذا الشأن نستطيع أن نجزم بجواز التفسير بالرأى عندما تتوفر شروطه ، كما نستطيع كذلك ان نقرر من خلال هذه الآراء ان هذا النوع من التفسير نشأ منذ عهد كبار الصحابة رضی الله عنهم ، لاننا وجدنا من خلال ايراد الأدلة انهم كانوا يجتهدون في تفسير آية بأرائهم ، اذا لم يجدوا تفسيرها عن المعصوم صلى الله عليه وسلم كما حصل لأبي بكر الصديق أول خليفة المسلمين وعمر أمن الخطاب وغيرهما وسبب ذلك - كما قلنا سابقا - هو ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر جميع آي القرآن .

وما يجد ر بالذکر هنا هو التفريق بين سبب تفسير الصحابة بالرأى وبين تفسير غيرهم من التابعين ومن بعدهم لأننا قلنا ان سبب التفسير بالرأى عند الصحابة هو عدم وجود نصوص أو تفاسير شاملة لجميع معاني القرآن عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

واما بالنسبة لمن بعدهم فهناك أسباب ودوافع كثيرة : منها : تفرق المسلمين شيئا وأحزابا . انه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضی الله عنه وصادف ذلك نكوص أكثر العرب عن الاسلام وكان عزيمة أبي بكر وقوة الايمان في قلوب المهاجرين والأنصار أنجح علاج لتثبيت دعائم الاسلام ، وجهز جيوشا عدة فقويت الأود واعادت وحدة الامة المسلحة وبعد أن تم ذلك لأبي بكر ارسل الجيوش الى العراق والشام لنشر دعوة الاسلام في الملكتين الفارسية والرومية ، توفي أبو بكر قبل ان —

تتضح الحال ويعرف لمن العاقبة ثم جاء عمر بن الخطاب فتم على يده الفتح واستولى المسلمون من الجهة الشرقية على معظم البلاد الفارسية حتى وصلوا إلى شهر جيحون - آموداريا - ومن الجهة الشمالية على سورييا وبلاد أرمينيا ، ومن الغرب على مصر وأسس في عهده المدن الإسلامية الكبرى كالقنسطاط والكوفة والبصرة ، وأقام بها عدد كبير ، وفي عهد عثمان امتدت الفتوح شرقا وغربا إلا أنه ما كان يتم ذلك البناء الشامخ حتى أصيب بضربة شديدة وهي الثورة ضد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ابتدأت بمؤامرة من جفزيه وانتهت بقيام جموع من الأصار الثلاثة الكبرى إلى المدينة حيث قضاوا على حياته وكان سببا لافتراق كلمة المسلمين فريق الناقلين على عثمان وهم الذين بايعوا على بن أبي طالب رضي الله عنه وفريق الناقلين على قتلته وهم الذين اتبعوا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، وكان مقر الأولين الكوفة حاضرة العراق ، ومقر الآخرين دمشق حاضرة الشام ، فتباغض الفريقان ، ولعن أحدهما الآخر وانتهى الأمر بحدوث المعركة الكبرى بين الفريقين في سهل صفين وكان المقتتلون من الفريقين هم صفوة المسلمين في أمة الإسلام ولم تنته المعركة بفوز حاسم لأحد الفريقين ، لأن أهل الشام طلبوا تحكيم كتاب الله واجابهم إلى ذلك أكثر أهل العراق وكان في هذا التحكيم قوة لأحد الفريقين وهو فريق معاوية ، وضعف للفريق الثاني وهو فريق على بن أبي طالب : لأنه قام من حنده من يعيب التحكيم ، ولمعنى الراضين به فاشتغل بهم على بن أبي طالب عن خصمه الذي ازداد بذلك قوة وانتهى أمره بالقتل غيلة على يد واحد من هؤلاء الخوارج ، ومقتله

أجتمع الجمهور الاعظم على معاوية بن أبى سفيان .

انتهى ذلك العصر والمسلمون قد افترقوا سياسيا ثلاثة فرق :

الأولى : جمهور المسلمين وهم راضون عن معاوية وامرته .

الثانية : الشيعة وهم الذين بقوا على حب على وأهل بيته .

الثالثة : الخوارج وهم الناقمون على عثمان وعلى ومعاوية جميعا .

ومن هنا بدأ يكثر التفسير بالرأى : لان كل واحدة من هذه الفرق

تريد ان تؤيد موقفها ومذهبها بالقرآن .

ومن هذه الاسباب أيضا : كثرة دخول العناصر غير العرب فى الاسلام

وترجمة كتبهم .

لقد كانت نظرة المسلمين الأوائل للقرآن واضحة فهو اساس التشريع

عندهم يعودون اليه اذا اضطرت بهم السبيل ويستعينون على فهمه

بالحديث أو بما نقل عن الصحابة الذين شاهدوا الوحي ووعوا عن الرسول

صلى الله عليه وسلم شيئا من تفسيره ، وكانوا يقفون - فى أغلب الاحيان

فى استنباطاتهم التشريعية وفى تفسيرهم للقرآن عند المأثور - لا يتجاوزونه

الا لما يتصل به ، ثم تبدلت موجبات الحياة عند المسلمين فخرجوا من

بساطتهم التى تعتمد حياتهم فيها على أسس واضحة لا تقتضى تفلسفا

وقاموا بحركة الفتح فاتصلوا فى هذه البيئات الجديدة بثقافات أخرى

لم يكن لهم بها عهد من قبل وصحب ذلك انتقال الحكم السياسى من المنصر

العربى الى عناصر أخرى ، ثم محاولة العباسيين الاتصال بهذه الثقافات

عن طريق الترجمة والنقل فأنشأ المأمون دار الحكمة فى بغداد ، ولم تضى

على ذلك اكثر من ثمانين عاما بعد سقوط الدولة الأموية حتى كان تحست

أيدي المسلمين ترجمة الجزء الأكبر من أعمال أرسطو وشراح الافلاطون  
 الحديثة وترجمة بعض الآثار افلاطون وكثير من الاعمال العلمية المختلفة  
 من يونانية وفارسية وهندية ولم يقف تأثر بعض المسلمين بهذه المترجمات  
 عند التراث اليوناني وحده ، بل تعداه الى نواح أخرى ، فان المسلمين  
 قد سكنوا العراق - كما قلنا سابقا - وحكموها وهو معروف بمدارسه  
 الدينية القديمة التي تعالج فيها الابحاث الدينية المختلفة ، ثم سكنوا  
 الشام وهي كذلك كانت موطن ثقافة دينية كبيرة ، ثم سكنوا مصر وهي  
 أيضا موطن فلسفة ودراسات دينية معروفة .

وفي كل هذه البيئات الجديدة التي انتقل اليها المسلمون كان يصادف  
 فسروهم كثيرا من المشكلات التي تصح حياة المسلمين وصلتها بسكان هذه  
 البيئات الأوائل ، ويضطر القائلون بالتفسير واستنباط الاحكام لحل هذه  
 المشكلات من الكتاب والسنة الى توسيع آفاقهم في البحث باستعمال العقل  
 على أساس ما وصل من المنقول قرآنا كان أو سنة ، وبدأ التحرج عن التفسير  
 بالرأي يخف أثره على المفسرين للقرآن الكريم ، كما بدأ هذه المترجمات  
 في الفلسفة واللاهيات تحتل مكانة كبرى في الثقافة الاسلامية ، فيدار البحث  
 في اللغة والتفسير على أصول منها ، وترتب على ذلك اختلاف المسلمين  
 على أنفسهم مرة ثانية الى : معتزلة ، والجهمية وأهل السنة اضافة الى  
 الشيعة وغيرهم من الفرق . وتميز كل من أولئك بخصائص دينية وأدبية  
 تظهر لمن تصدى لدرستها وكان القرآن مصدر استدلال كل فريق على ما  
 ذهب اليه .<sup>(١)</sup>

(١) انظر نشأة التفسير من الكتب المقدسة والقرآن ص ٥٥ - ٥٧



وكان لكل فريق من هذه الفرق علماء يدعون لمذاهبهم .

للشيعة علماء هم الذين يدعون لمذاهبهم ويدافعون عنه ومن بين هؤلاء العلماء مفسرون للقرآن تكلفوا في تأويل آياته لنصر مذاهبهم في التشيع لملى وآل البيت . وللمعتزلة مفسرون يستمدون منهم مبادئ مذاهبهم تفسير لبعض آيات القرآن ، ويتكفون في تأويل هذه الآيات لتطابق تلك المبادئ ، ومن أشهرهم الزمخشري والقاضي عبد الجبار وكان للجهمية كذلك مفسروهم فعمدوا إلى آيات القرآن فأتخذوا منها أدلة لمذاهبهم وراحوا يتكفون في تأويلها هم أيضا لتتفق مع هذا المذهب ، وكان ذلك من أسباب ظهور القول بالرأى في تفسير القرآن .

ومن هذه الأسباب أيضا : كثرة الوضع في التفسير بالمأثور : انه لما رأى بعض المحققين ان الوضع في تفسير القرآن قد انتشر وبدأ القصاص والوضاع ينسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله ووجدوا من أهل البدع والأهواء من روجوا لبدعهم ، وتعصبوا لأهوائهم ودخل في الاسلام من تبطن الكفر . والتحق بالاسلام بقصد الكيد له ، وتضليل أهله فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة ، ليصلوا بها إلى اغراضهم السيئة ورغباتهم الخبيثة ، فلما رأى المحققون كل هذا بدؤوا يعتمدون في تفسيرهم على القرآن نفسه ثم على اللغة العربية التي نزل القرآن بها ومحاولة فهم القرآن من خلال هذه اللغة واساليبها ، وقللوا الاعتماد على المأثور الا ما وثقوا من صحته وهو قليل ، لقد قال الامام الشافعي رحمه الله \* لم يثبت عن ابن عباس في التفسير الا شبيه بمائة حديث (١)

وقال الامام أحمد بن حنبل : " ثلاثة ليس لها أصل : التفسير  
والطلاحم والمفاري<sup>(٢)</sup>

ومن هنا ندرك ان بعض الاسباب التي دعت الى التفسير بالرأى لها  
صبراتها واليمنى عكس ذلك كما رأيت .

وسما أننا تكلمنا عن الاسباب التي دعت الى التفسير بالرأى يجدر  
بنا أن نتوقف قليلا للبحث عن بدأ بهذا النوع من التفسير .

---

(١) دقائق التفسير لابن تيمية تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند  
ص ٥٧ - دار الأنصار .

## المبحث الثالث

## (( أول فسر بالسرأى ))

لقد اشتهر بين العلماء أن أول من بدأ التفسير بالرأى هو مقاتسئل ابن سليمان فى القرن الثانى الهجرى ، الا انه لا يضح أن نفهم من هذا الكلام أن مقاتل كان أول من اخترع هذا النوع من التفسير وابتداعه من عند نفسه وانشأه ، وانه لم يسبقه أحد الى ذلك ، وانما يجب ان يكون المقصود من هذا الكلام ان مقاتل كان أول من فسر القرآن بكامله بالرأى ودونه ، والا لقد قررنا - سابقا - بأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يجتهدون بأرائهم فى تفسير القرآن عند عدم وجود النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى ذلك كما روى عن أبى بكر الصديق فى الكلاله بل وجد منهم من اجتهد برأيه فيما فيه نص وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يجتهد فى كثير من الأحكام ورد فيه نصوص كاجتهاده بالرأى فى مسألة المؤلفه قلوبهم ، ومسألة تقسيم اراضى العراق ، ومسألة عدم قطع يد السارق فى عام المجاعة ، ومسألة تحريم التزوج بالكتابات الاجنبيات ابان فتح فارس ، وكلها مسائل وردت فيها النصوص ، ولكن كان له رأى فى تكييف تطبيقها على نحو لا يصادم هدف النص ، أو لا يتناقض ومقتضى المصلحة العامة الحقيقية للأمة .

لأنه نظر فى آية المؤلفه قلوبهم ورأى بدقة ملحظه فى فهم النص - أنها معقولة المعنى وللرأى فى فهمها مجال وان العلة - وهى التأليف - مظنة المصلحة العامة للدولة التى تقتضى هذا التأليف ، أدرك انه

علة زمنية والحكم يدور معها وجودا وعدما ، فلم ينظر عمر - بشاقب فكره - الى مجرد الحكم ، بل الى غايته أيضا ، ولم يطبقه ارتجاليا دون نظر واجتهاد بل وازن في ظل ظروف الدولة القائمة انذاك - باعتبار ان الحكم يستهدف مصلحة عامة يتعلق بها أولا وبالذات - وازن بين علة الحكم وما تنطوي عليه من مصلحة عامة نظريا ، وبين ما يفضى اليه تطبيق النص في هذه الظروف عمليا ، فرأى ان المصلحة العامة لا تقتضي التأليف في تلك الظروف فأوقف تطبيق الحكم لتخلف مقصده ان لا عبرة بالوسائل اذا لم تتحقق المقاصد (١) .

وكذلك تعليقه في منع التزوج بالاجنبيات من الكتابيات ابان فتح فارس بقوله " أخشى الفتنة بين المسلمات " أي في الجزيرة العربية لا عراض المسلمين عن التزوج منهن ، فكان حكما يتصل تطبيقه بالمصلحة العامة في ظرف من الظروف في حين أن التزوج بالكتابيات منصوص عليه في القرآن الكريم نفسه " ( والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ) (٢) . وهذا مجاهد بن جبر - كان قبل مقاتل بن سليمان - يجتهد برأيه عند قوله تعالى ( ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ) (٣) .

فيقول : لم يمسخوا انما هو مثل ضربه الله لهم مثل ما ضرب مثل

(١) المناهج الاصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الاسلامي ج ١ ص ١٠٠

ط ١ سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

(٢) المائدة ٥

(٣) البقرة ٦٥

(١) الحمار يحمل أسفارا .

وفى رواية أخرى قال : مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة ، وإنما مثل ضرب الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفارا ، وعقب الامام الطبرى على قول مجاهد هذا بقوله : وهذا القول الذى قاله مجاهد قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف . . . الخ (٢)

والمقصود أن مقاتل بن سليمان قد سبقه كثير من السلف فى هذا النوع من التفسير الا ان العلماء اعتبروه أول مفسر بالرأى : لأن زمنه كان زمن الرواية وكان التفسير يروى بالأسانيد ، وحذفه للسند فى تفسيره الكامل للقرآن ، واهتماده على معلوماته اعتبروه أول مفسر بالرأى .

#### مقاتل بن سليمان

مــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــم

نسبه : هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى بالولاء ، البلخى ، أبو الحسن ، أصله من بلخ وانتقل الى البصرة وسهامات بعد خروج الهاشمية ودخل بغداد فحدث بها . (٣)

- 
- (١) انظر تفسير الطبرى ج ١ ص ٣٣٢ ط ٣  
 (٢) الصدر السابق والجزء والصفحة .  
 (٣) الاعلام لخير الدين الزركشى ج ٨ ص ٢٠٦ ط ٢  
 انظر كتاب المجروحين لابن حبان ج ٣ ص ١٤ - ١٥  
 وتقريب التهذيب ج ٢ ص ٢٧٢ .

وكان مقاتل من اعلام المفسرين قال عنه الامام الشافعى " الناس عيال  
 على مقاتل فى التفسير " وفى رواية أخرى قال : الناس عيال على هؤلاء  
 الأربعة فمن أراد ان يتجرف فى المفازى فهو عيال على محمد بن اسحاق  
 ومن أراد ان يتجرف فى الشعر فهو عيال على زهير بن أبى سلمى ، ومن  
 أراد أن يتجرف فى النحو فهو عيال على الكسائى ، ومن أراد أن يتجسر  
 فى التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان <sup>(١)</sup> . وروى عن الشافعى أيضا  
 أنه قال : من أراد التفسير فعليه بمقاتل بن سليمان ، ومن أراد الأثر  
 الصحيح فعليه بمالك ، ومن أراد الجدل فعليه بأبى حنيفة <sup>(٢)</sup> .

وقال عنه مقاتل بن حيان : ما وجدت علم مقاتل بن سليمان فى علم  
 الناس الا كالبحر الأخضر فى سائر البحور ، عن عبد المجيد - من أهل  
 مرو - قال : سألت مقاتل بن حيان قلت : يا أبا بسطام أنت أعلم أم مقاتل  
 أبى سليمان ؟ .

قال : ما وجدت علم مقاتل بن سليمان فى علم الناس الا كالبحر الاخضر  
 فى سائر البحور . وقال ابن عيينة سمعت مسعرا يقول لحمام بن عمرو  
 كيف رأيت الرجل - يعنى مقاتل - فقال : ان كان ما يجىء به علما فما أعلمه  
 وقال : مكى بن ابراهيم عن يحيى بن شبل قال لى عباد بن كثير ما يمنعك  
 من مقاتل قلت : ان أهل بلادنا كرهوه فقال لا تكرهوه فما بقى أحد أعلم

---

(١) تهذيب الكمال فى اسماء الرجال للحافظ المزيج ٧ ص ١٦٧ ،  
 مخطوط تحت رقم ٩ / ٢١٣٤ / ٣٩٥ فى مكتبة الجامعة الاسلامية .  
 (٢) المصدر السابق والجزء والصفحة .

بكتاب الله تعالى منه ، وقال القاسم بن أحمد الصفار قلت لابراهيم  
الحري ما بال الناس يطعنون على مقاتل ؟ قال حسدا منهم له .<sup>(١)</sup>

علمه وذكائه :

ومما يدل على سعة علم مقاتل وذكائه ما روى عن أبي عمران بن رباح  
عن سرسكس قال خرجت مع المهدي الى الصيد وهو ولي عهد ان روى الهازي  
ببصره فنظر الهازي الى فكر ذلك ، فقال له المهدي أطلقه فأطلقته ،  
فغاب فلم ير له أثر ، فأقام المهدي بقية يومه وليلته فلما أصبح أرسل  
من يفحص له عن خبره فنظر فاذا خيال في الجوشم جعل يقرب حتى بان  
أنه الهازي فنزل وفي مخالفه حية بيضاء لها جناحان فأخذها المهدي  
وسار بها الى المنصور فتعجب منها ثم قال على بمقاتل بن سليمان فأحضر  
فقال له ما يسكن هذا الجو من الحيوان ؟ قال : أقرب من يسكنه  
حيات ذوات أجنحة تفرخ في اذنانها وربما صاد الشيء منها البازاة -  
فأعجب المنصور من سعة علمه . ومن ذكائه ما روى أن أبا جعفر المنصور  
كان جالسا فألح عليه ذباب يقع على وجهه وألح في الوقوع مرار حتى أضجره  
فقال : أنظروا من بالهات ؟ فقبل مقاتل بن سليمان ، فقال على بسبه  
فلما دخل عليه قال له : هل تعلم لماذا خلق الله الذباب ؟ قال  
نعم ليذل الله به الجبارين فسكت المنصور .<sup>(٢)</sup>

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١٠ ص ٢٧٩

(٢) المصدر السابق والجزء ص ٢٨٤

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٦٠ .

### اتهام مقاتل بالكذب :

ومع هذا كله لقد جرح علماء الحديث مقاتلا واتهموه بالكذب والوضع  
قال ابراهيم الحنظلي : أخرجت هراسان ثلاثا لم يكن لهم في الدنيا  
نظير - يعنى في البدعة والكذب - جهم ومقاتل وعمر بن صبح .<sup>(١)</sup>  
وقال أحمد بن سبار المروزي كان من أهل بلخ تحول الى مرو وخرج  
الى العراق فمات بها وهو متهم متروك الحديث مهجور القول .<sup>(٢)</sup>  
عن حمزة بن عميرة قال : ان خارقة مر بمقاتل وهو يحدث الناس  
فقال : حدثنا أبو النضر - يعنى الكلبى - قال فمررت عليه مع الكلبى  
فقال الكلبى والله ما حدثته قط . بهذا ثم دنا منه فقال يا أبا الحسن  
أنا أبو النضر وما حدثتك بهذا قط . فقال : اسكت يا أبا النضر فان تزيين  
الحديث لنا انما هو بالرجال .<sup>(٣)</sup> وقال عنه البخارى : مقاتل بن سليمان  
الازدى لا شيء البتة .<sup>(٤)</sup> وقال الغلابى عن ابن معين ليس بثقة ، وقال  
عمرو بن على متروك الحديث كذاب ، وقال ابن سعد : أصحاب الحديث  
يتقون حديثه وينكرونه ، وقال أبو حاتم متروك الحديث ، وقال النسائى  
كذاب ، وقال فى موضع آخر الكذابون المعروفين بوضع الحديث على  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ابراهيم بن أبى يحيى بالمدينة  
ومقاتل بخراسان ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام والواقدي ببغداد .<sup>(٥)</sup>

(١) تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٨١

(٢) المصدر السابق والجزء ص ٢٨٢

(٣) المصدر السابق والجزء ص ٢٨٣

(٤) التاريخ الكبير ج ٤ ص ١٤ ط ١

(٥) تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .



وقال عنه ابن حبان : كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان مشبها يشبه الرب بالمخلوقين ، وكان يكذب مع ذلك في الحديث <sup>(١)</sup> .

عن عيسى بن يونس - وسئل عن مقاتل بن سليمان - فقال ابن دوان فقال جاءت اليه أنا وحفص بن غياث فسألناه عن حديث فقال أخبرني به الضحاك فتركه أياما فسألته عن ذلك الحديث فقال أخبرني به عطية فتركه أياما ثم جاءت اليه فقال أخبرني به أبو جعفر أو فلان قال عيسى كان يحفظ الرياح كذا وكذا <sup>(٢)</sup> . وقال ابو حاتم : مقاتل بن سليمان البلخي صاحب التفسير والمناكير <sup>(٣)</sup> وعن العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قال سمعت بعض مشيختنا يقول جلس مقاتل بن سليمان في مسجد ببيروت فقال لا تسألوني عن شيء ما دون العرش الا أنبأكم عنه ، فقال الأوزاعي لرجل قم اليه فسله ما ميراثه من جدتيه ؟ فحار ولم يكن عنده جواب ، فما بات فيها الا ليلة ثم خرج بالغداة <sup>(٤)</sup> .

وقال عنه الحافظ الذهبي : كان مقاتل لا يضبط الاسناد وكان يقص في الجامع بمرور ، فقدم جهنم فجلس الى مقاتل ، فوقعت العصبية بينهما فوضع كل واحد منهما على الآخر كتابا ينقص عليه <sup>(٥)</sup> .

عن عفان بن مسلم يقول قام مقاتل بن سليمان فاسند ظهره الى القبلة

(١) كتاب المجروحين لابن حبان ج ٣ ص ١٤

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٦٥

(٣) كتاب الجرح والتعديل ج ٤ ص ٣٥٤

(٤) المصدر السابق والجزء ص ٣٥٤ - ٣٥٥

(٥) ميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٧٣

فقال : سلوني عما دون العرش حتى اخبركم به قال فمشى اليه يوسـف  
السمتي فقال له انك قلت سلوني عما دون العرش حتى اخبركم به قال  
نعم فسلني قال أخبرني عن آدم أول حجة حجها من خلق رأسه ؟  
قال لا أدري ، قال هذا ما دون العرش .<sup>(١)</sup>

كذب مقاتل والادلة على ذلك :

ما سبق نرى ان علماء الحديث اسقطوا مقاتلا المحدث ، وحكموا عليه  
بأقصى أنواع الحكم وهو الكذب .

ومما لا شك فيه هو ان تاريخ مقاتل حافل بأدلة هذا الاتهام ، فقد  
عرف أنه حاول ان يتقرب الى الخلفاء العباسيين بوضع الاحاديث .

حكى أبو عبيد الله وزير المهدي قال : قال لي المهدي : الا ترى  
الى ما يقول لي هذا - يعني مقاتلا - قال : اذا شئت وضعت لك  
أحاديث في العباس ، قلت لا حاجة لي فيها .<sup>(٢)</sup>

وقال البخاري : قال ابن عيينه : سمعت مقاتلا يقول ان لم يخرج -  
الذجال الاكبر سنة خمسين ومائة فاعلموا أنني كذاب .<sup>(٣)</sup> ولما لم يخرج  
الذجال تحقق الجواب وهو كذب مقاتل .

وهكى أبو عبيد وزير المهدي قال : قال لي أمير المؤمنين المهدي :

(١) تهذيب الكمال ج ٧ ص ١٦٨

(٢) تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٨٣

(٣) المصدر السابق والجزء والصفحة .

لما أتانا نعى مقاتل اشتد ذلك على فذكرته لأمير المؤمنين أبي جعفر  
فقال لا يكبر عليك ، فانه كان يقول أنظر ما تحب أن أحدثه فيك حسنى  
أحدثه .<sup>(١)</sup>

عن مالك بن أنس قال : بلغنى أن مقاتل بن سليمان جاءه انسان  
فقال له ان انسانا جاءنى فسألنى عن لون كلب أصحاب الكهف فلم أدر ما  
أقول له فقال له ألا قلت ابقع فلو قلت لم تجد أحدا يرد عليك ، قال  
أبو اسماعيل : وسمعت نعيم بن حماد يقول : هذا أول ما ظهر لمقاتل  
من الكذب .<sup>(٢)</sup>

من هنا يتضح لنا ان مقاتلا ليس كذابا فقط ، بل هو صاحب مدرسة  
فى تعلم الكذب ، فهو يلحق من سأله عن لون كلب اصحاب الكهف أن يقول  
أبقع ، أى يلغنه طريقة الكذب والاختلاق وعدم التثبت ، بينما كان الأئمة  
يعلمون تلاميذهم التثبت .

قال الامام مالك : ينبغى أن يورث العالم جلساءه قول لا أدرى حتى  
يكون ذلك أصلا فى ايديهم يفرعون اليه فاذا سئل أحد هم عما لا يدرى  
قال لا أدرى .<sup>(٣)</sup>

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٦٧

(٢) انظر تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٨٢

(٣) مقدمة الاشباه والنظائر فى القرآن لمقاتل بن سليمان تحقيق الدكتور  
عبدالله محمود شحاته ص ٣٩ - مطبعة دار الكتب والوثائق القومية

عقيدة مقاتل :  
 ~~~~~

لقد اتهم مقاتل بالتجسيم والحلولية ، والذي يبدو لى أن الذين اتهموه اعتمدوا على الحديث الذي رواه علي بن محمد القادس حيث قال : حدثنا محمد بن حماد عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس قال : اذا كان يوم القيامة ينادى مناد . أين حبيب الله ؟ فيتخطى صفوف الملائكة حتى يصير الى العرش ، حتى يجلسه معه على العرش حتى يمس ركبته .^(١)

وهذا الحديث الذي اعتمدوا عليه واتهموا مقاتل على أساسه ، شك الحافظ الذهبي في نسبه الى مقاتل وقال - بعد سرد الحديث - فهذا لعله وضعه أحد هؤلاء أصحاب مقاتل أو القادس .^(٢) وبإشارة الى الذهبي أيضا في تذكرة الحفاظ تدل على ذلك ، فانه بعد ترجمته لمقاتل بن حيان يقول : اما مقاتل بن سليمان المفسر فكان في هذا الوقت وهو متروك الحديث . وقد لطمح بالتجسيم مع أنه كان من أوعية العلم بحرا في التفسير .^(٣)

وقوله (لطمح) يدل على الشك ، لان المعروف عند أغلب أهل الحديث ان صيغة المبنى للمجهول تفيد الشك أو عدم الجزم بصحة ما قيل . ولقد رد مقاتل نفسه هذه الاتهامات وانكرها فعن علي بن الحسين بن واقد سأل الخليفة مقاتل بن سليمان فقال له بلغنى أنك تشبه فقال

(١) ميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٧٤

(٢) الصدر السابق والجزء والصفحة .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٤

(١) انما أقول قل هو الله أحد وسرد ها فمن قال غير ذلك فقد كذب .
وأنا لا أستبعد أن يكون جهم هو الذى لطخ مقاتل بهذه الترهات
خاصة اذا عرفنا ان بينه وبين مقاتل مخاصمة شديدة حتى أدى ذلك
الى ان يكتب كل منهما كتابا يهاجم فيه الآخر . (٢) اذا فحتى نكون منصفين
لا بد أن ننظر فيما قاله مقاتل بنفسه لا فيما قيل عنه ونسب اليه ، لان له
كتب كثيرة ومن أشهر هذه الكتب وأبرزها تفسيره الكبير ، ومن خلال هذا
التفسير يمكن ان ندرك ما اذا كانت هذه الاتهامات صحيحة .
ولقد اطلعت على هذا التفسير الذى حققه الاستاذ الكبير "عبدالله
محمود شحاته" ويعتبر هذا التفسير أقدم تفسير كامل للقرآن وصل اليها
لقد جمع فيه مقاتل بين النقل والعقل - طبعاً بعد حذفه للأسانيد -
ويتميز تفسيره هذا بالبساطة واليسر ، لقد ركزت اطلاعى على هذا التفسير
فى آيات الصفات ، وكان قصدى من ذلك البحث عما اذا كانت هذه -
الاتهامات صحيحة وقد توصلت أخيراً الى ان هذه الاتهامات لا أساس
لها فى الجملة ، فقد وجدت مقاتلاً يفسر هذه الايات كما يفسرها اكثر
علماء أهل السنة . وسأضرب مثلاً لهذه التفاسير حتى تتضح الحقيقة .
فعمد قوله تعالى " (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله
فوق أيديهم) " (٣) يقول مقاتل (ان الذين يبايعونك) يوم الحديبية
تحت الشجرة فى الحرم وهى بيعة الرضوان كان المسلمون يومئذ ألفاً -
واربعمائة رجل فبايعوا النبى صلى الله عليه وسلم على ان يقاتلوا ولا يفروا

(١) تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٨٢

(٢) المصدر السابق والجزء ص ٢٨٠

(٣) الفتح ١٠

من العدو ، فقال (انما يبايعون الله يد الله) بالوفاء لهم بما وعدهم
من الخير (فوق أيديهم) حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اننا
نبايعك على الا نفر ونقاتل فاعرف لنا ذلك (فمن نكث) البيعة (فانما
ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله) من البيعة (فسيئوتيه)
فى الاخرة (أجرا) يعنى جزاء (عظيما) يعنى فى الجنة نصيبا
وافرا .^(١)

وعند قوله تعالى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم
استوى على العرش)^(٢) يقول مقاتل : قبل خلقهما (يعلم ما يلج فى
الارض) من المطر (وما يخرج منها) من النبات (وما ينزل من السماء)
من الملائكة (وما يعرج) يعنى وما يصعد (فيها) يعنى فى السموات
من الملائكة (وهو معكم) يعنى علمه (أينما كنتم) من الارض (والله
بما تعملون بصير)^(٣)

وعند قوله تعالى (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم)^(٤) يقول مقاتل
(فسيكفيكم الله) يا محمد يعنى اهل الكتاب ففعل الله عز وجل
ذلك فقتل أهل قريظة وأجلى بنى النضير من المدينة الى الشام
(وهو السميع العليم) لقولهم للمؤمنين كانوا هودا أو نصارى تهتدوا

(١) تفسير مقاتل بن سليمان تحقيق عبد الله محمود شحاته ج ٤ ص ١٤٢٠

(٢) الحديد ٤

(٣) تفسير مقاتل ج ٤ ص ١٥١١

(٤) البقرة ١٣٧

ثم قال العليم بما قالوا^(١) .

وعند قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مفلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا^(٢)) يقول مقاتل : (وقالت اليهود) يعنى ابن سوريا وفنحاص - اليهوديين وعازر بن أبى عازر (يد الله مفلولة) يعنى ممسكة أمسك الله يده عنا فلا يبسطها علينا بخير وليس بجواد وذلك ان الله عز وجل بسط عليهم فى الرزق فلما عصوا واستحلوا ما حرم عليهم أمسك عنهم الرزق فقالوا عن ذلك يد الله محبوسه عن البسط ، يقول الله عز وجل (غلت أيديهم) يعنى أمسك أيديهم عن الخير (ولعنوا بما قالوا بل يداه مسوطتان) بالخير (ينفق كيف يشاء) ان شاء وسع فى الرزق وان شاء قترهم خلقه وعبيده فى قبضته .^(٣)

وعند قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)^(٤) يقول مقاتل : أى

قبل خلق السموات والارض يعنى استقر .^(٥)

وعند قوله تعالى (قال لا تخافا انى معكما اسمع وأرى)^(٦) يقول مقاتل

لا تخافا القتل (انى معكما) فى الدفع عنكما فذلك قوله سبحانه فلا يصلون اليكما ، ثم قال (اسمع) جواب فرعون (وأرى) يقول واعلم ما يقول

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج ١ ص ٥٥

(٢) المائدة ٦٤

(٣) تفسير مقاتل ج ١ ص ٣٣١

(٤) طه ٥

(٥) تفسير مقاتل ج ٣ ص ٨٦٤

(٦) طه ٤٦

كقوله : لتحكم بين الناس بما أراك الله يعنى بما أعلمك الله عز وجل .^(١)
وأنت ترى تفسير مقاتل لهذه الصفات ليس هناك ما يدل على أنه مجسم
أو حلولى ، وان كان فى هذا التفسير شئ من التأويلات الا أنها لا تؤدى
الى التجسيم .

واما اتهام مقاتل بالارجاء فلعله يكون على اصطلاح المعتزلة حيث
يتهمون كل من لا يقول بأن مرتكب الكبيرة مخلد فى النار ، ويطلقون لقب
المرجئة على كل من لا يقول بذلك ،^(٢) ما دام يرى ان صاحب الكبيرة ليس
مخلدا فى النار ، ولو كان يقول انه معذب بمقدار ما أذنب .

وقد عد من المرجئة على هذا النحو عدد كبير منهم الحسن بن محمد
بن على بن أبى طالب ، وابو حنيفة وابو يوسف ، وسعيد بن جبير ،
وطلق بن حبيب ، وعمرو بن مرة ، وصحار بن دثار ، وحماد بن أبى
سليمان ومسؤلاً ، كلهم من أئمة الفقه والحديث لم يكفروا أصحاب الكبائر
بالكبيرة ، ولم يحكموا بتخليد هم فى النار خلافا للخواج والقدرية .^(٣)

وقد صحح الشهرستاني ما اتهم به مقاتل من الارجاء فقال : ويحكى
عن مقاتل بن سليمان ان المعصية لا تضر صاحب التوحيد والايمان ، وانه
لا يدخل النار مؤمن ، والصحيح من النقل عنه ان المؤمن العاصى يعذب

(١) تفسير مقاتل ج ٣ ص ٨٧١

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني تحقيق أحمد فهى ج ١ ص ٢٢٦
ط ١ مطبعة العجاز بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م

(٣) المصدر السابق والجزء ص ٢٣٣ - ٢٣٤

يوم القيامة على الصراط وهو على متن جهنم يصيبه لفتح النار ولهبها
فيتألم لذلك على مقدار المعصية ، ثم يدخل الجنة ، ومثل ذلك بالحبّة
على المقلاة المؤحجة بالنار .^(١)

ولقد قسم بعض العلماء المرجئة الى قسمين : مرجئة السنة : وهم
الذين قرروا ان مرتكب الذنب يعذب بمقدار ما أذنب ولا يخلد في النار
وقد يعفو الله عنه ويتفمده برحمته ، فلا يعذب أصلاً ، وذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وفي هذا القسم يدخل
مقاتل بن سليمان وأكثر الفقهاء والمحدثين .

والقسم الثاني : مرجئة البدعة وهؤلاء هم الذين يقولون لا يضر مع
الايان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهؤلاء الذين اختصوا باسم
الارجاء عند الاكثريين ، وقد تبرأ منهم زيد بن علي بن الحسين بقولسه
أبرأ من المرجئة الذين اطمعوا الفساق في عفو الله تعالى .
وهؤلاء الذين يستحقون مقالة السوء من الجميع ، لذلك فالأول
ابعاد وصف الارجاء عن الأئمة الاعلام ، حتى لا يشترك معهم في الاسم
اولئك الاباحيون -^(٢) ان صح التعبير .

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني تحقيق أحمد قهس ج ١ ص ٢٢٨

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية لمحمد أبي زهرة ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦
دار الثقافة العربية للطباعة بصر .

تفسير مقاتل

ومع اتهام أئمة الحديث لمقاتل بالكذب في الحديث ، الا أننا نلاحظ ان الثناء على مقاتل يتجه الى تفسيره للقرآن الكريم ، فشهادة الامام الشافعي لمقاتل بأن الناس عيال عليه في التفسير شهادة لها قيمتها واعتبارها ، لصدورها عن الامام الشافعي رحمه الله ، وقد قال عبد الله بن المبارك حين رأى تفسير مقاتل : ياله من علم لو كان له اسناد . وفي رواية أخرى عنه : ما احسن تفسيره لو كان ثقة .^(١)

وقال أحمد بن حنبل - وقد سئل عن مقاتل بن سليمان - : كانت له كتب ينظر فيها الا أنى أرى أنه كان له علم بالقرآن . .^(٢)
نعم ، هو كما قال الامام أحمد ، فقد استكمل مقاتل أكثر العلوم التي يحتاج اليها المفسر واستطاع أن يبرزها في تفسيره .
منهج مقاتل في تفسيره :

كثيرا ما يعتمد مقاتل في تفسيره على ما يشبه " التفسير الموضوعي " حيث يبحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن الكريم في سورة المتعدده ليظهر ما فيها من معان خاصة يتعلق بالموضوع العام الذي يبحثه ليتحقق الهدف ، لذا تجده يورد عند تفسيره للآية ما يتعلق بها وما يكمل معناها ويجمع الآيات المتصلة بموضوع واحد ، ويورد الأحاديث المتعلقة بالآية بعد أن يحذف أسانيد ها .

١- تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١٠ ص ٢٧٩ - ٢٧٠ انظر ميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٧٣ .

٢- تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٦١ .

ومن ذلك ايراد ه للآيات التي يوهم ظاهرها التناقض كقوله تعالى : " وهو —
الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء . . . الآية " (١) .
وهذه الآية تفيد أن خلق العرش كان قبل خلق السموات والأرض ، مع أن قوله
تعالى " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم أستوى على
العرش . . . الآية " (٢) . قد تفهم أن خلق العرش كان بعد خلق السموات
والأرض . وقوله تعالى من سورة فصلت " ثم استوى الى السماء وهى دخان
فقال لها وللأرض ائيبا طوعا أو كرها قالتا آتينا طائعين فقضاهن سبع
سموات فى يومين . . . الآية " (٣) وهذه الآية تفيد ان خلق السموات كان بعد
خلق الأرض ، بينما قوله تعالى فى سورة النازعات " أنتم أشد خلقا أم السماء
بناها ، رفع سمكها فسواها ، واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك
دحاها " (٤) . تفيد ان خلق الأرض كان بعد خلق السموات . ويذهب مقاتل
الى ان الله خلق العرش قبل خلق السموات والأرض وأن الله خلق السموات
قبل خلق الأرض ، ثم أول الآيات التي تفيد ظاهرها غير ذلك . . . (٥)

كما يجمع مقاتل بين الآيات جمعا عقليا سليما ، فقد ذكر القس —
أن الله خلق آدم من تراب عند قوله تعالى " ان مثل عيسى عند الله كمثل
آدم خلقه من تراب " (٦) . وفى سورة ص أنه خلق من طين " ان قال ربك للملائكة
انى خالق بشرا من طين " (٧) . وفى الصافات أنه خلق من طين لازب .

-
- ١- هود ٧
 - ٢- الاعراف ٥٤
 - ٣- فصلت ١١
 - ٤- النازعات ٣٠
 - ٥- انظر الاشباه والنظائر فى القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان تحقيق عبد الله
شحاته ص ٦٢ .
 - ٦- آل عمران ٥٩
 - ٧- سورة ص ٧١

" انا خلقناهم من طين لازب " ^(١) . وفي الحجر من حما سنون " قال لم أكس
 لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حما سنون " ^(٢) وقال تعالى ايضاً " ولقد
 خلقنا الانسان من صلصال من حما سنون " ^(٣) . وفي سورة الرحمن من صلصال
 كالفخار " خلق الانسان من صلصال كالفخار " ^(٤) وفي المرسلات من ماء مهين
 " ألم نخلقكم من ماء مهين " ^(٥) .

ويجمع مقاتل بين هذه الايات كلها بأنها دليل على تدرج الخلق وقسما
 قد بدأ خلق آدم من اديم الارض وهو التراب ، ثم تحول التراب الى الطين
 وتحول الطين الى سلاله ، ثم تغيرت رائحة الطين فتحول الى حما سنون
 ثم لصق فتحول الى طين لازب ، ثم صار له صوت كصوت الفخار ، ثم نفخ فيه
 الروح فأراد أن ينهض قبل أن تتم الروح فيه ، فذلك قوله " خلق الانسان
 من عجل " ^(٦) . ثم جعل ذريته من النطفة التي تنسل من الانسان ، ومن الماء
 المهين أى الضعيف . . ^(٧)

وكان مقاتل يحاول دائما تفسير القرآن بالقرآن على أوسع معنى لذلك المبدأ
 بما يشمل كليات القرآن والتوفيق بين المتشابه ، وتوجيه ما يوهم التضاد وترتيب
 آيات الحياة والموت وما أشبهها حسب تدرجها وتسلسلها ولذلك اعتبر مقاتل
 سباقا فى كثير من هذه المعانى ^(٨) .

-
- ١- الصافات ١١
 - ٢- الحجر ٣٣
 - ٣- الحجر ٢٦
 - ٤- الرحمن ١٤
 - ٥- المرسلات ٢٠
 - ٦- الانبياء ٣٧
 - ٧- انظر الأشباه والنظائر ص ٦٢ - ٦٣
 - ٨- انظر الأشباه والنظائر ص ٦٣ .

ما أخذ على مقاتل في تفسيره :

لقد أخذ بعض العلماء على تفسير مقاتل وقالوا ؛ رغم احاطة مقاتل بكثير من العلوم والمعارف ، الا أن تفسيره لم يسلم من عيوب ظاهرة وهذاه العيوب هي :

أولاً : حذفه الاسانيد - كما قلنا سابقا في وقت مبكر كان الرواة يهتمون فيه كثير بالاسانيد ، وذلك وضع مقاتل الشوك في طريق تجريد التفسير من الموضوع والدخيل .

ثانيا : الكذب والتدليس في الرواية .

ثالثا : نأثر مقاتل بالاسرائيليات في تفسيره حيث يروى كثير عن اليهود والنصارى .

وهذه العيوب نقصت منزلة مقاتل ، ووضعت من مكانة تفسيره وخاصة ما يتعلق بالاسرائيليات ، لقد ملأ تفسيره بها حتى ذكر ابن حبان وغيره فسي تميز خصيصته أنه أستمد علمه بالقرآن من اليهود والنصارى وجعله موافقا لما في كتبهم (١) .

ولو ان مقاتلا بايراده هذه الروايات الاسرائيلية قد اسندها الى أصحابها كما فعل الامام الطبري مثلا لوجد له العذر ، ولكنه لم يفعل ولم يتعقب ما أورد منها كما فعل غيره من المفسرين ، وذلك يكون مقاتل قد سن سنة سيئة للمفسرين من بعده ممن نقلوا عنه والتبس عليهم الصحيح بالعليل من هذه الروايات .

فلنضرب لذلك مثلا في تفسيره :

١ انظر كتاب المجرهين ج ٣ ص ١٤٠ .

فقد ذهب مقاتل في تفسير الكرسي في قوله تعالى : " وسع كرسيه السموات والأرض^(١) ". مذهباً أقرب ما يكون إلى الخرافة ، فقال مانصه " يحمل الكرسي أربعة أملاك . لكل ملك أربعة وجوه أقدامهم تحت الصخرة التي تحت الأرض السفلى مسيرة خمسمائة عام ، وما بين كل أرض مسيرة خمسمائة عام ، ملك وجهه على صورة الانسان ، وهو سيد الصور وهو يسأل الله الرزق للآدميين ، وملك وجهه على صورة سيد الأنعام وهو الثور ، يسأل الرزق للبهائم ، وملك وجهه على صورة سيد الطير وهو يسأل الله عز وجل الرزق للطير ، وهو النســــــــــــــــر وملك وجهه على صورة سيد السباع وهو الأسد وهو يسأل الرزق للسباع^(٢) ". ولم يذكر مقاتل الإسناد الذي اعتمد عليه ، بل أورد الأثر محذوف الإسناد مع أنه من السمعيات التي لا تقبل إلا إذا وردت في القرآن أو رويت عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

واخطر شيء من هذه الأسرائيليات كلها كلامه عن الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام ووصفهم بالنقائص . واسمع ما يقول مقاتل عند قوله تعالى " وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب^(٣) ". الآية يقول مقاتل في تفسير هذه الآية : وذلك أن داود قال : رب اتخذت إبراهيم خليلاً ، وكلمت موسى تكليماً فوددت أنك أعطيتني من الذكر مثل ما أعطيتهما من الذكر قال : نعم قال اعمل عملك ، فمكث داود عليه السلام ماشياً الله عز وجل يصوم نصف الدهر ويقوم الليل إذ صلى في المحراب ، فجاء طير حسن ملون فوق إليه فتناولته فصار إلى الكوة ، فقام ليأخذه ، فوقع الطير في بستان ، فأشرف داود فرأى

١- البقرة ٢٥٥

٢- تفسير مقاتل ج ١ ص ١٢٢

٣- سورة ص ٢١

امرأة تغتسل فتعجب من حسنها وأبصرت المرأة ظله فنفضت شعرها فغطت جسمها فزاد ذلك بها اعجابا ، ودخلت المرأة منزلها ، وبعت غلاما ففى أثرها فاذا هى " بثسام امرأة أوريا بن حنان " وزوجها فى الغزوفى بميت اللقاء الذى بالشام مع ثواب بن سوريا ابن أخت داود عليه السلام ، فكذب داود الى ابن أخته بمزيمة أن يقدم أوريا ، فيقاتل أهل اللقاء ولا يرجع حتى يفتحها أو يقتل فقدمه فقتل ، فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فولدت له سليمان بن داود ، فبعث الله عز وجل الى داود عليه السلام ملكين ليستنقذه بالتوبة فأتوه يوم رأس المائة فى المحراب ، وكان يوم عبادته والحرس حوله ، فلما رآهما داود قد تسور المحراب فزع داود وقال فى نفسه لقد ضاع ملكى حين يدخل عليه بخير اذن فقال أحدهما : ان هذا أخنى يعنى الملك الذى معه - له تسع وتسعون نعجة - يعنى تسع وتسعون امرأة وهكذا كان لداود - فطالب منى أن أضم نعمتى اليه ، فقال داود : لقد ظلمك بهذا الطلب ، ثم سمدا الملكان ، فعلم داود ان الله ابتلاه بذلك .^(١)

وهذه القصة التى ذكرها مقاتل فى تفسيره توافق ما جاء فى الاصحابيين الحادى والثمانى عشر من صموئيل الثانى ، ومن اراد الوقوف عليه فليراجع " الكتاب المقدس صموئيل الثانى ١٢ - ١٣ طبع المطبعة الأمريكية سنة

١٩٢٩ م .

وهذه القصة كما ترى فى غاية البطالان ، لأنها تنسب الى نبي الله داود عليه السلام التهجم باطلاع على عورة امرأة أجنبية عنه ، وانتهاك حرمة الجوار

كما تنسب اليه الغدر بزواج المرأة وتدبير المكيدة لقتله ليستولى على امرأته والخضوع لشهوته الطبيعية حيث لم يكتف بتسعين وتسعين امرأة من نساءه واتخذ الاجرام . وسللة الى ضم زوجة جاره الى نساءه .

وكل هذه الأمور يستحيل صورها من نبي معصوم ، لأنها منافية للمعصومة التي قامت الادلة القطعية على ثبوتها للأنبياء والرسل عليهم السلام وصارت من معتقدات الاسلام المملومة من الدين بالضرورة ، واذ صدر هذه الجرائم من نبي - على زعم عشاق الاساطير - فماذا بقى للمجرمين والفساق وعبدة الأهواء والشهوات . سبحانك هذا بهتان عظيم (١) .

ومما يدل على بطلان هذه القصة :

١- ان قصة داود عليه السلام في سورة ص قد سيقت مساق المدح لــــه بدليل ان الله تعالى ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم ليقتدى بــــداود في الصبر ، ومحال أن يأمر الله سيد الرسل بالاعتداء بــــداود الا وهو على أتم ما يكون من الكمال ، وقد مدحه الله في أولها وآخرها بكثير من المدائح الجليلة ، فلو صحت هذه الاسطورة لكانت مناقضة لسباق الآيات مناقضة صريحة .

٢- قامت الادلة القطعية على أن الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكبائر ولو صحت هذه الاسطورة التي نسبت الى داود عليه السلام - اى ارتكاب الجريمة - لكانت هادمة لمعصمته ولا ترفع الوثوق برسالاته وذلك باطل ، وقد نص المحدثون على أن كل خبر ناقص أصلاً قطعياً مــــن

١- انظر الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير للدكتور رمزي نعمانه ص ٢٣٠

أصول الدين فهو موضوع قطعاً ولا تجوز زوايته ، وما أن هذه الأسطورة مناقضة
 للعصمة التي هي من أصول الدين القطعية فهي باطلة بلا مرأه ،
 ٣- ان الله تعالى أشنى على داود عليه السلام ووصفه بصفات تدلنا على
 استحالة صدور هذه الخطايا منه ، فقال تعالى " وان له عندنا لزلقى وحسن
 مآب^(١) " وقال أيضا " وأذكر عبدنا داود إذ أريد أنه أواب^(٢) " ومن جمع هذه الصفات
 فمحال أن تستولى عليه شهوته فتدفعه الى ارتكاب هذه الجريمة .
 ٤- ان الله تعالى وصف داود عليه السلام بأنه آتاه الحكمة وفصل الخطاب
 والحكمة هي العلم المتحكم في الإرادة الضابط لكل قوى النفس ، فلا تصدر
 في اى عمل الا على مقتضاه ، فكيف يعقل ان تلك النفس المضبوطة في كسل
 أعمالها بضوابط الحكمة تسف الى ارتكاب هذه الخطايا التي يتنزه عنها وعن
 مثلها آحاد المؤمنين ، فضلا عن نبي ورسول من المرسلين .
 ٥- ان الله تعالى قد استخلف داود عليه السلام في الارض وجعله قـدوة
 لأمة فكيف يتصور من عنده ذرة من العقل أن يستخلف الله رجلا يخضع
 لشهواته ويرتكب الجريمة في سبيلها ، وكيف يعقل أن يجعله الله قـدوة
 لأمة وهو غير قادر على ضبط نفسه والتحكم في شهواتها^(٣) ؟
 والى جانب هذه الميوب التي ذكرناها في تفسير مقاتل ، نجد عبقرية
 تصل بصاحبها الى ادراك اسى المعانى وأعلاها ، وهو يفسر كتاب اللـه
 في سهولة ويسر ، وقد ساعده على هذا ما يتمتع به من موهبة وذكاء ومعرفة
 واسعة بكل ما يحتاج اليه المفسر لكتاب الله تعالى .

١- سورة ص ٢٥

٢- سورة ي ١٧

٣- الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص ٢٣١ - ٢٣٢

فله معرفة واسعة باللغة ومفرداتها وتراكيبها ، ومعرفة بالمعاني والبيانات
والبديع ومعرفة العقائد والالهيات والنبوات واحكامها كما أن له معرفة
بالقرآيات والتجويد والشعر القديم . . (١)
وكل هذه المعارف ساعدته على فهم كتاب الله عز وجل وبالتالى حظى
تفسيره باعجاب الممجدين ، وثناء الأئمة الأعلام . .

١- انظر الاشباه والنظائر ص ٦٤ .

المبحث الرابع : فخر الدين الرازي وأثره
في مدرسة التفسير بالرأى، ومن أبرز المفسرين
بالرأى الامام فخر الدين الرازي

نسبه : هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي ، التميمي
القبيلة الكبرى ، الفصيحة ، الطبرستاني الأصل ، الرازي المولود
الطالق بابن الخديب ، يرجع نسبه الى الخليفة الأول أبي بكر الصديق
رضي الله عنه . . . (١)

ولد بالري عام ٥٤٢ هـ وقيل ٥٤٤ هـ في أسرة اشتهرت بالعلم
والفضل فوالده الشيخ ضياء الدين عمر خطيب الري ، تفقه واشتغل
بعلم الخلاف والأصول حتى تميز تميزا كثيرا وصار قليل المثل ، وكان
يدرس بالري ويخطب في أوقات معلومة هناك ويجتمع عنده خلق كثير
لحسن ما يورده وبلاغته حتى اشتهر بذلك بين الخاص والعام في تلك
النواحي . . . (٢)

علم فخر الدين الرازي : وقد تتلمذ فخر الرازي على يد أبيه ضياء الدين
ثم قرأ الحكمة على المجد الجليل بمراغة وتفقه على الكمال السمناني
وحفظ الشامل في علم الكلام لامام الحرمين ، وكان شديد الحرص جدا

-
- ١- طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٢٥
انظر طبقات المفسرين للداودي ج ٢ ص ٢١٣ وكتاب الوفي للوفيات للصفي
ج ٤ ص ٨٤ و طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٥ ص ٣٥ ط ١ مطبعة
الحسينية بمصر .
٢- طبقات الأطباء ج ٢ ص ٣٥ .

فى سائر العلوم الشرعية والحكمية ، جيد الفطرة ، حاد الذهن حسن
 العبارة كثير البراعة ، لقد قال عنه الصفدى : " له خمس أشياء
 ما جمعها الله لغيره فيما علمته من أمثاله وهى : سعة العبارة فى
 القدرة على الكلام ، وصحة الذهن والاطلاع الذى ما عليه مزىــــد
 والحافظة المستوعبة ، والذاكرة التى تعينه على ما يريد ه فى تقرير
 الادلة والبراهين ، وكان فيه قوة جدلية ونظيره دقيق ، وكان عارفا
 بالأدب له شعر بالعربى وشعر بالفارس كانوا يقصدونه من اطــــراق
 البلاد على اختلاف مقاصد هم فى العلوم وتفننهم فكان كل منهم
 يجد عنده النهاية فيما يروقه منه . . (١)

وذكر ابن أبى أصيبعة فى كتابه " عيون الابناء فى طبقات الأطباء " .
 نقلا عن محى الدين القاضى مرند (٢) . قال لما كان الشيخ فخر الدين
 الرازى بمرند ، اقام بالمدرسة التى كان أبى مدرسها ، وكان يشتغل
 عنه بالفقه ، ثم اشتغل بعد ذلك لنفسه بالعلوم الحكمية وتميز حتى لم
 يوجد فى زمانه آخر يضاهيه ، واجتمعت به أيضا بهمدان وهــــرة
 واشتغلت عليه ، وكان لمجلسه جلاله عظيمة وكان يتعاطم حتى على
 الملوك وكان اذا جلس للتدريس يكون قريبا منه جماعة من تلاميذه الكبار
 مثل زيد الدين الكش والقطب المصرى وشهاب الدين النيسابــــورى
 ثم يليهم بقية التلاميذ وسائر الخلق على قدر مراتبهم فكان من يتكلم فى

١- كتاب الوافى فى لوفيات للصفدى ج ٤ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ط ٢

٢- مدنية فى اذربيجان .

شيء من المعلوم بباحثونه اولئك التلاميذ الكبار ، فان جرى بحث مشكل
أو معنى غريب شاركهم الشيخ فيما هم فيه ، وتكلم في ذلك المعنى
بما يفوق الوصف . . (١)

وكان فخر الدين الرازي اذا ركب مشى معه نحو الثلثمائة مشتقل
على اختلاف مطالبهم في التفسير والفقه والكلام والأصول وغير ذلك
وكان له باع طويل في الوعظ ، فيبكي كثيرا في وعظه . . (٢)
ويحضر مجلسه أرباب المقالات والمذاهب ويسألونه ، ورجع بسببه خلق
كثير من الكرامية وغيرهم الى مذهب السنة وكان يلقب بهراة شيخ
الاسلام . . (٣)

موقف الامام فخر الرازي من الفرق المنحرفة مثل المعتزلة والكرامية^(٤)
لقد كان بين فخر الدين الرازي وبين المعتزلة والكرامية السيف الأحمر
فينال منهم وينالون منه سبا وتكفيرا ، وكان الرازي هريصا على نزول
ديارهم لأنه كان معتد بنفسه في الرد عليهم ووحش مقترياتهم
وأصبحوا يخافونه على نعلتهم ، ولذا حرصوا على صده عن بلادهم
ولقد ذكر ابن الأثير في كتابه " الكامل في التاريخ " أن فخر الدين الرازي
قدم الى غياث الدين مفارقا لبهاء الدين سام ، واحترمه وبالغ في اكرامه
وبنى له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع فقصدته الفقهاء من البلاد فمظم

١- عيون الانبياء في طبقات الأطباء تحقيق الدكتور نزار رضا ص ٤٦٥ - دار
مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦٥ م .

٢- شذرات الذهب لابن العماد ج ٥ ص ٢١ انظر طبقات المفسرين
للداودي ج ٢ ص ٢١٣ .

٣- الوافي في لوفيات ج ٤ ص ٢٤٩ .

ذلك على الكرامية وهم كثيرون بهزأة ، وأما الغورية فكلهم كرامية وكرهوه
 وكان أشد الناس عليه الملك ضياء الدين : وهو ابن عم غياث الدين
 وزوج ابنته ، فاتفق أن حضر الفقهاء من الكرامية والحنفية والشافعية
 عند غياث الدين بفيروز كوه للمناظرة ، وحضر فخر الدين الرازي والقاضي
 مجد الدين عبد المجيد ابن عمر المصروف بابن القدوة وهو من الكرامية
 الهيصمية ، وله عند هم محل كبير لزهده وعلمه وبيته ، فتكلم الرازي فاعترض
 عليه ابن القدوة وطال الكلام ، فقام غياث الدين فاستطال عليه الفخر
 وسبه وشتمه ، وبالغ في اذائه وابن القدوة لا يزيد على ان يقول لا يفعل
 مولانا الا وأخذك الله استغفر الله ، فانفصلوا على هذا ، وقام ضياء
 الدين في هذه الحادثة وشكا الى غياث الدين وذم الفخر ونسبه اليه
 الزندقة ومذهب الفلاسفة ، فلم يصح غياث الدين اليه فلما كان الغد
 وعظ ابن عم مجد الدين بن القدوة بالجامع ، فلما صعد المنبر قال ، بعد
 أن حمد الله و صلى على النبي صلى الله عليه وسلم : لا اله الا الله ، ربنا
 آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ، أيها الناس اننا
 لا نقول الا ما صح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واما علم
 ارسطاطلسا ليس وكفريات ابن سينا ، وفلسفة الفارابي فلا نعلمها
 فلأى حال يشتم بالأسماء من شيوخ الاسلام يذبح عن دين الله
 وعن سنة نبيه ، ويكفر ويكفر الناس ويكفر الكرامية واستغاثوا واعانهم بين
 يؤثر بعد الفخر الرازي عن السلطان وثار الناس من كل جانب وامتلأ
 البلد فتنة ، وكادوا يقتتلون ويجري ما يهلك فيه خلق كثير ، فبلغ ذلك

السلطان ، فأرسل جماعة من عنده الى الناس وسكتهم ووعدهم باخسراج
 الفخر من عندهم ، وتقدم اليه بالعود الى هراة فعاد اليها^(١) ، ومن
 شدة كراهية الكرامية للرازي عند ما قام نفر من الكفار الكوكبية بقتل شهاب
 الدين الغورى ملك غزنة فى سنة ٦٠٢ هـ قالوا للمماليك أن فخر الدين
 الرازى هو الذى قتل مولا هم - شهاب الدين - فثاروا به ليقتلوه فهرب
 وقصد من يؤيد الملك الوزير فأعلمه الحال فسيره سرا الى مأمنه^(٢) .
 وهذا يؤيد ما قيل بأن الكرامية هم الذين سقوه سما فمات^(٣) .

-
- (١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج ١٢ ص ١٥١ - ١٥٢ - دار صادر
 للطباعة والتشريبىروت سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م
 (٢) المصدر السابق والجزء ص ٢١٤
 (٣) انظر شذرات الذهب ج ٥ ص ٢١ ، والطبقات الشافية الكبرى للسبكي
 ج ٥ ص ٣٥ ط ١ - مطبعة الحسينية بمصر .

ما أخذ على فخر الدين الرازي

~~~~~

لقد أخذ بعض العلماء على فخر الدين الرازي أشياء كثيرة منها ما يتعلق بشخصه ومنها ما يتعلق بتفسيره ، وهذه الأخيرة سوف نتكلم عنها عند كلامنا عن تفسيره ان شاء الله واما ما يتعلق بشخصه فقد اتهموه بالقسوة على أخيه ركن الدين ، واتهموه كذلك بالسحر ، واما بالنسبة لأخيه فقد قالوا : انه طلب من سلطان خوارزم شاه ان يمتقل أخاه ركن الدين في أحد القلاع فاعتقله السلطان الى ان قضى نحبه في ممتقل<sup>(١)</sup> .

والحقيقة اننا لو نظرنا بعين الاعتبار الى ما كان يقوم به ركن الدين هذا نحو أخيه لوجدنا ان فخر الدين الرازي معذور فيما قام به نحوه لقد ذكر أبو صبيعة ما حصل من ركن الدين عند كلامه عن أبيهما ضياء الدين بن عمر بقوله ( . . . وخلف ولدان أحدهما الامام فخر الدين والآخر وهو الأكبر سنا كان يلقب بالركن وكان هذا الركن قد شد شيئاً من الخلاف والفقه والأصول ، الا انه كان أهوج كبير الاختلال ، فكان أبداً لا يزال يسير خلف أخيه فخر الدين ، ويتوجه اليه في أي بلد قصد به وشنع عليه ويسفه المشتغلين بكتبه والناظرين في أقواله ويقول : السكت أكبر منه وأعلم منه وأكثر معرفة بالخلاف والأصول ؟ فما للناس يقسولون



فخر الدين ولا أسمعهم يقولون ركن الدين ؟ وكان ربما صنف بزعمه  
شيئا ويقول هذا غير من كلام فخر الدين ويشبهه ، والجماعة يعجبون منه  
وكثير منهم يصفونه ويهزءون به وكان الأمام فخر الدين كلما بلغه شيء من  
ذلك صعب عليه ولم يؤثر أن أخاه بتلك الحالة ولا أحد يسمع قوله ، وكان  
دائم الاحسان اليه ، وربما سأله المقام في الري أو في غيره وهو يفتقده  
ويصله بكل ما يقدر عليه ، فكان كلما سأله ذلك يزيد في فعله ولا ينتقل  
عن حاله ولم يزل كذلك لا ينقطع عنه ولا يسكت عما هو فيه الى ان اجتمع  
فخر الدين بالسلطان خوارزم شاه وانهى اليه حال اخيه وما يقاسى منه  
والتمس منه ان يتركه في بعض المواضع ويوصى عليه انه لا يمكن من الخروج  
والانتقال عن ذلك الموضع وان يكون له ما يقوم بكفايته وكل ما يحتاج اليه  
فجعله السلطان في بعض القلاع التي له واطلق له اقطاعا يقوم له في كل  
سنة بما يبلغه الف دينار ولم يزل مقيما هناك حتى قضى الله فيه امره .<sup>(١)</sup>  
واما التهمة الثانية هي اتهامه بالسحر - فقد نسبوا اليه كتاب السر المكتوم  
في مخاطبة النجوم<sup>(٢)</sup> وقد رد كثير من المحققين هذه التهمة عن الامام  
فخر الدين الرازي ونسبة الكتاب اليه فقالوا : ان الكتاب مختلق عليه وانه  
ليس من مؤلفاته وانما هو من وضع بعض حاسديه أو بعض الملاحدة نسبه  
اليه لمروجه بين الناس ، وقد تبرأ فخر الدين الرازي نفسه من هذا الكتاب  
في بعض مصنفاته .<sup>(٣)</sup>

(١) عيون الانباء في طبقات الاطباء تحقيق الدكتور نزار رضا ص ٤٦٥  
(٢) انظر ميزان الاعتدال للذهبي تحقيق علي محمد البجاوي ج ٣ ص  
٣٤٠ - دار احياء الكتب العربية عيسى الهابى الحلبي .  
(٣) انظر هاشية لسان الميزان لابن حجر ج ٤ ص ٤٢٦ ط ٢ سنة ١٣٩٠  
وشذرات الذهب ج ٥ ص ٢١ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي  
ج ٥ ص ٣٦

### تفسير فخر الدين الرازي

لقد انقسم العلماء بالنسبة الى تفسير فخر الدين الرازي الى فريقيين :

فريقا ضخما يكاد يجمع على أن هذا الضرب من التفسير لا يتماشى والهداية المقصودة من الآيات القرآنية ، وأن ما أورد الامام الرازي من مختلف الآراء والمذاهب لا يتحملة كلام الله .

وفريقا ثانيا يدافع عن الامام في احتشام ويرى أن هذا النوع من التفسير كان لا بد منه ، وخاصة في عهد فخر الدين الرازي الذي انتشر فيه فنون من العلم ، <sup>(١)</sup> والحقيقة اذا استعرضنا الوان التفاسير التي تناولت كتاب الله بالبيان من قبل الامام الرازي ومعهده ، يظهر لنا أن هذه التفاسير صنفت حسب اختصاص أصحابها ، واختلفت حسب اختلاف مشارب المفسرين ، طبع اللغويون تفسيرهم بما يميلون اليه وكذلك الفقهاء وعلماء البلاغة وغيرهم ، وتفسير الامام الرازي كذلك قد اتسم بسمة صاحبه ، وانعكست عليه شخصيته العلمية التي لا تمتاز بالاختصاص الضيق المحدود ، فقد تبحر الامام الرازي في سائر العلوم واتقن جميعها تقريبا ، وبلغ الكثير منها منزلة الاجتهاد والتفوق كما اعزاز عن غيره بما أوتي من المام بالعلوم الرياضية والطبيعية الى جانب تشبته بالكلام والفلسفة ، فلا عجب اذا رايناه يسلك طريق

١- انظر الرازي من خلال تفسيره لمعبد العزيز المجدوب ص ٥٥ - السدار  
المصرية للكتاب تونس .

الشمول في تفسيره حتى أمكن تسمية منهجه بالمنهج الموسوعي ، فالتوسع هو ميدان اختصاصه وهو ميزة علمه ، فالقرآن العظيم كما لا يخفى معجزة الله الباقية وسار الناس في اكتشاف وجوه اعجازه طرق شتى ، فمن قائل ان اعجازه في تشريعه الامثل ، ومن قائل انه في العبادي الخلقية السامية التي تضمنها وحث على التحلى بها ، وذهب غيرهم الى أن سر اعجازه لغته واسلوبه الفريد أو نظمه الانيق ، او ما فيه من فصاحة قصرت دونها كل الوان الفصاحة ، او بلاغة خردونها البلغاء مهوورين عاجزين . (١) وجاء الرازي فرأى أن وجوه التحدى في القرآن تتمثل في كل ما ذكر وعلى الأخص فيما يتضمن من اشارات الى مختلف العلوم ، كونية كانت او عقلية ، رياضية وطبيعية ، فالقرآن معجزته ينبغى أن تكون انسانية من ناحية ، باقية من ناحية أخرى ولا يتحقق هذا الاعجاز الشامل الخالد بما في القرآن من لغة وبيان أو مستوى ذلك فقط وانما يظهر كذلك في آياته العلمية التي يوافقها الملهم ويؤيدها مهما تطور وتقدم ، فأولى الامام الرازي اهتمامه بهـذـه الناحية التي تعتبر في القرآن وجه اعجازه ككتاب سماوى يسن للبشرية طرق المعرفة ، ويهدى للتي هي أقوم وهو الى جانب ذلك لم يفضل الجانب البياني في القرآن ولا الجانب التشريعى الاجتماعى ولا الفيسى فكان مثال المتكلم الفيلسوف المالم الطبيعى والرياضى ، ومثال الفقيه الأصولى ومن سوى ذلك لقد ذكر الشيخ الرزقاني في كتابه " مناهل

١- انظر اعجاز القرآن للباقلاني تحقيق السيد أحمد صقر ص ٤٨ وما بعدها ط ٤ - دار المعارف والقرآن واعجازه العلمى لمحمد اسماعيل ابراهيم ص ٢١ - ٢٧ .

المعرفان " سبب مزج التفسير بالعلوم الكونية وغيرها من العلوم بقوله —  
 " القرآن كتاب هداية واعجاز ، وهدايتة واعجازه يصورها التفسر  
 ويشترحهما في تفسيره على قدر ما فيه من استعداد ومقدرة/ وعلى قدر ما  
 عند الناس من علوم ومعارف وأفكار . .

ولقد مرت على القرآن الكريم منذ نزوله الى الآن عصور وقرون ، واسم  
 وأجيال والقرآن - كما كان وكما سيبقى - كتاب ينشر نور الهداية  
 ويرفع لواء الاعجاز ، وكان الذين شوفوها به لأول مرة ، عربا اكتملت  
 فيهم خصائص المروية ، وان كانوا مع ذلك أميين لا المام لهم بالقراءة  
 والكتابة ، ولا شأن لهم بعلوم تدرس ولا بكتب تقرأ ، لهذا وذاك كان  
 فهمهم لهداية هذا الكتاب واعجازه وتصويرهم لهما بالتفسير والبيان  
 من الأمور الهينة السهلة ، الجارية على الفطرة والبساطة لا يحتاجون  
 في ذلك الى اصطلاحات فنية ولا الى قواعد نحوية وبلاغية ولا الى  
 نظريات علمية ، أما اعجازه فكان معروفا لهم بمعنى السليقة العربية  
 السليمة والذوق البلاغي الرقيق ، واما هدايته فكانوا يفهمونها كذلك  
 بحقولهم الصافية . . وذكائهم الموهوب ولفتهم العربية الفصحى  
 التي نزل بها القرآن ، وانما استعانوا فبالنظر في كتاب الكون وآيات  
 الله في الآفاق ، وما خلق الله فيهم وحولهم من عجائب السموات  
 والأرض ، ثم بما يسمعون من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مضى الأمر على ذلك مدة ثم جاء نصر الله والفتح ووطأت الارض أكنافها  
 للمسلمين وأظلت راية الاسلام أمما وشموها لم تكن تعرف العربية  
 ولكنها كانت على ثقافة في العلوم والفلسفة والفنون ، وقد اختطلت

هذه الأمم المفتوحة بتلك الأمم الفاتحة فكان من نتائج هذا الاتصال مع امتداد الزمان أمران ؛ أحدهما ان فسدت اللغة العربية وأصبح الجميع بحاجة الى ضوابط تضبطها وتضمن سلامتها وتمصم الناس من الخطأ في فهم الكتاب والسنة فنشأ بسبب ذلك العلوم الادبية أو علوم اللغة العربية .

ثانيهما : ان ترجمت علوم هذه الامم الداخلة في الاسلام وهذبت ونقحت وذاعت ثقافتها بين المسلمين على اختلاف اجناسهم ، فكان من مقتضيات الحكمة التوفيق بينها وبين القرآن من ناحية وفهم القرآن في ضوئها من ناحية أخرى .

وانما كان ذلك من مقتضيات الحكمة ، لأن الاسلام ليس عدوا للمعلم كما يزعم الأفاكون بل هو صديق المعلم وخليفه ان لم نقل كأنه هو .

بهذه الأسباب بدأت العلوم الادبية والعلوم الكونية تتدخل في تفسير القرآن وتمتج به على اعتبار أن هدايته واعجازه لا يفهمان فهما صحيحا كاملا بالنسبة اليهم الا عن طريق هذه العلوم والمعارف .

واما العلوم الكونية فلأن الله تعالى دعا الناس كثيرا أن ينظروا في هذه الكون وخصهم بقوة أن يقرءوا صحيفة هذا الوجود ، ليصلوا من الكون الى مكوئه وليستدلوا بالوجود على موجد ه ولينتفعوا بأبلغ انتفاع بتلك القوى العظيمة التي خلقها لأجلهم ، وسخرها لنفعهم قال تعالى في سورة الجاثية " الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون (١) .

فلا عجب اذا فهموا تلك الالفاظ الكونية التي فى القرآن على النحو الذى

هداهم اليه العلم والثقافة التى تثقفونها فى علوم الكون .

ومعلوم ان المفسر لا يفسر لنفسه انما يفسر للناس ، وكان من الواجب

أن يسايز أفكارهم ويشرح الفاظ القرآن فى الظواهر الطبيعية والعلمية

وسنن الكونية وقوانين الاجتماع والسياسية وقواعد الاقتصاد والاخلاق

وسائر التشريعات الشخصية والمدنية والجنائية والحربية ، نقول : يجب

على المفسر ان يشرح ألفاظ القرآن فى ذلك كله وفيما يشبهه بالطريقة

العلمية المألوفة لهم ، وبالأفكار الغالبة عليهم الملائمة لأذواقهم

والا فما بلغ رسالته ولا أدى أمانته . وكيف يخاطب العالم بغير ما

يفهمون ، ويدخل عليهم من غير الباب الذى يدخلون .<sup>(١)</sup>

وهذا ما فعله الامام الرازى فى تفسيره الكبير . لقد جمع فيه كل

ما يمت الى التفسير بصلة ، لا أنه جانب التفسير واعد بين طالبه وبين

كلام الله والهدى الذى ينبغى ان يستمد منه ، كما ادعى أبو حيان

فى مقدمة تفسيره ونسبه الى مجهول بقوله : " جمع الامام الرازى فى

تفسيره اشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها فى علم التفسير ولذلك قال بعض

العلماء : فيه كل شىء الا التفسير ."

ولقد تتبعت كتب التفسير وعلوم القرآن وغيرها لعلى أعثر على القائل

الحقيقى لهذا القول ولم أجد ، وكل يذكر ما ذكره أبو حيان بدون

ذكر القائل الحقيقى له .

١- انظر مناهل العرفان للزرقانى ج ٢ ص ٩٧ - ٩٩ مطبعة عيسى البابى

الحلبى سنة ١٩٦٢ .

ومن ينظر في تفسير الرازي تمليا ، وكان متحملا بجميل الصبر واستمرار اليقظة وحسن الفهم وسعة المعرفة ، وعمق الثقافة ، يقف على أن ما فيه من تفریع وتفصيل وتخريج وتوسيع بحابة الهيكل الموحد الذي تتماسك أعضاؤه ، ويهدد بعضه بعضا ، فقد يجد القشبياريء صفحات عديدة لتحقيق لفظة على أرجه متعددة ، وأقسام متنوعة مسائل تتفرع عنها أخرى ، وفروع تنجر عنها غيرها ، ومع ذلك فلا خروج عن الموضوع ، ولا بعد عن مراد اللفظ من معنى الآية ، لذا فالناظر المنصف المتأمل في هذا التفسير الكبير يدرك أن هذه الكلمة التي قيلت في شأنه كلمة صدرت عن غير تحقيق ، ولا تمحيص ..

والذي يبنهني قوله هو أن تفسير الرازي لم يوضع للعامة من الناس وليس واجبا على كل مفسر أن يسلك سبيل الایجاز والاختصار وأن يمني بكشف جزء من معارف القرآن ونبذة من المطالب المودعة في آياته لابد من وجود تفاسير كهذه لتساعد المؤمن على اختلاف مستوياتهم ومداركهم العقلية على اكتشاف ما فيه الكفاية من الهداية السامية حتى يحسن ايمانهم وتقر نفوسهم ، وتسلم أرواحهم .

أما الخاصة من طلاب العلم والباحثين ممن ميزهم الله عن غيرهم بثاقب الذهن وواسع العلم ، فمثل هذه التفاسير لا تشفى منهم الغلظة وإنما مقصد هم الموسعات والمطولات يطالبون بها المعارف العالوية والمطالب السامية ، ففي بيان كلام الله مرتبة دنيا تتناول ما يفيد الظاهر من الآيات وتقتصر على ابراز المعنى الاجمالي العام منها مما يحقق الطاعة ويبعد عن الممضية وهي التي تليق بالعامة .

وفيه كذلك مرتبة عليا للخاصة من العلماء والباحثين الذين يطلبون  
دقائق التفسير وخفاياه وأسراره ، مما يمسر على العامة إدراكه وهضمه<sup>(١)</sup>  
قال تعالى : " كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا  
الالباب " <sup>(٢)</sup> .

وطبيعى أن يأتى تفسير القرآن على ذلك مادام الناس متفاوتين فى  
الإدراك وهم فى الفهم والذكاء على درجات ، فلا غرابة إذن أن يكون  
تفسير الرازى على هذا التوسع والتبخر والتشعب ، قال تعالى " وتلك  
الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون " <sup>(٣)</sup> وقال تعالى :  
" لعلمه الذين يستنبطونه منهم " <sup>(٤)</sup> وقد روى عن أبى طالب رضى  
الله عنه قال : " لو أردت أن أطو وقربمير على الفاتحة لفعلت"  
لوفعل هذا لما كان هناك من ينكره .

والدليل على تبخر فخر الدين الرازى المنقطع النظير قوله " ان سورة  
الفاتحة وحدها يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف  
مسألة " <sup>(٥)</sup> .

فلما قال هذا القول استغرب الناس لهذه الدعوة وحملوا ذلك كما  
يقول هو بلفظه " على ما أفوه من أنفسهم من التعليقات الفارغة  
من المعانى والكلمات الخالية عن تحقيق المعاهد والمعانى " <sup>(٦)</sup> .

١- الرازى فى خلال تفسيره لعبد العزيز المجدوب ص ٦٢

٢- سورة ص ٢٩

٣- المنكوت ٤٣

٤- النساء ٨٣

٥- مفاتيح الغيب للرازى ج ١ ص ٣ ط ١ سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٤٣ م

٦- مفاتيح الغيب للرازى ج ١ ص ٣ ط ١ سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م



فأخطره ذلك الى ان يبرز في معرض التطبيق ما كان يقرره في حيز النظر ، وأقدم على تصنيف كتاب في تفسير سورة الفاتحة استهله بمقدمات ذات خطط منهجية تنتهي الى اثبات أنه لا عجب في أن تستنبط تلك المسائل الكثيرة من الالفاظ القليلة ، فأخذ مثلا قوله تعالى " رب العالمين " وبين ان الوجود ليس محصورا في العالم الذي ضبطت أحواله المصارف الانسانية ، لأن الخلاء الذي لا نهاية له خارج هذا العالم صالح لأن يشتمل على الآلاف من العوالم الأخرى ، وأن يحصل في كل واحد من تلك العوالم مثل ما حصل في عالمنا هذا وأعظم وأجسم من ذلك وأنشد قوله أبي العلاء المصمري :

يا أيها الناس كم لله في فلك      تجرى النجوم به والشمس والقمر  
هين على الله ما ضمنا وغايرنا      فمالنا في نواحي عبره خطـر  
وان الانسان لو ترك تلك العوالم كلها ، واقتصر على ان يحيط علمه من هذا العالم فقط بمجائب المعادن ، وأن يعرف عجائب أهوال النبات وعجائب أقسام الحيوانات لنفد عمره في أقل القليل من هـذـه المطالب فلا ينتهي الى غورها مع أن ذلك كله بعض قليل مما يندرج تحت قوله " رب العالمين "

من هذه البراهين التمهيدية الى ان سورة الفاتحة شتملة على مباحث لانهاية لها وأن القول بأن تلك المباحث عشر آلاف ليس الا تقريبا للأفهام من السامعين ، لأنها فوق ذلك بكثير .<sup>(١)</sup>

١- التفسير ورجاله لابن عاشور ص ١١٠ ط ١ دار الكتب الشرقية تونس

انظر مفاتيح الغيب ج ١ ص ٦ - ٧ .

منهج فخر الدين الرازى فى تفسيره

فى بداية هذا الموضوع الذى يخص منهج الامام الرازى فى تفسيره نريد ان  
تقرر قبل كل شىء بأنه قد التزم كل الشروط التى لا بد منها لكل من  
يتصدى لبيان كلام الله ، وان كل العلوم التى ينبغى ان يتسلح بها  
مفسر قد ألم بها وهى تبدو واضحة من خلال علمه ، يلمسها كل دارس له  
ويمكن الجزم أن تفسير الرازى من أشهر التفاسير التى تتوفر فيها هذه  
الشروط .

نرى فخر الدين الرازى - على الأغلب - يبدأ تفسيره لكل آية بذكر ما  
يروى من صحيح المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم عن واحد من  
المحابة أو أكثر ، وينتقل بعد ذلك الى الالفاظ لفظا لفظا ، ان يأخذ  
فى بيان مفاد الآية الأصل موقفا على محل استخراجها من التركيب بحسب  
قوانين العربية ونكت بلاغتها مقتصرًا فى ذلك غير صرف ، ثم يذهب  
فى تربية ذلك المعنى وتوسيمه مذهب الابانة والتفصيل مجتهدا فى ربط  
أوصال الكلام وأحكام تسلسل المعانى ، ولا يلجأ الى التأويل الا اذا لزم  
الامر ، وقام عنده الدليل المجوز له ، او الذى يوجبها ، ويتحيز  
فى ذلك كل التحرز عن صرف الآيات الى ما لا يدل عليه الكثير من  
كلام العرب .

فيعتمد على ائمة العربية فى النحو والبلاغة امثال الزجاج وابن جنى  
والكسائى وسواهم ويمحص ويقارن ، وقد يتوسع فى ذلك احيانا كثيرة حتى يصل  
الى ما يراه أوفق وأقرب الى مراد الله تعالى من ذلك اللفظ ومن معناه كما  
يعتمد على كلام العرب من امثال وحكم واشمار لنفس الغرض ويذكر كذلك  
مناسبات بين الآيات والسور .

قيمة تفسير فخر الدين الرازي

وإذا كان بعض الناس لم يزل في شك من القيمة السامية لهذا التفسير فان الكلمة التي قالها أبو حيان في مقدمة تفسيره " فيه كل شيء " إلا التفسير " قد كانت من أعظم أسباب هذا الشك : لأن هذه الكلمة روجت في مجالس العلماء قديما وحديثا ، لقد قال ابن عاشور ان هذه الكلمة صدرت من غير روية ولا تحقيق وانبتت على مقارنة سطحية بما أشار اليه فخر الدين نفسه من تلك الطريقة المألوفة التي التزمت في التفسير من قبله ، وهي طريقة تحليل التركيب والفصوص على ضاحى الاستنباط منه ، وانها لا محالة طريقة جليلية لاغنى عنها لطالب السب التفسير على الوجه الأكمل ولكنها ليست هي كل التفسير ، بل انها تدخل في مقدمات التفسير لا من نتاجه . . (١)

والحقيقة ان الامام الرازي قد وفى التفسير حقه ، والدليل على ذلك ان الامام لم يترك شيئا يتعلق بتفسير القرآن وعلومه الا تكلم فيه وبينه ومن مميزات تفسيره الجليل أنه يكاد يخلو من الاسرائيليات التي دست كثيرا من كتب التفسير ، واذا ذكر شيئا فذلك لأجل أن يبطله وذلك كما صنع في قصة هارون وماروت (٢) وقصة داود وسليمان عليهما السلام (٣) . وغيرهما ، كما تعرض بالتزييف لبعض المرويات التي تغفل

١- التفسير ورجالاه لابن عاشور ص ١١٣ - ١١٤

٢- انظر مفاتيح الغيب ج ٣ ص ٢١٩

٣- انظر مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٨٩ - ١٩٤

بعضة النبي صلى الله عليه وسلم وأبطالها ، كما صنع في قصصه  
الغرائيق .

هذا ولم يكن تفسير الرازي تفسيرا اعتياديا لكثير من التفاسير السنية  
لم تسجل التأثير الطموس في التفاسير التي كتبت بعدها ، وانما كان  
تفسيرا يمثل حاجة عقلية لتفسير كبير من مسائل الدين ومظاهر الحياة  
ولذا فانه أشر في عالم التفسير تأثيرا واضحا ، انما من مفسر يمتد  
على تفسيره جاء بمد الرازي الا وكان هذا التفسير العقلي مصدرا  
مهما من مصادره ، لاحتوائه على تحليلات رائعة وعلوم غزيرة ومسائل  
متنوعة ومنهج واضح .

ان جميع المفسرين الذين قد روا للعقل الانساني قيمته فسي  
استكشاف سر التشريع والحوث في اعماق مسائل الدين استفادوا من هذا  
التفسير لأنه يمثل النظرة العقلية للمسائل القرآنية من وجهة نظر اهل  
السنة والجماعة لا من وجهة نظر المعتزلة وغيرهم من الفلاسفة .

وانا كان تفسير الرازي له تلك المكانة والشهرة ، فلا عجب ان يتأثر  
المفسرون الذين جاءوا بعده بكتابه فينتفعوا به ويفيدوا منه ، ومن  
أشهر هؤلاء نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ( ت ٧٢٨هـ )  
في تفسيره المسمى " غرائب القرآن وغرائب الفرقان " .

ان القارىء لهذا التفسير يجد أنه نسخة ثانية من تفسير الرازي  
مع بعض الزيادة والنقصان . واليك بعض الامثلة :

وعند كلامه - اي النيسابوري - عن البسطة يقول " طولوا الباء من بسم  
الله ، اما للدلالة على همزة الوصل المحذوفة واما لأنهم ارادوا الا  
يستفتحوا كتاب الله الا بحرف معظم ، وكان يقول عمر بن عبد العزيز

لكتابه : طولوا الباب واظهروا السين وادوروا الميم تعظيما لكتاب الله  
وقال اهل الاشارة : الباء حرف منخفض في الصورة فلما اتصل بكتابة  
لفظ الله ارتفعت واستعملت فلا يبعد أن القلب اذا اتصل بحضرة الله  
يرتفع حاله ويعلو شأنه (١) .

كذلك نجد النسابورى ينقل تعليقات الرازى فيما يتعلق باشتقاق  
الاسم في البسطة هل هو من وسم يسم أو من سما يسمو ، وكذلك فى  
تحقيقات الرازى القيمة فى كون الاسم هو نفس المسمى أم لا ؟ وعند قوله  
تعالى " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة (٢) الآية  
نجده ينقل تحقيقات الرازى عن اختلاف اهل السنة والجمهورية والمعتزلة  
فى معنى كلمة " الختم " وكيفيته (٣) .

وينقل هذه الأشياء وغيرها من القضايا والأمر المتنوعة دون أن يشير  
الى أنه نقل عنه ، لعله استغنى بما كتبه فى مقدمة تفسيره حيث قال  
" ولما كان التفسير الكبير المنسوب الى الامام الأفضل والهمام الا مثل  
الحبر النحرير ، والبحر الفزير الجامع بين المقول والمنقول الفائز  
بالفروع والأصول ، أفضل المتأخرين فخر الملة والحق والدين " محمد  
بن عمر بن الحسين الخطيب الرازى " تفمده الله برضوانه واسكنه بحبوبة  
جناته اسمه مطابق لسماء وفيه من اللطائف والبحوث مالا يحصى

١- غرائب القرآن وغرائب الفرقان ج ١ ص ٥٩ وانظر نفس النص فى

تفسير الفخر الرازى ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٦

- ٢

٣- انظر غرائب القرآن ج ١ ص ١٥٥ وما بعد ها وتفسير الفخر الرازى

ج ٢ ص ٤٨ وما بعد ها .

ومن الزوائد الغثوث ما لا يخفى ، فانه قد بذل مجهود ه ونثل موجود ه حتى عسر كتبه على الطالبيين ، واعوز تحصيله على الراغبين فحاذيت سياق مراره ، وأوردت حاصل كلامه وقريت مسالك أقدامه ، والتقطت عقود نظامه ، من غير اغلال بشىء من الفرائد ، واهمال لما يعد من اللطائف والفوائد ، وضممت اليه ما وجدت فى الكشاف وفى سائر التفاسير من اللطائف المهمات . . . (١)

ومن المفسرين الذين تأثر بالا مام الرازى الامام الالوس (ت ١٢٧٠ هـ) وكل من يقرأ تفسير الالوس يثبت عند ه أنه اعتمد تفسير الرازى مصدر را مهما من مصادر ه فلنضرب لذلك بعض الامثلة فعند قوله تعالى " فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم " (٢) . نقل الالوس عن الرازى بعض ردود العلماء علو الطاعنين فى هذه الآية (٣) . ويوجز احياننا ما فصله الرازى فى كلمة " الصيام " نقل عنه موجز ما ذكره فى لغتها (٤) . وعند قوله تعالى " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاث قروء " نجد عند مقارنة ما كتب فى التفسيرين ان الالوس استفاد من الرازى ونقل عنه المسائل المتنوعة تارة تلخيصا وتارة باسمه صراحة (٥) . وكثير ما ينقل عنه قضايا وأمور متنوعة دون ان يشير الى أنه نقل عنه .

١- غرائب القرآن وغرائب الفرقان ج ١ ص ٨

٢-

٣- انظر روح المعانى للالوس ج ٢ ص ٧١ - ٧٢

و تفسير الرازى الذى بهامشة تفسير أبى السمود ج ٢ ص ٢٣٧ وما بعد ها .

٤- روح المعانى ج ٢ ص ٤٨ وانظر تفسير الرازى ج ٢ ص ١٦٨

٥- روح المعانى ج ٢ ص ١١٢ وما بعد ها والرازى ج ٢ ص ٣٦٣ وما بعد ها

### تفسير المنار

وتفسير السيد محمد رشيد رضا المشهور بـ ( المنار ) هو ثالث تفسير مهم بعد تفسيرى النيسابورى والالوس تأثر بتفسير الرازى تأثرا واضحا فلقد اعتمده صدرا مهما من صادره ، وسبب ذلك ان السيد رشيد كان أبرز مفسرى مدرسة الامام محمد عبده ، ومن المعلوم ان استعمال العقل فى مسائل الدين وفهم آيات القرآن الكريم كان ركنا اساسيا من أركان هذه المدرسة ، فلم يكن غريبا ان يلجأ الى الرازى الذى يعتبر من أبرز المفسرين العقليين فى الزمن الماضى .

لقد وقف صاحب المنار من تفسير الرازى موقفين : موقفا ايجابيا وموقفا سلبيا .

اما موقفه الايجابى فانه يتجلى فى نقولاته الكثيرة منه ، والاعتماد عليه فى توضيح بعض القضايا ، فهو ينقل عنه كلامه عن النظم الذى اهتم به الرازى اهتماما شديدا .

فمنذ قوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا . . . " <sup>(١)</sup> الآية نقل وجهين ذكرهما الرازى فى اتصال هذه الآية بما قبلها ولم يكتف بالنقل بل صححها أيضا <sup>(٢)</sup> . . .

-١-

٢- انظر المنار ج ٤ ص ٤٩ ، وراجع كذلك على سبيل المثال المنار ج ٤ ص ١٣٨ ، ٢٧٣ ، ٣١٢ وكذلك ج ٥ ص ١٣٥ - ٣٠٧ - ٣٠٨

هذا وليس هو لا فقط الذين تأثروا بالرازي بل كثير من  
المفسرين البازيين تأثروا به كذلك مثل البيضاوي وأبي السمعود  
وغيرهما من المفسرين .

وكل هذا ان دل على شيء وانما يدل على ما وجدوه من هذا  
المالم الجليل من العلم الفزير والفهم العميق .  
ونسأل الله جل وعلا أن يتفمد الجميع برحمته ويسكنهم فسيح  
جناته .



## المبحث الخامس

## مفسرون جمعوا بين المأثور والرأى

لقد جمع بعض المفسرين بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى ومن أبرز هؤلاء المفسرين الامام الكبير والمفسر الجليل ابن جرير الطبرى ترجمته :

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى أبو جعفر ، ولد بأمل سنة ٢٢٤ هـ . استوطن بغداد وأقام بها الى حين وفاته وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من المعلوم ما لم يشاركه أحد من أهل عصره ، وكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقراءات ، بصيرا بالمعاني ، فقيها فى أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين فى الأحكام ومسائل الحلال والحرام عارفا بأيام الناس وأخبارهم ، وله الكتاب المشهور فى تاريخ الامم والملوك وكتاب فى التفسير الذى نحن بصدد الكلام عنه ، لقد قال العلماء بأنه لم يصنف أحد مثله .<sup>(٢)</sup>

- 
- ١- معجم الادباء للياقوت ج ١ ص ١٠٤ . مطبعة المأمور بمصر الطبعة الاخيرة انظر باقيات القراءة لابن الجزرى ج ٢ ص ١٠٦ .  
٢- تاريخ بغداد الخطيب البغدادي ج ٢ ص ١٦٣ دار الكتب المرسى بيروت لبنان .

وله كتاب كذلك سماه تهذيب الاثار الا أنه لم يتمه وله في أصول الفقهه  
وفروعه كتب كثيرة<sup>(١)</sup> . .

### طلبه للمعلم

حكى ابن جرير عن نفسه بقوله " حفظت القرآن ولى سبع سنين  
وصليت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين ، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع  
سنين ورأى لى أبى فى النوم أنى بين يدى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، وكان معى مخلاة مطوءة حجارة وأنا أرمى بين يديه فقال لى  
المعبر : انه ان كبرونصح فى دينه وذب عن شريعته فحرص أبى على ممنونتى  
على طلب المعلم ، وأنا حينئذ صبى صغير<sup>(٢)</sup> . .

وروى أنه رحل من بلده فى طلب العلم وهو ابن اثنتى عشرة سنة فلم  
يزل طالبا للمعلم مولما به الى أن مات<sup>(٣)</sup> .

لقد أخذ الحديث عن الشيوخ الفضلاء مثل محمد بن حميد السرازى  
وغيره وقرأ الفقه على داود ، وأخذ فقه الشافعى عن الربيع بن سليمان  
بمصر وعن الحسن بن محمد الزعفرانى ببغداد ، وأخذ فقه مالك عن  
يونس بن عبد الأعلى وبنى عبد الحكم محمد وعبد الرحمن وسعد وغيرهم  
وأخذ فقه أهل العراق عن أبى مقاتل بالرى ، وأدرك الاسانيد العالية

١- تاريخ بغداد لخطيب البغدادي ج ٢ ص ١٦٣ دار الكتب المصرية  
بيروت لبنان .

٢- معجم الأدباء للياقوت ج ١٨ ص ٤٩ .

٣- لسان الميزان لابن حجر ج ٥ ص ١٠٢ ط ٢ سنة ١٩٧١ - ١٣٩٠ هـ .

مؤسسة الاعلى للمطبوعات بيروت لبنان .

بمصر والشام والعراق والكوفة والبصرة والرى . وكان متفننا في جميع العلوم ، علم القرآن ، والنحو والشعر واللغة والفقه وكان كبير الحفظ<sup>(١)</sup>.  
 لذا لما أراد الخليفة المقتدر غي بعض الأيام ان يكتب كتاب وقوف تكون شروطه متفقا عليها بين العلماء ، فقبل له : لا يقدر على استحضار ذلك الا محمد بن جرير الطبري ، فطلب منه ذلك فكتب له ، فاستدعاه الخليفة اليه وقرب منزلته عنده وقال له : سل حاجتك ، فقال : لا حاجة لي ، فقال لا بد ان تسألني حاجة أو شيئا فقال : اسأل من أمير المؤمنين ان يتقدم أمره الى الشرطة حتى يمنحوا السؤال يوم الجمعة ان يدخلوا الى مقصورة الجامع ، فأمر الخليفة بذلك ، وكان ينفق على نفسه من مغل قرية تركها له أبوه بطبرستان<sup>(٢)</sup>.

وكان له مذهب في الفقه اختاره لنفسه وله في ذلك عدة كتب منها كتاب اللطيف في الفقه ، وكان تلاميذه تفقهوا على مذهبه ، ومن هؤلاء التلاميذ علي بن عقد المزيز بن محمد الدلابي ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الثلج الكاتب ، وأبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم المتكلم ، ولأبي الحسن هذا كتاب المسمى " بالمدخل الى مذهب الطبري ونصرة مذهبه ، وكتاب الاجماع في الفقه على مذهب أبي جعفر ومنهم كذلك أبو الحسن الدقيقي الحلواني الطبري ، وأبو بكر بن كامل وله من الكتب على مذهب الطبري

١- الفهرس: لابن النديم ص ٢٣٤ - مكتبة خياط. شارع بلس بيروت لبنان .

٢- البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ١٤٦ مطبعة السعادة بمصر.

ومن أبرز هولاء التلاميذ أبو الفرج المصنف بن زكريا من أهل النهروان يقول عنه ابن النديم : أوجد عصره في مذهب أبي جعفر وحفظ كتبه ومع ذلك متفنن في علوم كثيرة مضطلع بها مشار إليه فيها في نهاية الذكاء وحسن الحفظ وسرعة الخاطر والجوابات ، وكل هولاء التلاميذ كما رأيت لهم تصانيف كثيرة تدل على أنهم تأثروا بهذا الامام الكبير محمد ابن جرير الطبري .

ولقد كان ابن جرير كما وصفه ابن النديم : علامة وقته وامام عصره وفقه زمانه ، وقال عنه الحافظ ابن كثير : كان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم ، وكان حسن الصوت بالقراءة مع المعرفة التامة بالقراءات على أحسن الصفات ، وكان من كبار الصالحين .<sup>(٢)</sup>

وقال عنه الذهبي محمد ابن جرير بن يزيد الطبري ، الامام الجليل المفسر ابو جعفر صاحب التصانيف الباهرة ثقة صادق .<sup>(٣)</sup>

لقد روى أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة ،<sup>(٤)</sup> قال أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني صاحب ابن جرير : ان قوما من تلاميذ ابن جرير حصلوا أيام حياته منذ بلغ

١- الفهرس لابن النديم ص ٢٣٦

٢- الفهرس لابن النديم ص ٢٣٤

٣- البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ١٤٦

٤- ميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٤٩٨ تحقيق على محمد النجاوي دار احياء الكتب العربية بمصر .

٥- تاريخ بغداد للخطيب ج ٢ ص ١٦٣ انظر البداية والنهاية لابن كثير

الحلم الى أن توفي وهو ابن ست وثمانين ، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته  
فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقة<sup>(١)</sup> . وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق  
الا بحسن عناية الخالق .

ومن قوة ذكاء ابن جرير وحفظه ما حكاه عن نفسه بقوله : لما دخلت  
مصر لم يبق أحد من أهل العلم الا لقيني وامتحنتني في العلم الذي  
يتحقق به فجاءني يوماً رجل فسألني عن شيء من العروض ولم أكن  
نشطت له قبل ذلك فقلت له : على قول ألا أتكلم اليوم في شيء من  
العروض فاذا كان في غد فصر الي ، وطابت من صديق لي العروض  
للخليل بن أحمد فجاء به فنظرت فيه ليلتي فأسيت غير عروضي وأصبحت  
عروضياً<sup>(٢)</sup> .

وكان ابن جرير مجوداً في القراءة موصوفاً بذلك يقصده القراء البعداء  
من الناس للصلاة خلفه يسمعون قراءته وتجويده ، عن أبي القاسم  
الزهري قال : حكى لنا أبو الحسن بن رزقويه عن أبي علي الطوماري  
قال : كنت أحمل القنديل في شهر رمضان بين يدي أبي بكر بن مجاهد  
الى المسجد لصلاة التراويح ، فخرج ليلة من ليالي العشر الأواخر  
من داره واجتاز على مسجده فلم يدخله وأنا معه ، وسارحتي انتهت  
الى آخر سوق المطش فوق بيباب مسجد محمد بن جرير ومحمد يقرأ  
سورة الرحمن فاستمع قراءته طويلاً ثم انصرف فقلت له : يا استاذ تركت

١- معجم الادباء ج ١٨ ص ٤٤ انظر غاية النهاية في طبقات القراء

لابن الجزري ج ٢ ص ١٠٨ - طبعة سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م

٢- معجم الادباء ج ١٨ ص ٥٦ .

الناس ينتظرونك وجئت تسمع قراءة هذا ؟ فقال : يا أبا علي دع هذا  
عني ما ظننت أن الله تعالى خلق بشرا يحسن يقرأ هذه القراءة  
او كما قال (١) .

وكان ابن جرير عازفا عن الدنيا تاركا لها ولا هلمها يرفع نفسه عن  
التماسها ولذا تجده يرد الهدايا التي تأتيه من قبل الأمراء والوزراء لقد  
وجه اليه ابو الهيثم بن حمدان ثلاثة آلاف دينار ، فلما نظر اليها  
عجب منها ثم قال : لا أقبل مالا أقدر على المكافأة عنه ، ومن أين لي  
ما أكفي عن هذا ؟ فقيل : مال هذا مكافأة ، أما أراد التقرب إلى  
الله عز وجل ، فأبى ان يقبله ورده اليه . (٢)

قال أبو الطيب القاسم بن أحمد بن الشاعر وسليمان بن الخاقاني  
أهدى أبو علي محمد بن عبيد الله الوزير إلى أبي جعفر محمد بن جرير  
برمان فقبله وفرقه في جيرانه ، فلما كان بعد أيام وجه اليه بزنبيل فيه  
بدر (٣) عشرة آلاف درهم وكتب معها رقعة وسأله ان يقبلها قال  
سليمان : قال لي الوزير : ان قبلها والا فسلوه أن يفرقها في أصحابه  
من يستحق ، فصرت بالبدر اليه فدقت الباب وكان يأنس الي ، وكان  
أبو جعفر اذا دخل منزله بمد المجلس لا يكاد يدخل اليه أحد  
لتشاغله بالتصنيف الا في أمر مهم ، قال : فعرفته أني جئت برسالة  
الوزير فأذن لي ، فدخلت وأوصلت اليه الرقعة فقال : يغفر الله لنا وله

١- تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٤

٢- معجم الأدباء للياقوت ج ١٨ ص ٨٧

٣- البدر كسر فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار - تاج  
العروس ج ٣ ص ٣٤ .

اقرأ عليه السلام وقل له : أردنا الى الرمان ، وامتنع من قبول الدرهم  
فقلت له فرقتها في أصحابك على من يحتاج اليها ولا ترد بها فقال  
هو أعرف بالناس اذا أراد ذلك وأجاب عن الرقعة وانصرفت ، وقد أنشد  
الشعر بهذا المعنى بقوله :

اذا أعسرت لم يعلم رفيقسي      واستغنى فيستغنى صديقسي  
حياتي حافظ لي ماء وجهسي      ورفقي في مطالبي رفيقسي  
ولو أني سمحت ببذل وجهسي      لكنت الى الفنى سهل الطريق<sup>(١)</sup>  
أتهامه بالرفنى .

ومع ذلك كله وجد من الناس من نسب الامام ابن جرير الى الرضى ومن  
الجهلة من رماه بالاحاد ، وحاشاه من ذلك كله ، بل كان أحد أئمة  
الاسلام علما وعملا بكتاب الله وسنة رسوله ، وانما تلقوا ذلك عن أبى بكر  
محمد بن داود الفقيه الظاهري ، حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالمظالم  
وبالرفنى .<sup>(٢)</sup>

ولقد رد العلماء المعتمرون هذه التهم عن الامام الكبير ، وهذا اصام  
المحققين الحافظ الذهبي يقول عند ترجمته للامام الطبري : أقذع  
أحمد بن علي السليمانى الحافظ فقال كان يضع للروافض ، كذا قال  
السليمانى وهذا رجم بالظن الكاذب ، بل ابن جرير من كبار أئمة  
الاسلام المعتمدين ، وما ندعى عصمته من الخطأ ولا يحل لنا أن نؤذيه  
بالباطل والهوى ، فان كلام العلماء بمنسبهم في بعض ينبغى أن يتأنى

١- الهداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ١٤٦ مطبعة السعادة بمصر  
انظر معجم الأدياء للياقوت ج ١٨ ص ٤٣ .  
٢- الهداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ١٤٦ - ١٤٧

فيه ولا سيما في مثل امام كبير ، ثم قال فلعل السليمانى أراد محمد بن جرير رستم أبو جعفر الطبرى رافض له تواليف منها كتاب الرواة عن اهل البيت . . الخ <sup>(١)</sup> .

وقال الحافظ محقق القرن التاسع ابن حجر المسقلانى بعد ايراد ه كلام الذهبى في الرد على ما أتهم به ابن جرير : فلعل السليمانى أراد محمد بن جرير بن رستم ثم قال : ولو حلفت أن السليمانى ما أراد الا ابن رستم لبررت والسليمانى حافظ متقن كان يدرى ما يخرج من رأسه فلا أعتقد أنه يظعن في مثل هذا الا امام بهذا الباطل .

فقد ترجمه له أئمة النقل في عصره وبعده فلم يصفوه بذلك وانما ضره الاشتراك في اسمه واسم أبيه ونسبه وكنيته ومعاصرتة وكثرة تصانيفه <sup>(٢)</sup> وما لاشك فيه هو ان التهام هذا الامام الكبير بالرفضى من أكبر الكبائر وكيف يتهم العالم دافع عن الاسلام بكل قواه بل دافع عن الشيخين أبى بكر وعمر .

وقد روى ان أبا جعفر لما رجع الى طبرستان بعد غياب طويل وجد الرفضى قد ظهر وسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهلها قد انتشر ، فأملى فضائل أبى بكر وعمر حتى خاف ان يجرى عليه ما يكرهه فخرج منها من أجل ذلك <sup>(٣)</sup> .

- 
- ١- ميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٤٩٩ تحقيق على محمد الجاوى دار احياء الكتب العربية بمصر .
  - ٢- لسان الميزان لابن حجر ج ٥ ص ١٠٠ - ١٠١ ط ٢ سنة ١٩٧١ - ١٣٩٠ هـ مؤسسة الاعلى للمطبوعات بيروت - لبنان .
  - ٣- معجم الادباء للياقوت ج ١٨ ص ٨٥ .



وقال عبد العزيز محمد الطبري : أخبرني غير واحد من أصحابنا أنه رأى عند أبي جعفر شيخا سنا فقام له أبو جعفر وأكرمه ثم قال أبو جعفر أن هذا الرجل ثاله في ما قد صار له على به الحق الكبير ، وذلك أني دخلت إلى طبرستان وقد شاع سب أبي بكر وعمر فيهما ، فسألوني أن أطلب فضائلهما ففعلت ، وكان سلطان البلدة يكره ذلك فاجتمع إليه من عرفه ما أطمته ، فوجه إلى فيادر هذا وأرسل إلى من أخبرني أنني طلبت فخرجت من وقتي عن البلد ولم يشمر بي وحصل هذا في أيديهم فضرب بسببي ألفا قال : وكان شديد التوقى والحذر والنزاهة والورع . . الخ<sup>(١)</sup>

أبعد هذا ياترى هل يكون هناك مجال لاتهام هذا الامام الكبير بالرفض وانتمائه إلى الامامة كما اتهمه بذلك أبو حيان ؟<sup>(٢)</sup>

وقد كانت وفاة الامام ابن جرير الطبري وقت المغرب عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال من سنة عشر وثلثمائة ، وقد جاوز الثمانين بخمسة سنين أو ست سنين ، فاجتمع الناس من سائر أقطار بغداد وصلوا عليه بداره ودفن بها ، ومكث الناس يترددون إلى قبره شهورا يصلون عليه<sup>(٣)</sup> رحمه الله رحمة واسعة .

- 
- ١- معجم الادباء للياقوت ج ١٨ ص ٨٥
  - ٢- انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج ١ ص ٢٥ ولسان الميزان لابن حجر ج ٥ ص ١٠٠
  - ٣- البداية والنهاية ج ١١ ص ١٤٦-١٤٧ انظر تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٦

## تفسير ابن جرير الطبري :

اما تفسيره فقد أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله ، قال الامام النووي في التهذيب : كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله ، وقال الشيخ أبو حامد الاسفراييني شيخ الشافعية لو رحل أحد الى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا عليه <sup>(١)</sup> ، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري فانه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة ، وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين ، كمقاتل بن سليمان والكلبى <sup>(٢)</sup> . وقال الحافظ ابن كثير عند ترجمته لابن جرير وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير <sup>(٣)</sup> .

عن محمد بن عبد الله النيسابوري الحافظ قال سمعت أبا بكر بن بويه يقول : قال لي أبو بكر محمد بن اسحاق - يعني ابن حزم - بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير؟ قلت : بلى . . كتبت التفسير عنه املاء قال : كله ؟ قلت نعم قال في أي سنة قلت من سنة ثلاث وثمانين الى سنة تسعين ، قال فاستماره مني أبو بكر فـردّه بمد سنين ثم قال : قد نظرت فيه من أوله الى آخره وما أعلم على أديم الارض أعلم من محمد ابن جرير ولقد ظلّمته الحنابلة <sup>(٤)</sup> .

١- انظر شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٦٠ المكتبة التجارية للطباعة بيروت لبنان .

٢- التفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٢٠٨

٣- الهداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ١٤٥

٤- تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٤

وقد روى أنه حدث نفسه بهذا التفسير وهو صبي ، واستخار الله في عمله وسأله العون على ما نواه ثلاث سنين قبل ان يخطه ، فأعانه الله سبحانه<sup>(١)</sup> ، ثم انه أراد ان يملئ تفسيره قال لأصحابه اتشبهون لتفسير القرآن ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ فقال ثلاثون ألف ورقة فقالوا : هذا ما تفنى الأعمار قبل تمامه فاحتصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة<sup>(٢)</sup> .

### منهج الامام الطبري في تفسيره

لقد بدأ ابن جرير تفسيره بخطبة ، ورسالة التفسير تدل على ما خص الله به القرآن العزيز من البلاغة والاعجاز والفصاحة التي ناف بها سائر الكلام ، ثم ذكر من مقدمات الكلام في التفسير وفي وجوه تأويل القرآن وما يعلم تأويله وما ورد في جواز تفسير وما خطر من ذلك والكلام في قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف " وبأى الالسنه نزل ؟ والرد على من قال : ان فيه اشياء من غير الكلام العربي وتفسير اسما القرآن والسور وغير ذلك مما قدمه وعند ما ينتصب للقول في تفسير الآية يسرد ها ثم يقول " القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا " ويفصح ببيانه عن المعنى المراد ، متمسدا ربط السياق والعود بمراجع الكلام الى معانها الواردة في مواضع أخرى من القرآن العظيم وتمسكا بما يدور عليه المعنى من دلالة

١- مقدمة تفسير الطبري تحقيق محمود محمد شاكر ج ١ ص ١٧ دار المعارف بمصر .

٢- تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٣ .

المفردات اللفوية على المعانى التى هى مستعملة فيها ببيان المعنى  
الأصلى للمفرد والمعنى المنقول اليه مع بيان مناسبة النقل ، والاستشهاد  
بالشعر العربى على ما يثبت استعمال اللفظ فى المعنى الذى حملته  
عليه ، ويكون فى ذلك جازما غير متردد ، مستقلا غير مقلد ثم ينتقل  
الى دعم ما ذهب اليه بما ينقل عن المتكلمين فى التفسيرين قبله  
فيمنون بقوله : " ذكر من قال ذلك " ويورد الأسانيد سلسلة عن  
شيوخه : ابن الحنفى أو أبى كريب أو محمد بن بشار أو يونس ابن عبد  
الأعلى أو غيرهم الى زوى القول فى التفسير بالمأثور من الصحابة أو من  
موثقى التابعين : مثل مجاهد والحسن البصرى او ممن دونهم مثل  
السدى او وهب بن منبه ، فاذا كان المتفق عليه من بين تلك الأخبار  
شيئا واحد يويد المعنى الذى ابتدأ بتقريره اكتفى بذلك وربما جعل  
ابتداء سوق الأسانيد قوله " ومثل الذى قلنا من ذلك قال أهل  
التأويل واذا كان المعنى غير متفق عليه يقول " وما قلنا فى ذلك قال  
جماعة من اهل التأويل " فأورد الأسانيد عنهم ، واذا كان الأمر راجعا  
الى الاختلاف فى تعيين فهم لا يتوقف على تعيينه المعنى أشار الى  
الخلافا فى ذلك بمد تقريره المعنى الذى لا يختلف باختلاف تقدير  
المعنيين ، ففصل الأقوال وأورد على كل قول منها ما يثبت عزوه من  
الأسانيد ، ثم يعقب ذلك كله ببيان ليس له غناء فى فهم معنى الكلام  
ولا تأثير فى اختلاف تقديره . .

ففى قوله تعالى : " واذا طالمتم النساء فبلغن أجلهن فلا تمضوهن

الاية " .

ابتدأ بتصوير الحكم الذي نزلت به الآية ، ثم قال : اختلف أهل التأويل في الرجل الذي كان فعل ذلك فنزلت فيه الآية فقال بعضهم : كان ذلك الرجل معقل بن يسار المزني ، ثم قال " ذكر من قال ذلك وأورد على التابع أحد عشر حديثا ، ثم قال " وقال آخرون كان ذلك الرجل جابر بن عبد الله الانصاري وذكر من قال ذلك " .

وأورد حديثا واحدا ، ثم قال " وقال آخرون نزلت دلالة على نهى الرجل عن مضارة وليته من النساء يعضلها عن النكاح " ذكر من قال ذلك " وأورد ستة أحاديث ، ثم عقب جميع ذلك بقوله : " قال أبو جعفر والصواب من القول في هذه الآية أن يقال : ان الله تعالى ذكره أنزلها دلالة على تحريمه على أولياء النساء مضارة من كانوا له أولياء من النساء وقد يجوز أن تكون نزلت في أمر معقل بن يسار أو في أمر جابر بن عبد الله وأي ذلك كان فالآية دلالة على ما ذكرت (١) .

وهو في كثير من صور انتقاده للأحاديث المسندة قوى الاعتماد على الفقه وملاحظة الا نظار من الاقوال فكثيرا ما يرد حديثا في تأويل آية بأنه خلاف ما تقرره عند الفقهاء من الحكم ، كما أنه في صور أخرى قوى الاستناد الى ما بين النحويين من كلام في تخريج التراكيب ، وما تجاذبوه من نظر في تأويل شواهدها ، وكثيرا ما يجعل التخريج النحوي الراجح توجيهها للقراءة ويأنا لأوليوتها ويستخرج من رجحان القراءة وتوجيهها اختيار المعنى او الحكم الذي يأخذ به تبعاً لاختيار القراءة واختيار

١- التفسير ورجاله لابن عاشور ص ٥١ - ٥٣ ط ٢ ١٩٧٢ م - دار الكتب الشرقية تونس - انظر تفسير الطبري تحقيق محمود محمد شاكر ج ٥ ص ١٧ - ٢٣ - دار المعارف بصر .

الوجه النحوى الذى خرجت عليه ، فيقول " وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك " وربما يؤكد جزمه باختيار فيقول ؛ " والقراءة التى لا أختار غيرها " .

وبهذه الطريقة أصبح تفسير ابن جرير الطبرى تفسيراً علمياً يفتقد فيه جانب الانظار والاجتهاد غلبة واضحة على جانب الآثار .

حتى أنه لو اقتصر فنه على مجرد عز والأقوال المتخالفة لأربابها وجرى عن طويل الأسانيد ومكررها لبقى وافياً تمام الوفاء بما يقصد له من كشف عن دقائق الممانى القرآنية وما يستخرج منها من الحكم والأحكام على اختلاف المذاهب والآراء وما يتصل بها من استعمالات اللغوية ومسائل العربية ولا زاد شبهه بالتفسير العلمية التى جاءت من بعده قوة ووضوحاً .

وان الذين يعتبرون تفسير الطبرى تفسيراً أثرياً ، او من صنّف التفسير بالمأثور ، انما يقتصرون على النظر الى ظاهرة بما فيه من كثرة الحديث والأسانيد ولا يتدبرون فى طريقته وغايته التى يصرح بها من ايراد تلك الأسانيد المصنفة المرتبة المحصنة .<sup>(١)</sup>

قيمة هذا التفسير :

وليس هناك حاجة لبيان قيمة تفسير الطبرى العلمية ، وما فيه من مزايا يندر أن توجد فى تفسير غيره وهو أعظم تفسير رأيناه ، واعلاه ، وأثبتته استحقق به مؤلفه الحجة ان يسمى : امام المفسرين .

لقد أجمع الباحثون في الشرق والغرب على عظيم قيمته واتفقوا  
على أنه مرجع لا غنى عنه لطالبي التفسير .<sup>(١)</sup>

اتهامه بكثرة الروايات الضعيفة والا سرائيليات

كجزء من العلماء كان يعيب على الطبري أنه حشد في تفسيره كثيرا من  
الروايات الضعيفة والا سرائيليات .

والجواب عن ذلك ان الاستدلال الطبري بهذه الآثار التي يرويها  
بأسانيدها لا يريد بأغلبها الا تحقيق معنى لفظ او بيان سياق عبارة  
مثلا عند قوله تعالى " وان قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة"<sup>(٢)</sup>  
ساق الآثار التي رواها بأسانيدها ليدل على معنى " الخليفة " والخلافة  
وكيف اختلف المفسرون من الأولين في معنى " الخليفة " وجعل استدلال  
له بهذه الآثار كاستدلال المستدل بالشعر على معنى لفظ في كتاب  
الله ، وهذا بين فيما رواه بسنده عن ابن مسعود وابن عباس وما رواه  
كذلك عن الحسن في بيان معنى " الخليفة " واستظهر ما يدل عليه  
كلام كل منهم ، ومن أجل هذا الاستدلال لم يبال بما في الاسناد  
من وهن لا يرتضيه ودليل ذلك أن الطبري نفسه قال في اسناد الأثر  
الذي رواه بسنده عن ابن مسعود وابن عباس " فان كان ذلك صحيحا  
ولست أعلمه صحيحا ان كنت بأسناد مرتابا . .<sup>(٣)</sup> فهو مع ارتيابه في  
هذا الاسناد قد ساق الأثر للدلالة على معنى اللفظ وهذه فيما فهمه

١- التفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٢٠٧

٢- البقرة ٣٠ انظر تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر ج ١ ص ٤٤٩-٤٥٤

٣- انظر تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر ج ١ ص ٣٥٤

أبن مسعود وابن عباس - ان صح عنهما - أو ما فهمه الرواة الأقدمون من معناه ، وهذا مذهب لأبشبهه في الاستدلال ، وشله أيضا ما يسوقه من الأخبار والآثار التي لا يشك في ضعفها أو في كونها من السرائيليات فهو لم يسبقها لتكون مهيمنة على تفسير آي التنزيل الكريم بل يسوقها لبيان معنى لفظ أو سياق حادثة ، وان كان الأثر نفسه ما لا تقوم به الحجة في الدين ولا في التفسير التام لآي كتاب الله .

فاستدلال الطبري بما ينكره المنكرون لم يكن الا استظهار للمعاني التي تدل عليها الفاظ هذا الكتاب الكريم ، كما يستظهر بالشعر على معانيها فهو ان استدلال يكاد يكون لغويا ، ولما لم يكن مستنكرا أن يستدل بالشعر الذي كذب قائله ، ما صحت لفته ، فليس بمستنكر أن تساق الآثار التي لا يرتضيها أهل الحديث ، ولا لا تقوم بها الحجة في الدين للدلالة على المعنى المفهوم من صريح لفظ القرآن ، وكيف فهمه الأوائل - سواء كانوا الصحابة أو من دونهم .

المقصود : ان الطبري لم يجعل هذه الروايات قط مهيمنة على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان الاستدلال بها كان يقوم مقام الاستدلال بالشعر القديم على فهم معنى كلمة أو للدلالة على سياق جملة (١) .

---

١- انظر تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر ج ١ ص ٤٥٣ - ٤٥٤ - دار المعارف بمصر .



### الباب الثالث

ما للتفسير بالرأى وما عليه  
.....

#### المبحث الأول

ماذا يشترط في التفسير بالرأى ليقبل ؟

لقد سبق أن قررنا - عند استعراضنا لآراء العلماء في جواز التفسير بالرأى وعدمه أن التفسير بالرأى جائز لان المأثور من التفسير بالسنة قليل لا يشمل القرآن كله ، خاصة اذا استثنينا ما يتعلق بتفسير القرآن فسوى الحلال والحرام ، وان ما أثار عن الصحابة في التفسير انما هو رأيتهم وعلينا أن نتبعهم باحسان فنجتهد في تفسير القرآن مثل اجتهادهم من غير معارضة ولا مناقضة . ثم ان الصحابة فيما بينهم قد اختلفوا ، وكذلك التابعون من بعدهم ، واختلافهم دليل على ان بعض هذه الاقوال بالرأى لا محالة ، ويجوز ان يكون بعضها بالسمع ولكنه غير معروف ، ولو كان واجبا أن نختار من أقوالهم عند اختلافهم ، فالاختيار أساسه الترجيح بالرأى بقبول بعضها ورد بعضها وذلك في ذاته أشد من الاخذ بالرأى ابتداء ما دام غير معارض للمأثور .

والمعروف ان القرآن الكريم فيه كل علوم الدين ، بعضها بطريق الإشارة وبعضها بالاجمال ، وبعضها بالتفصيل الذي يفتح الباب للفكر المستقيم والاستبصار في حقائقه ، وذلك لا يكفي فيه الوقوف عند ظواهر

الآيات ، ولا ظواهر أقوال السلف ، بل لابد من التعمق من غير تكلف والاستخراج المعاني ما دامت لا تخالف المأثور .<sup>(١)</sup> وهناك أمور وراء المأثور يسير المفسر على ضوء المأثور ، ولقد قال عبد الله بن سمنون : " من أراد علم الأولين والآخرين ، فليتدبر القرآن " وان ذلك لا يكون بغير التعمق في الفهم من غير تكلف ، وتعرف الغايات بالإشارة والمرامى .  
انه قد وردت الآثار تدعو الى الفهم والتدبر في معاني القرآن ، فقد قال على رضى الله عنه " من فهم القرآن فسربه جمل العلم " وذلك لا يكون الا بالتمق في الفهم .

ان عبارات القرآن الكريم تدعو الى التعمق في الفهم ، فقد قال تعالى " ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا " ويقول مفسروا السلف ان الحكمة هي فهم القرآن .<sup>(٢)</sup> وانما كان الله تعالى قد وصف فهم القرآن بأنه خير كبير ، فانه سبحانه وتعالى يدعو القادر على ادراك هذه الحكمة لينال من عملها خيرا كثيرا .

---

(١) المعجزة الكبرى لأبى زهرة ص ٥١٠ أوص ٦٠٠ - دار الفكر العربي  
(٢) انظر تفسير الطبرى تحقيق محمود شاكر ج ٥ ص ٥٧٦ ، وتفسير ابن كير تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد ابراهيم البنا ج ١ ص ٤٧٥ —  
٤٧٦ ، وغرائب القرآن وغرائب الفرقان للنيسابورى تحقيق ابراهيم عظة عوض ج ٣ ص ٥٦ ط ١ ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م ، والتفسير الكبير للرازى ج ٧ ص ٧٢ ط ١ - مطبعة الهيئة المصرية ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م

ولا أكون مالفا اذا قلت بأن التفسير بالرأى والاجتهاد واجب ففسى  
غير موضع الأثر المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بسند صحيح لأننا  
لو اقتصرنا على المأثور لما فهم الأكترون من كتاب ربهم شيئا .  
وما هو مؤكد هو أن سلف هذه الأمة قد استعانوا كثيرا بهذا النوع  
من التفسير بمد اعتمادهم على المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم  
وهذا أبو بكر الصديق الخليفة الاول يسأل عن تفسير الكلاله فى كتاب  
الله فيقول ، : انى سأقول فيها برأى فان يك صوابا فمن الله وان يك  
خطأ فمنى ومن الشيطان . أراه ما خلا الولد والوالد فلما استخلف  
عمر قال : انى لا استحقى من الله أن أرد شيئا قاله أبو بكر .<sup>(١)</sup>

ويقول على رضى الله عنه عندما سئل ما اذا كان قد خصهم رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بشئ : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما  
أعلمه الا فهما يعطيه الله رجلا فى القرآن .<sup>(٢)</sup> فان لم يكن سوى الترجمة  
المنقولة فما ذلك الفهم ؟ وكان ابن عباس ترجمان القرآن اذا سئل عن  
شئ هو فى كتاب الله اخبر به ، فان لم يكن وكان عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم اخبر به فان لم يكن وكان عن أبى بكر وهم اخبر به ، فان  
لم يكن قال برأيه ، وفى رواية عن ابن سعد اجتهد برأيه .<sup>(٣)</sup>

(١) انظر كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادى ج ١ ص ١٩٩ طبع

سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

(٢) انظر صحيح البخارى ج ٤ ص ٣٠

(٣) انظر الاصابة لابن حجر ج ٢ ص ٣٢٥ ، وجامع بيان العلم وفضله

لابن عبد البر ج ٢ ص ٧٢ ، وكتاب الفقيه والمتفقه ج ١ ص ٢٠٣

ويقول ان عبد البر : وما أعلم احدا من أهل العلم الا وله تأويل فى آية  
أو مذهب فى سنة . . . الخ (١) طبعا يقصد فى الآيات التى لم يفسرها  
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومع هذا كله لا نسوغ لكل انسان ان يتناول كتاب الله تعالى بالتفسير  
برأيه . ومن هنا نرى أن نقرر الشروط التى يجب توفرها فى كل من أراد  
أن يفسر كتاب الله برأيه واجتهاده ، حتى يكون تفسيره مقبولا ، وهذه  
الشروط هى :

أولا : ان يكون له المام كافى فى علوم الحديث ورجاله ، والحديث يحتاج  
الفسر الى روايته وحفظه ومعرفة رجاله لوجهين :

أ - ان كثيرا من الآيات فى القرآن نزلت فى قوم مخصوصين ونزلت  
بأسباب وقضايا وقعت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم  
من الفزوات والنوازل والتساؤلات ولا بد من معرفة ذلك ليعلم  
فيمن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى نزلت .

ب- انه ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم كثير من تفسير القرآن  
فيجب معرفته لأن قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس (٢)  
وهذه المعرفة مما يجلى معانى الآيات ويلقى الضوء عليها .  
ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد هو أن يتحرى المفسر  
الاحاديث الصحيحة وعدم الاعتماد على الاحاديث الموضوعة  
والضعيفة لان الاعتماد على مثل هذه الاحاديث نمى بها

(١) جاكم بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٨١

(٢) التسهيل لمعلوم التزويل لابن جزى تحقيق عبد المنعم اليونس وابراهيم  
عطوه عوض ج ١ ص ١٢ - مطبعة حسان بمصر .

الضعيفة - قد يترتب على ذلك تناقض في تفسير الآيات القرآنية  
ومثل ذلك ما جاء في تفسير أبي السعود عند قوله تعالى  
: ( يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله . . . الخ ) يقول  
أبو السعود في سبب نزول هذه الآية الكريمة : " روى أن -  
المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول  
الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها للمهاجرين  
أم للأَنْصار أم لهم جميعاً ، وقيل ان الشباب قد أبلوا يومئذ  
بلاءً حسناً فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون  
ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجه الذين كانوا عند الرايات  
كما رد لكم فذة تنحازون اليها حتى قال سعد بن معاذ  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " والله ما منعنا أن نطلب  
ما طلب هؤلاء زهادة في الأجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا  
ان نمرى مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت  
وقيل : كان النبي صلى الله عليه وسلم قد شرط لمن كان له  
بلاء أن ينقله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والأسر  
فسألوه عليه الصلاة والسلام ما شرطه لهم فقال الشيوخ المغنم  
قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك  
فنزلت والأول هو الظاهر لما ان السؤال استعمال لحكم الأنفال  
بقضية كلمة عن لا استعطاء لنفسها كما نطق به الوجه الأخير . .

(١) الخ . . . .

(١) تفسير أبي السعود جـ ٢ ص ٣٣٩ - دار المعصور للطبع والنشر بصر

سنة ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م

هذا وقد ذكر أبو السمود هذه الأحاديث كلها بمعناها  
 لا ينصها ، ثم رجع الحديث الضعيف على الصحيح ، وكذلك  
 ذكر فخر الدين الرازي الحديث الضعيف - طبعا بمعنا -  
 وترك الحديث الصحيح <sup>(١)</sup> ، ونحن نرى ان نذكر نص الحديثين  
 ثم نتابع الكلام عنهما .

عن الامام أحمد حدثنا أبو معاوية بن عمر أخبرنا أبو  
 اسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن  
 أبي ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلامة عن أبي أمامة  
 عن عباد بن الصامت قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم فشهدت معه بدرًا فالتقى الناس فهزم الله تعالى  
 المد و فأنطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأقبلت  
 طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه ، وأحدت طائفة  
 برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة حتى  
 اذا كان الليل وفاء الناس بعضهم الى بعض قال الذين  
 جمعوا الخنائم نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب وقال  
 الذين خرجوا في طلب العدو ولستم بأحق به منا نحن منعنا  
 عنه العدو وهزناهم وقال الذين أحدقوا برسول الله  
 صلى الله عليه وسلم خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا

(١) انظر تفسير الكبير للرازي ج ١٥ ص ١١٥ ط ١ - المطبعة البهية

به فنزلت ( يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول  
 . . . الخ ) وروى أبو داود والنسائي وابن جرير وابن مردويه  
 واللفظ له وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبي  
 هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم " من صنع كذا وكذا فله  
 كذا وكذا " فتسارع في ذلك شبان القوم وبقي الشيوخ تحت  
 الرايات ، فلما كانت المغائم جاءوا يطلبون الذي جعل  
 لهم فقال الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا ردوا لكم لو  
 انكشفتم لفتتم الهنا ، فتنازعوا فأنزل الله تعالى ( يسألونك  
 عن الانفال - الى قوله - واطيعوا الله ورسوله ان كنتم  
 مؤمنين . . . )<sup>(١)</sup>

وهذا هو نص الحديثين اللذين أورد هما الحافظ ابن  
 كثير في سبب نزول هذه الآية الكريمة . والآن فلنرجع الى  
 رأى أبي السعود بقوله " والأول هو الظاهر " فنقول : وان  
 كان الشيخ يقصد بالأول ما أورده بأن المسلمين اختلفوا في  
 غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ - مطبعة دار احياء الكتب  
 العربية بمصر - وانظر مسند أحمد ج ٥ ص ٣٢٣ - المكتب الاسلامي  
 للطباعة والنشر بيروت وسهامهم منتخب كنز العمال في سنن الاقوال  
 والافعال . وسنن أبي داود - كتاب الجهاد باب النقل ج ٢ ص ٧٠  
 سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده .

كيف تقسم ولمن الحكم فيها للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعا ، نقول ان حديثا بهذا المعنى لم يرد اطلاقا في كتب السنة الصحيحة ولا في كتب السيرة المعتمدة كابن اسحاق وابن هشام ، ولا ادري من اين سرت له هذه الرواية ، وهل يمكن للمسلمين ان يختلفوا في الحكم على الفئام ويتنازعون ولا يتها والرسول بين أظهرهم ؟ ومتى عهد ذلك من سيرتهم وسبب هذا الخطأ هو الرأي المجرد ونفذ كتب السنة والتقليد البحت الذي لا يهتم صاحبه بحقائق الأشياء<sup>(١)</sup> .

واما ان كان الشيخ أبو السعود يقصد به (الأول) الحديث الثاني الذي رواه بمعناه - ولا أظن يقصده - ورواه ابن كثير عن الامام أحمد بنصه فنقول : ان هذا الحديث لم يصح نقلا ولا عقلا ، اما من ناحية النقل فهو ضعيف لوجود بعض الضعفاء في سنده مثل عبد الرحمن بن عياش ، وسليمان بن موسى .

وعبد الرحمن بن عياش قال عنه النسائي ليس بالقوى ، وقال أحمد متروك كما ضعفه علي بن المديني .

وأما سليمان بن موسى فقد قال عنه أبو حاتم في حديثه بعض الاضطراب . وقال الامام البخاري : عنده مناكير ، وقال عنه النسائي ليس بالقوى وقال في موضع آخر في حديثه شيء ، وكان يرسل الاحاديث ويخولط قبل موته .

(١) انظر محاسن التأويل المعروف بتفسير القاسمي ج ٨ ص ٢٩٤٨ ط ١ سنة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م دار احياء الكتب العربية بصر .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٤ ص ٢٢٦ - ٢٢٧



هذا من ناحية ، واما من ناحية العقل فهو أننا لو فرضنا أن عصابة  
 دولية خرجت لقصد السطو على احدى المصارف ، وقسموا أنفسهم قبل  
 الوصول الى المصرف ثلاث فرق . فرقة تكون خارج المصرف لمراقبة الشرطة  
 والقادمين وفرقة ثانية فى داخل المصرف تراقب الزبائن وتمنعهم من  
 القيدخل ، وفرقة الثالثة تتولى اخراج المال من المخزن ، ثم نجحوا  
 فى جريمتهم هذه ، هل يظن أن احدى هذه الفرق الثلاثة تسمح  
 لنفسها ان تدعى الانفراد بهذا المال دون غيرها ؟ ولا شك ان هذا  
 بعيد ، وانه لو فعلت ذلك لاتهمتها الفرقة الاخرى بالخيانة . وازا  
 استبعدنا هذا العمل بالنسبة للعصابة أفلا نستبعد عن أصحاب  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اصطفاهم الله تعالى لصحبة  
 نبيه واثنا عليهم فى كتابه العزيز كما اثنا عليهم رسولهم فى مواصف  
 عديدة ؟ .

ولقد ترتب على ترجيح هذا الحديث الضعيف زلة شيخنا الكبير  
 محمد الفزالى حين قال بهذا الصدد بعد ذكر حديث عبادة بن الصامت  
 ( ان الجوع والعري عند ما يطول أمد هما يتركان فى النفوس ندوا سيئة  
 ويدفعان الافكار فى مجرى ضيق كالح على أن هذه الأزمات ان اخرجت  
 العامة وهاجتهم الى طلب الغذاء والكساء لانفسهم وذرايهم بحرص  
 ومجاهرة فان المؤمنين الكبار ينبغي ان يتماسكوا وان يكتبوا احساس  
 الفاقة الطحة فلا يتنازعوا على شئ<sup>(١)</sup> .

(١) فقه السيرة للفزالى ص ٢٥٢

وهذا الكلام الذى قاله الغزالي نعتبره زلة عالم ، والا كيف سمح  
لنفسه أن يصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عرفوا بالصبر  
والجلد خاصة فى الممارك بهذه الصفة ولقد اثنا عليهم ربهم بقولــــه  
" ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " <sup>(١)</sup> ثم أن معركة بدر الكبرى  
لم تقع لأجل الطعام والكساء كما وصفها الشيخ الغزالي وغيره من الناس  
بل وقعت لأظهار الحق وابطال الباطل والدليل على ذلك هو عند ما  
نجا أبو سفيان وعير قريش ، وصمم المشركون - وعلى رأسهم أبو جهل -  
على قتال المسلمين والقضاء عليهم فى زعمهم ، جمع الرسول عليه السلام  
أصحابه واستشارهم فى امر الجهاد - مع قلتهم - وقال كل من الأنصار  
والمهاجرين أقوالهم المشهورة ، ومن هذه الاقوال قول المقداد بن عمرو  
يارسول الله ، امضى لما اراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما  
قالت بنو اسرائيل لموسى " اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا هنا قاعدون  
ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق  
لو سرت بنا الى برك الغمام لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلغه  
وقول سعد بن معاذ " . . . . فقد آمننا بك وصدقناك ، وشهدنا ان ما  
جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة  
فامضى يارسول الله لما اردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت  
بنا هذا البحر فخنننا لخننناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره

(١) الحشر ٩

أن تلقى بنا عدوفا غدا ، انا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء لمسل  
الله ينريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله (١) ،

أبعد هذا يوسف المؤمنون المجاهدون بأنهم خرجوا لطلب الظممام  
والكساء ، والسبب في هذه الأخطاء كلها هو الاعتماد على الأحاديث  
الضعيفة في تفسير الآيات القرآنية وسبب نزولها ، وترك الحديث الصحيح  
المعقول .

بينما الحديث الثاني الذي رواه الحافظ ابن كثير عن أبي داود من أصح  
الأحاديث في هذا الموضوع نقلا وعقلا ، واما من ناحية العقل ان القائد  
في الاسلام يجوز له ان يجعل بعض الجوائز قبل المعركة لم يبلى بسلاء  
عسنا تشجيعا لجيوش المسلمين كما روى أنس بن مالك بقوله : " قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ - يمينى يوم حنين - من قتل كافرا  
فله سلبه وقتل أبو طاحه يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم (٢) .

اذا فطالب الشبان ما جعل لهم لا يعتبر عيبا ولا ينقص من أجرهم  
وقيمتهم شيئا في هذه المعركة التي أثبت بها دعائم هذا الدين  
الحنيف ، كما لا يلام الشيوخ الذين أبدوا رأيهم بأن الغنمة قليلة  
لا تكفى للجميع بعد اخراج ما اشترط للشبان .

ونحن في هذا الموقف لا ننكر وجود بعض الخلاف في هذه المعركة  
وعند تقسيم الغنمة بالذات ، ولكن الذى ننكره هو أن يكون هذا الخلاف

١- انظر السيرة النبوى لابن هشام ج ٢ ص ١٨٨ - مطبعة الحاج عبد السلام  
بم محمد بن شقران .

٢- عون المعبود شرح سنن أبي داود تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان  
ج ٧ ص ٣٨٨ ط ٢ سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

نشأ نتيجة لعزم احدى الفرق - نعى الشبان والشيخ وغيرهم -  
 بالانفراد بهذه الفئمة كما جاء في حديث عبادة بن الصامت ، كما ننكر  
 أن يكون الفقر والمافة الطحة هي التي دفعتهم الى هذا الخلاف كما  
 يفهم من عبارة الشيخ الغزالي ، والذي يظهر - وهو معقول - ان الخلاف  
 نشأ نتيجة لقلّة الغنيمة وطالب الشبان ما اشترط لهم كما جاء في  
 الحديث الثاني .

المقصود هو أن المفسر لكتاب الله تعالى لا بد له أن يتحرى

الاحاديث الصحيحة في تفسيره .

اما الشرط الثاني الذي لا بد من توفره للمفسر فهو ان يكون ملماً باللفظ  
 وما يتعلق بها من نحو وصرف واشتقاق فانه ضروري للمفسر ان كيف يمكن  
 فهم الآية بدون معرفة المفردات والتراكيب ، وهل باستطاعة أحد أن ،  
 يفسر قوله تعالى " للذين يؤءلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ،  
 فان فاءوا فان الله يغفور رحيم " <sup>(١)</sup> بدون ان يعرف المعنى اللغوي للايلاء  
 والتربص ، والفاء ؟

قال مجاهد : " لا يحل لأحد يؤءن بالله واليوم الآخر ان يتكلم

في كتاب الله اذا لم يكن عالماً بلفات العرب . <sup>(٢)</sup> وقال الامام مالك

" لا أوثى برجل غير عالم بلفظة العرب ، يفسر كتاب الله الا جعلت

نكالا <sup>(٣)</sup> . فان لم يتفق اللفظ مع المعنى اللغوي كان باطلا ، كتفسير

١- سورة البقرة ٢٢٦

٢- الاتقان للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ج٤ ص ٢١٣ طبع  
 سنة ١٩٧٥م - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣- الاتقان للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ج٤ ص ٢٠٩ طبع  
 سنة ١٩٧٥م - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

بعض الروافض قوله تعالى : " مرج البحرين يلتقيان " (١) أنهما على وفاطمة  
 وقوله تعالى ( يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ) (٢) يعنى الحسن والحسين  
 وكتفسير ( فرعون ) بالقلب فى قوله تعالى : ( اذهب الى فرعون انه  
 طغى ) (٤) ويريد به قلب الانسان القاسى .

قال القرطبى : وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد  
 الصحيحة تحسينا للكلام ، وترغيبا للمستمع وهو ممنوع لأنه قياس فى  
 اللفظة ، وذلك غير جائز وهو أحد وجهى المنع من التفسير بالرأى (٥) .

وعلم النحو ضرورى للمفسر لأن المعنى يتغير بتغير الحركات تغييرا  
 كبيرا ، فقولته تعالى : ( انما يخشى الله من عباده العلماء ) بنصب  
 هاء الجلالة ورفع همزة العلماء ، والمعنى صحيح لأن معنى الآية  
 الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم فمن ازيد علما بالله  
 ازيد منه خوفا ، ولو عكس فضم هاء الجلالة ونصب همزة العلماء لفسد  
 المعنى .

فقد ذكر القرطبى فى هذا الصدد قصة لطيفة بقوله " قدم أعرابى  
 فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى المدينة المنورة فقال : من  
 يقرئنى مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فأقرأه رجلا  
 سورة " براءة " فقرأ عليه الآية الكريمة ( ان الله برىء من المشركين  
 ورسوله ) بالجراى بجر اللام فى ( رسوله ) بدل الضم فقال الأعرابى

١- سورة الرحمن ١٩

٢- الرحمن ٢٢

٣- الاتقان للسيوطى تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ج ٤ ص ٢١٣

٤- سورة طه ٢٤

٥- تفسير القرطبى ج ١ ص ٣٣ ط ٣ - دار الكتب المصرية .

أوقد برىء الله من رسوله ؟ فان يكن الله برىء من رسوله ، فأنا أيضاً  
أبرأ من رسوله ، فاستعظم الناس الأمر ، وبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه  
فقال يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ؟ فقال يأمر المؤمنين انى قدمت  
المدينة ، ولا علم لى بالقرآن فسألت من يقرئنى فأقرأنى هذا الرجل  
سورة ( براءة ) فقال : ان الله برىء من المشركين ورسوله ، فقلت  
أوقد برىء الله من رسوله ، ان يكن الله برىء من رسوله فأنا أبرأ منه  
فقال عمر : ما هكذا الآية يا أعرابي قال : وكيف هى يا أمير المؤمنين  
قال : ( ان الله برىء من المشركين ورسوله ) فقال الأعرابي : وأنا والله  
أبرأ مما برأ الله ورسوله منه فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الا يقرئ  
الناس الا عالم باللغة . . . (١)

ومعرفة علم الصرف والاشتقاق ضرورية أيضاً للفسر حتى لا يخبسط  
الانسان خبسط عشواء قال الزمخشري : من بدع التفاسير قول من قال  
ان " الامام " فى قوله تعالى ( يوم ندعو كل أناس بما هم ) جمع أم  
وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم دون آبائهم ، قال وهذا غلط  
فاحش أوجب جهل القائل بالتصريف فان ( أما ) لاتجمع على امام . (٢)

والشرط الثالث أن يكون لما بعلوم البلاغة ، اى المعانى والبيان  
والبديع ، وهى ضرورية لمن أراد تفسير الكتاب العزيز ، فعلم المعانى  
يعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى ، وعلم البيان  
يعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها

١- انظر مقدمة تفسير القرطبي ج ١ ص ٢٤ ط ٣ - طبعة دار الكتب المصرية

٢- الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ١٨١ :

وعلم البديع ، يعرف به وجوه تحسين الكلام ، وهذه العلوم الثلاثة من أعظم ما يعتمد عليه المفسر ، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الاعجاز وذلك لا يدرك إلا بهذه العلوم ، فمثلا قوله تعالى " وأشربو في قلوبهم العجل " (١) أى اشربوا حب العجل فهو على حذف مضاف (٢) . ومثله قوله تعالى " وأسأل القرية " المراد أهل القرية ، وقوله تعالى " هن لباس لكم وأنتم لباس لهن " (٤) ليس على الحقيقة وإنما هو استعارة ، فكما يستتر اللباس العورة يزين الانسان ويجمله ، كذلك الرجل والمرأة كل منهما كاللباس لصاحبه يزينه ويكمطه ويجمله ، وهو من روائع النظم ومدائح الكلام وإذا حمل الانسان المعنى على ظاهرة ، فسد المعنى ، كما يذكر ان أحد الفرنسيين أراد ترجمة القرآن الى لغتهم فلما وصل الى هذه الآية الكريم ( هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ) ترجمها بالظاهر ولم يدرك السر الدقيق فيها فكانت الترجمة كالتالى : ( هن بنطلونات لكم وأنتم بنطلونات لهن ) لأن اللباس عند هم يسمى ( البنطالون ) وهكذا ساء فهمه ولم يدرك روعة التعبير القرآنى (٥) .

وفى القرآن الكريم أمثلة كثيرة على الاستعارة والكناية والمجاز ولا بد فسى فهمها من معرفة علم البلاغة مثل قوله تعالى عن سفينة نوح ( تجرى بأعيننا ) أى بحفظنا ورعايتنا وقوله تعالى ( جناح الذل ) كل ذلك واشباهه يحتاج

١- البقرة ٩٣

٢- انظر تفسير ابن كثير تحقيق عبد العزيز غنم وزملائه ج ١ ص ٨١ السخ وانظر كذلك تفسير القرطبي ج ٢ ص ٣١ ط ٣ - طبعة دار الكتب المصرية ١٣٨٧ هـ دار الشعب المصرية بصره .

٣- يوسف ٨٢

٤- البقرة ١٨٧

٥- التبيان فى علوم القرآن للصابون ص ١٨٠

الى فهم علوم البلاغة وأسرار البيان .

الشرط الرابع : أن يكون ملماً بعلم القراءات ، لأن به يعرف كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم والقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض ، ولقد ذكر الامام السيوطي بعض فوائد علم القراءات بقوله : " من المهم معرفة التفاسير الواردة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة وذلك أنه قد يرد عنهم تفسيران في الآية الواحدة مختلفان ، فيظن اختلافاً وليس باختلاف ، وانما كل تفسير على قراءة وقد تعرض السلف لذلك فأخرج ابن جرير في قوله تعالى : " لقالوا انما سكرت أبصارنا " (١) من طرق عن ابن عباس وغيره ، أن " سكرت " بمعنى " سدت " ومن طرق أنها بمعنى " أخذت " ثم أخرج عن قتادة قال : من قرأ " سكرت " شدة فانه يعني " سدت " ومن قرأ " سكرت " مخففة فانه يعني " سحرت " وهذا الجمع من قتادة نفيس بديع . (٢)

ومثله قوله تعالى " سراويلهم من قطران " (٣) أخرج ابن جرير عن الحسن أنه الذي تهنأ به الابل ، وأخرج من طرق عنه وعن غيره أنه النحاس المذاب ، وليسا بقولين ، وانما الثاني تفسير القراءة من " قطران " بتنوين " قطر " وهو النحاس و " آن " شديد الحركة كما أخرجه ابن أبي حاتم هكذا عن سميد بن جبير .

وأمثلة هذا النوع كثيرة ، والاختلاف الوارد بين ابن عباس وغيره في تفسير آية ( أولاً مستم ) هل هو الجماع أو الجس باليد ؟ فالأول تفسير لقراءة

١- سورة الحجره ١

٢- الاتقان للسيوطي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ج ٤ ص ٢٢٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م انظر تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٠ ط ٢ سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

٣- سورة ابراهيم ٥٠



( لا مستم ) والثاني لقراءة ( لمستم ) ولا أختلاف<sup>(١)</sup>.

قلت : ومن فوائد هذا العلم - اعنى علم القراءات - أنه يبين فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقى واقبالهم عليه هذا الاقبال والبحث عن لفظة لفظة ، والكشف عن صيغة صيغة ، وبيان صوابه ، وبيان تصحيحه واتقان تجويده حتى حموه ممن غلغل التحريف وحفظوه من الطغيان والتطيف فلم يهملوا تحريكا ولا تسكينا ولا تفخيما ولا ترقيقا ، حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الامالات ، ويميزوا بين الحروف بالصفات ، مما لم يهتد اليه فكرأمة من الأمم ولا يوصل اليه الا الهام باري النسيم .

ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة ان هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق اليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف بل كله يصدق بعضه بعضا ، ويهين بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد ، وما ذاك الا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق من جاء به عليه الصلاة والسلام ، فلو لم يكن من الفوائد الا هذه الفائدة الجليلة لكفت ، ولو لم يكن من الخصائص الا هذه الخصيصة النبيلة لوفت .  
الشرط الخامس : أن يكون لما بعلم أصول الدين : وهو علم الكلام - كما يسمونه - وبه يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب في حق الله تعالى ، وما يجوز وما يستحيل وأن ينظر في الآيات المتعلقة بالنبوات والمعاد ، وما الى ذلك نظرة صائبة ولولا ذلك لوقع المفسر في ورطات .<sup>(٢)</sup>

١- الاتقان ج ٤ ص ٢٢٢ - ٢٢٣

٢- التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٦٧

الشرط السادس : أن يكون ملماً بأصول الفقه ، إذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها ، ويعرف الاجمال والتبيين والعموم والخصوص ، والاطلاق والتقييد ، ودلالة الأمر والنهي وما سوى ذلك ، وإذا أنعمنا النظر في هذا العلم نجد الغاية من دراسته واضحة حيث ان المتمكن منه اذا بلغ درجة الاجتهاد يستدعي - بعد تطبيقه قواعد وقضايا الكلية على الادلة الجزئية - أن يستنبط الاحكام الشرعية العملية في تفسيره ، واذا لم يكن بالغاً تلك الدرجة فمعرفة لهذا العلم توصله الى فهم الأحكام التي استنبطها المجتهدون والوقوف على أسسها ومصادرها بصورة صحيحة فتطمئن به نفسه وتقر له عينه وتقوى عقيدته بأن المجتهدين لم يمدروا فتاواهم وأحكامهم بالتشهي ولا دليل يعتمد عليه .

كما أن دراسة هذا العلم تمهد السبيل أمام المفسر للمقايسة والمقارنة بين آراء العلماء ومذاهبيهم فيرجح الأقوى منها على غيره ، ولهذا نرى الجامعات الاسلامية تهتم بتدريس هذا العلم ودراسته اهتماماً كبيراً .

الشرط السابع أن يكون ملماً بأسباب النزول ، لأن معرفة ذلك تعين على فهم القرآن وتوضح ما خفى منه على بعض الأذهان يقال الواحدى : لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وميكان سبب نزولها ، وقال ابن دقيق العيد : " بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى القرآن " (١) .

١- لباب النقول فى اسباب النزول للسيوطى ص ٣ ط ١ مطبعة مصطفى فى البابى العلمى بمصر .

وقال ابن تيمية : " معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب .<sup>(١)</sup> فكثير من الآيات القرآنية مرتبطة بأسباب نزولها ، ولا تفسر الا في ضوء هذه الأسباب والا لأخرجنا هذه الآيات عن حقائقها ، وقلنا في كتاب الله بغير علم ، فمثلا قوله تعالى " فأينما تولوا فثم وجه الله "<sup>(٢)</sup> ظاهر هذه الآية عدم وجوب استقبال القبلة في الصلاة وهذا خلاف الاجماع وخلاف صريح الآية القرآنية الأخرى : " فلنولنك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام "<sup>(٣)</sup> لو عرفنا أن الآية الأولى نزلت في نافلة أو صلاة الخوف<sup>(٤)</sup> لزال الالهاس واتضح وجه الحقيقة من التفسير وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آيات حتى وقفوا على أسباب نزولها فزال عنهم الاشكال ، ومن ذلك ما رواه البخارى في صحيحه بأن مروان بن الحكم لما سمع قوله تعالى " لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من المذاب ولهم عذاب اليم "<sup>(٥)</sup> فقال : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنمذبن أجمعون ، فبين له ابن عباس ان الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شئ . فكنموه وأخبروه بغيره ، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم

١- مقدمة أصول التفسير لابن تيمية تحقيق الدكتور عدنان زرزور ص ٤٧ ط ١

١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م دار القرآن الكريم الكويت .

٢- سورة البقرة ١١

٣- البقرة ١٤٢

٤- انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٥٨ - طبعة بيروت سنة ١٣٨٨ هـ -

١٩٦٩ م

٥- آل عمران ١٦٩ .

عنه ، واستحمدوا بذلك فنزلت الآية<sup>(١)</sup> ، واتضح من معرفة السبب أنها  
 نزلت في أهل الكتاب لبيان موقفهم من الرسول في هذه القصة ، مع  
 بيان المقاب النازل بهم ، وذكر السبب أعان على فهم الآية ، وأوضح  
 أن المعتبر هو المقصود من الآية لا المفهوم من ظاهر اللفظ وذلك  
 المقصود أعان على فهمه معرفة السبب .

كذلك ادعى عثمان بن مظعون وعمر بن معد يكرب أن الخمر مباحة  
 واحتجوا بظاهر الآية " ليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات جناح فيما  
 طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات " وكان سبب نزول الآية  
 ان الخمر حين نزلت آية تحريمها " يا أيها الذين آمنوا انما الخمر  
 والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون "  
 قال بعض الناس كيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر  
 وهي رجس ، أي ماتوا ولم يجتنبوا الرجس فأنزل الله ( ليس على الذين  
 آمنوا وعلوا الصالحات جناح فيما طعموا ، وهذا تبين ان الخمر  
 ليست مباحة آخذا بظاهر هذه الآية ، وان الآية نزلت في شأن من كانوا  
 يشربونها ثم ماتوا قبل تحريمها فأوضح الله أنه ليس على أولئك جناح  
 فيما طعموا .<sup>(٢)</sup>

ولم يقف علماء الاسلام مكتوفي الأيدي أمام معرفة أسباب النزول  
 فألفوا فيه كتبا عديدة من أشهرها كتاب علي بن المديني شيخ البخاري

١- صحيح البخاري كتاب التفسير ج ٥ ص ١٧٤ طبعة دار الطباعسة  
 العامة باستانبول .

٢- انظر صحيح البخاري كتاب التفسير ج ٥ ص ١٩٠ وتفسير ابن كثير  
 ج ١ ص ٩٧ .

وكتاب الواحد ، وكتاب شيخ الاسلام ابن حجر ، وكتاب الامام  
السيوطي المسمى " بلهات النقول في اسباب النزول " .  
الشرط الثامن أن يكون ملما بالناسخ والمنسوخ ، لأنه من أهم  
الموضوعات للمفسر وأخطرها ، لأن صحته آيات القرآن الكريم التي  
شرعت الأحكام ، وهل يهتت محكمة أم نسخت والحق العمل بها ؟  
وانها لمسئولية خطيرة وثاققة لا يستطيع المفسر البت فيها ولا الحكم  
عليها الا بمد بحث وروية واقتناع بصحة روايتها ومن فقد هذه الناحية  
ربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال والاحتلال وقد روى أن عليا  
رضي الله عنه مر بقاص يقص فقال له : تعلم الناسخ والمنسوخ ؟ قال  
لا قال : هلكت واهلكت<sup>(١)</sup> . عن عبد الله بن محمود قال سمعت يحيى  
بن أكرم يقول : ليس من العلوم كلها علم هو واجب على العلماء  
وعلى المتعلمين وعلى كافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه  
لأن الأخذ بناسخه واجب فرضا ، والعمل به واجب لازم ديانة  
والمنسوخ لا يعمل به ولا ينتهى اليه فالواجب على كل عالم علم ذلك  
لثلا يوجب على نفسه وعلى عباد الله أمرا لم يوجبه الله ، او يضع عنهم  
فرضا أوجبه الله<sup>(٢)</sup> .

وروى عن حذيفة بن اليمان أنه قال : لا يقص على الناس الا ثلاثة

---

١- الفقيه والمتفقه للحافظ الخليل البغدادي ج ١ ص ٨٠ - طبع سنة

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٢- جامع بيان العلم وفضله لابن عبيد البر ج ٢ ص ٣٥ ط ٢ - مطبعة

العاصمة بالقاهرة سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

أمير أو مأمور، ورجل عرف النسخ والنسخ والرابع مكلف أحـمـق<sup>(١)</sup>  
وقال الامام السيوطي في "الاتقان" قال الأئمة : لا يجوز لأحد أن  
يفسر كتاب الله تعالى ، الا بعد أن يعرف منه النسخ والنسخ<sup>(٢)</sup>  
وغير هذه الروايات كثيرة ، من هذا كله يتضح لنا مكانة هذا العلم  
وحاجة المفسر اليه ، واشتراط السلف الصالح معرفته لكل من يتصدى  
لتفسير كتاب الله تعالى او التفقه في الدين او الفتوى ، كما شددوا  
النكير على من يفسر القرآن دون علم بالنسخ والنسخ .  
والجدير بالذكر هنا ، هو أنه لا يعتمد في النسخ على قول مقلدة المفسرين  
ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ، لأن النسخ يتضمن رفع  
حكم واثبات حكم تقرر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، والمعتمد  
فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد .  
ومن أجل هذا كانت أهمية هذا الفن وخطورته ، وشدة الحيطة والحذر  
في أخذ أحكامه لأن الزلل فيه ليس كالزلل في غيره من العلوم والمعارف  
والخطأ فيه يورد صاحبه المهالك . نسأل الله العصمة والسلامة  
والسداد والرشاد بمنه وكرمه .

الشرط التاسع : علم القصص والأخبار ، لأن معرفة القصة تفصيلاً  
يعين على توضيح ما أجمل منها في القرآن كما يعين على معرفة ما هو  
من الاسرائيليات التي دست في الرواية الاسلامية ، وما ليس منها

وما هو حق وما هو باطل ، على أن دراسة القصص القرآني تفتح فستش  
النفس مغالقة الألهام وتسكب في مرآستها الظامئة برد الأمان والأيمان  
وراحة اليقين والأطمئنان وما أروع البشرية اليوم الى أن تتمن قصص  
القرآن ، وتتدبره سور فتأخذ منها المبرة والدروس ، وتتمثلها واقعا  
وسلوكا ، وعملا وأخلاقا .

الشرط المباشر : أن يكون عالما بالسير ، ولا سيما سيرة النبي صلى  
الله عليه وسلم ، وسيرة اصحابه النبلاء - رضوان الله عليهم - وعالما  
بالتواريخ ، وأحوال الأمم الماضية ولا سيما تاريخ الانبياء السابقين  
والملوك الغابرين ، فذلك يعين المفسر على اصابة وجه الحق والصواب  
لأن الله جل شأنه أنزل هذا القرآن وجعله آخر الكتب وبين فيه ما لم  
يعينه في غيره ، وبين فيه كثيرا من أحوال الخلق وطبائعهم وسننهم  
الالهية فيهم وقص علينا أحسن القصص عن الأمم وسيرها المرافقة لسننه  
فيها ، فلا بد للناظر في هذا الكتاب من النظر في احوال البشر  
في اطوارهم وادوارهم ومناشئ - اختلاف احوالهم ، من قوة وضمف  
وعز وذل وعلم وجهل ، وإيمان وكفر ومن العلم بأحوال العالم الكبير  
علمة وسفلية ، ويحتاج في هذا الى فنون كثيرة من أهمها التاريخ  
بأنواعه (١) .

لقد أجمل القرآن الكريم الكلام عن الأمم وعن السنن الالهية

(١) مناهل المرفان للزرقاني ج ٢ ص ٥٣ ط ٣ - دار احياء  
الكتب العربية

وعن آياته من السموات والأرض وفي الآفاق والانفس وهو اجمال صادر عن  
من احاط بكل شيء علما وأمرنا بالنظر والتفكر والسير في الأرض لفهم  
اجماله بالتفصيل الذي يزيدنا ارتقاء وكما لا ، ولو اكتفينا من علم الكون  
بنظر في ظاهره ، لكنا كمن يعتبر الكتاب بلون جلده لا بما حواه من علم  
وحكمة<sup>(١)</sup> .

الشرط الحادى عشر : ان يكون له نصيب من علم الاجتماع البشرى  
وعلم النفس فان هذين العلمين يعينان على فهم المراد من بعض الآيات  
وتفسيرها تفسيراً علمياً صحيحاً ، والكشف عما فيها من أسرار اجتماعية  
ونفسية ، وقارئ التفسير اليوم تستهويه التفاسير المدعمة بالمباحث النفسية  
والاجتماعية<sup>(٢)</sup> .

وكيف يتأتى للمفسر الذى يجهل قواعد هذين العلمين الصحيحة  
ان يفسر هذه الآيات وامثالها ، كقوله تعالى : ( كان الناس امة واحدة  
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وانزل معهم الكتاب بالحق  
ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . . . الآية<sup>(٣)</sup> ) وقوله تعالى (ولو شاء  
ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك  
خلقهم وتمت كلمة ربك لأن جهنم من الجنة والناس اجمعين<sup>(٤)</sup> )

(١) مناهل العرفان للزرقانى ج ٢ ص ٣٥ ط ٣ - دار احياء الكتب العربية

(٢) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير لمحمد أبى شهبه ص ٥٦ -

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية القاهرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م

(٣) البقرة ٢١٣

(٤) هود ١١٨ - ١١٩



وقوله تعالى ( ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . . . الآية<sup>(١)</sup> )  
 وقوله تعالى ( ولو نشاء لأزيناكمم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فمضى  
 لحن القول والله يعلم اعمالكم<sup>(٢)</sup> ) الى غير ذلك من الايات .  
 وان يكون له كذلك نصيب من تاريخ الاديان السماوية السابقة  
 كاليهودية والنصرانية وما دخلهما من تحريف وتبديل ، حتى يستطيع  
 ان يفسر مثل قوله تعالى ( يحرفون الكلم من بعد مواضعه<sup>(٣)</sup> ) والديانات  
 غير السماوية كالبراهمية ، والبوذية والمانوية ونحوها ، وذلك يستطيع  
 المفسران ان يصل الى الحق والصواب حينما يعرض للآيات التي جادلت  
 أهل الكتاب ، ولا سيما النصارى في عقيدتى التثليث والصلب والغداة ،  
 وكيف تأشروا في هاتين العقيدتين بالديانات والنحل القديمة والى ذلك  
 أشار الله - تبارك وتعالى - في قوله : وقالت اليهود عزيز ابن الله  
 وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضايعون قول الذين  
 كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون<sup>(٤)</sup> )

(١) الرعد ١١

(٢) محمد ٣٠

(٣) المائدة ٤١

(٤) التوبة ٣٠ - انظر الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير

الشرط الثانى عشر والاخير : علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى —  
 لمن عمل بما علم ، واليه الاشارة بقول السلف ( من عمل بما علم أورثه  
 الله علم ما لم يعلم )<sup>(١)</sup>

قال الامام السيوطى : ولعلك تستشكل علم الموهبة ، وتقول : هذا  
 شئ ليس فى قدرة الانسان ، وليس كما ظننت من الاشكال ، والطريق  
 الى تحصيله ارتكاب الأسباب الموهبة من العمل ، والزهد .  
 قال الزركشى فى البرهان : اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معانى  
 الوحي ولا يظهر له اسراره وفى قلبه بدعة ، أو كبر ، أو هوى ، أو حجب  
 الدنيا ، أو هو مصر على ذنب ، أو غير متحقق بالايان ، أو ضعيف  
 التحقيق ، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم ، أو راجع الى معقوله  
 وهذه كلها حجب ، ومواقع بعضها أكد من بعض .

قال السيوطى : ويدل على هذا المعنى : قوله تعالى ( سأصرف  
 عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق )<sup>(٢)</sup>

قال سفيان بن عيينة ( أنزع عنهم فهم القرآن ) اخرجهم ابن ابى حاتم<sup>(٣)</sup>

وقد قال الامام الشافعى :

شكوت الى وكيع سؤ حفظسى \* \* \* فأرهدنى الى ترك المعاصى  
 واخبرنى بأن العلم نور \* \* \* ونور الله لا يهدى لمعاصى

(١) الاتقان ج ٢ ص ٢٣٢ ط ٤ ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م مطبعة مصطفى الحلبي

(٢) الاعراف ١٤٦

(٣) الاتقان ج ٢ ص ١٨٠ - ١٨٢

وعلم الموهبة ثمرة من ثمرات التقوى ، والتقوى لها معنيان : ممسنى  
نفسى وهى : خشية الله ومراقبته فى السر والعلن ، وهذا هو ما إرادته  
النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال ( التقوى ههنا ) ثلاثا ، وأشار  
الى صدره ، رواه مسلم ، ومعنى ظاهرى ، وهو الاستقامة على الدين  
وذلك بامثال المأمورات ، واجتناب المنهيات ، وقد تسمو بصاحبها  
فتصل به الى حد فعل النواقل والمستحبات ايضا ، واتباع مكارم الأخلاق  
وتوقى الشبهات خشية الوقوع فى المآثم والمحرمات ، والتقوى بمعنيها  
لا بد منها لمن يتصدى لشرح كتاب الله ، وفى هذا المعنى قوله تعالى  
( يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا <sup>(١)</sup> ) أى نورا فى القلب  
يفرق به بين الحق والباطل <sup>(٢)</sup> وليتمثل المفسر لكتاب الله أنه يفسر كلاما  
لا كلام الناس وانه قائم بين يدي الله الواحد ، الاحد الجبار ، الكبير  
المتعال ، المنتقم ، وان أى تقصير أو تساهل فيه ، يعتبر كذبا على  
الله وافتراء عليه .

وسلوا بطانات الملوك ، والرؤساء ، والأمراء ، والوزراء ينبؤكم  
بأن الواحد منهم محسوب عليه كل كلمة ، بل كل حرف ينطق به ، ومؤاخذ  
على كل ما يصدر منه مهما قل ، وأن كلمة يقولها ، ربما تطيح بمنقسه  
أو تقصيه عن منصبه ، فما بالكم بمن يفسر كلام رب الارباب ، ومالك الملوك

(١) الانفال ٢٩

(٢) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير لأبى شهبه ص ٥٤ - ٥٥

(١)  
ويقول : مراد الله كذا ، أو عنى الله كذا ؟

وهذا هو السرفى أن بعض كبار الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم  
كان يتخرج غاية التخرج من القول فى تفسير القرآن الكريم مع ما كانوا  
عليه من العلم الفزير ، والمقل المستنير ، والقلب المستضيء .  
ولعل بهذا القدر أكون قد القيت ضوءاً كاشفاً حول شروط قبول  
التفسير بالرأى والاجتهاد من وجهة نظرى .

---

(١) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير لأبى شهبه ص ٥٥

### النهيئة الثامنة

~~~~~

.. ((هل التزمت هذه الشروط في كتب التفسير بالرأى)) ..

.....

وما لاشك فيه هو أننا لو امعنا النظر في تفاسير القرآن على مر القرون لوجدنا أن بعض المفسرين قد التزموا أغلب هذه الشروط ان لم نقل كلها ، ومن أبرز هؤلاء المفسرين - من وجهة نظرنا - هم ابن جرير الطبري - وفخر الدين الرازي - والحافظ ابن كثير في المشرق - وابن عطية - والقرطبي في المغرب .

وما أننا تكلمنا فيما سبق عن العالمين الكبيرين ابن جرير الطبري وفخر الدين الرازي وتفسيريهما ، وهنا ميزتهما وقيمة تفسيريهما واهتمام علماء المسلمين بهما في هذا الفن ، وما أن تفسيريهما من أبرز التفاسير في المشرق نرى من المستحسن ان نتكلم عن المفسرين الآخرين في المغرب ، ونبين كذلك مدى التزامهما بالشروط التي ذكرناها فلنبداً بأبن عطية وتفسيره .

التعريف بأبن عطية

~~~~~

هو القاضي أبو محمد عبد الحقيق بن غالب بن عبد الرحمن

بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية

بن خالد بن عطية المحاربي (١) (الداخل)

(١) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب عبد الوهاب فايد ص ١٥ - الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م  
انظر مقدمة المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية تحقيق المجلس العلمي بفاس ج ١ ص ٢ سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

## نشأته ومكانته العلمية

.....

نشأ القاضي عبد الحق في احضان أسرة علمية وبيت علم ومجد وفضيلة ، فأبوه غالب امام حافظ ، له رحلات في طلب العلم ، والأخذ عن كبار علماء وقته ، وجدته عطية أنجب الكثير من لهم مكانة وقدر ، كان ابن عطية آية في الفهم والذكاء والفطنة والدهاء . له الباع الطويل في الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والأدب ، كما كانت له يد في الانشاء والنظم والنثر ، لقد وصفه صاحب قلائد العقيان بالبراعة في الأدب والنظم والنثر وذكر نتفا من شعره ونثره ووصفه أبو حيان في مقدمته - البحر - بأنه أجل من ألف في علم التفسير وأفضل من تعرض فيه للتنقيح والتحرير .<sup>(١)</sup> وعده الامام السيوطي في - بغية الوعاة من شيوخ النحو وأساطين النحاة<sup>(٢)</sup> . وقال ايضا في طبقات المفسرين عند ترجمته لابن عطية : كان فقيها عارفا بالأحكام والحديث والتفسير بارع الأدب ، بصيرا بلسان العرب ، واسع المعرفة وكان يتوقد ذكاء<sup>(٣)</sup> .

(١) مقدمة تفسير البحر المحيط ج ١ ص ٩ ط ١٠ سنة ١٣٢٨ هـ - مطبعة السعادة بمصر .

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص ٢٩٥ ط ١ ١٣٢٦ هـ مطبعة السعادة بمصر .

(٣) طبقات المفسرين للسيوطي تحقيق علي محمد عمر ص ٦٠ ط ١ سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م مطبعة الحضارة العربية بالفجالة بمصر .

لقد بلغ ابن عطية الغاية القصوى في هذا كله ، حتى انه اصبح في يوم من الايسام - وهو لا يزال بعمد صغيرا - اماما من كبار أئمة الأندلس ، ورجلا من رجالها المعدودين وعلماء من اعلامها المبرزين .<sup>(١)</sup> وقد أجمع اولئك الذين شرفوا له على أنه كان واسع المعرفة متفننا في العلوم وأن ثقافته كانت ذات جوانب متعددة ، وآفاق كثيرة ، فمثلا يقول عنه ابن بشكوال " كان واسع المعرفة ، قسوى الأدب ، متفننا في العلوم ، ويصفه ابن البار فيقول : عنه انه أحد رجالات الأندلس الجامعين الى الفقه والحديث والتفسير والادب ، كما يصفه ابو الحسن النباهي بأنه أحد القضاة بالبلاد الاندلسية وصدور رجالها وانه كان فقيها نبيا عارفا بالاحكام والحديث والتفسير . . . الخ .<sup>(٢)</sup>

وهكذا كان ابن عطية في عصره مستبحرا في علمه ، متفننا في معرفته متمقا في ثقافته ، وأكبر دليل على ذلك ما انتجته هذا الامام في المجالات المختلفة وما تركه لنا من آثار علمية وادبية تشهد له بالامامة المطلقة والأستاذية الفذة .

---

(١) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب

عبد الوهاب فايد ص ٧٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٠ .

هذا وقد توفى - رحمه الله - بلورقنة في منتصف رمضان سنة

٥٤١ هـ بعد ما منع من دخول مرسية لما كانت هناك من فتن داخلية<sup>(١)</sup>

تفسيره :

~~~~~

لهذا التفسير مكانته الممتازة بين التفاسير ، ذلك أن تضيع صاحبه في علوم اللغة والنحو والحديث والفقه ومداركه مع حرافسة رأيه واتساع أفقه وعمق بحثه ورسوخ ملكته ، كل ذلك طبع هذا التفسير بطابع العرضي الشمولي لكل ما يفيد لفظ الآية أو الآيات من معانى أو يحتمله ، مما يستدعي عرض القواعد العلمية المختلفة ، والنظر في القراءات وتوجيهها لغة وتصريفها وأعرابا ومدارك الفقهاء وآراءهم في آيات الأحكام ومناقشة آراء العلماء في فهمهم وأدلتهم النحوية واللغوية وغيرها ، حتى تستخرج النتائج المتوخاة وتوضح معالم الطريق للباحثين .

ويلمس كل قارئ لهذا التفسير شأوا ما بلغه هذا المفسر الجليل

من اطلاع غزير ، وتحقيق نادر ، بحيث لا يدع مسألة تمر دون ان -

يقتلها فحفا وتدقيقا من سائر جوانبها حتى تبدو جلية واضحة ، لا يشوبها

(١) مقدمة المحرر الوجيز لابن عطية ج ١ ص ب .

انظر طبقات المفسرين للسيوطي ص ٦٠ .

غموض ولا ابهام ، وانه لتفسير يستحق ان يدرس في مستوى لا ثق به
حتى تدرك عائدته وتعم فائدته .^(١)

لقد أجمع العلماء الذين ترجموا لابن عطية ، واخو لحياته على
ان تفسير ابن عطية كان له في عالم الاسلام شأن عظيم ، ومن ثم تناقله
العلماء - وانتشر في كل مكان ، وطار في الغرب والشرق كل مطار
فضلا يقول ابن عمير الضبي : (الف - يعني ابن عطية - في التفسير
كتاب ضخما أرى فيه على كل مقدم . . . الخ .

ويقول ابن البار : (وتأليفه في التفسير جليل الفائدة كتبته
الناس كثيرا وسمعوه منه واخذوه عنه .)^(٢)

وقال عنه ابن خلدون في مقدمته : ان مؤلفه لخصه من كتب
التفسير كلها - يعني تفاسير المنقول - وتحرى ما هو اقرب منها الى
الصحة وهو متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى .^(٣)

وقال عنه ابو حيان في مقدمة تفسيره (وكتاب ابن عطية انقل
واجمع واخلص ، وكتاب الزمخشري أخص وأغوص .)^(٤)

(١) مقدمة المحرر الوجيز ج ١ ص ١٠ ب

(٢) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم لعبد الوهاب فايد ص ٢٦٣

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٠ - دار البيان .

(٤) مقدمة تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج ١ ص ١٠ ط ١٣٢٨ هـ -

مطبعة السمادة بصر .

وقال عنه ابن تيمية بعد ذكر البدع التي حشا بها الزمخشري
 كتابه الكشاف يقول (تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري وأصح
 نقلا وحشا وأبعد عن البدع .^(١)

ويقول أيضا (وتفسير ابن عطية وأمثاله اتبع للسنة والجماعة وأسلم
 من البدعة من تفسير الزمخشري .^(٢)

ويصف الشيخ محمد حسين الذهبي تفسير ابن عطية ويبين قيمته
 العلمية فيقول : (وتفسير ابن عطية المسمى بالمحرر الوجيز في تفسير
 الكتاب العزيز له قيمته العالية بين كتب التفسير ، وعند جميع المفسرين
 وذلك راجع الى ان مؤلفه اضفى عليه من روحه العلمية الفياضة ما أكسبه
 هبة ورواجا وقبولا^(٣) .

ومن هذه الاقوال كلها نستطيع ان ندرك ما كان لهذا التفسير
 في نفوس الناس في الغرب والشرق من قيمة علمية ، ومكانة مرموقة وشأن
 عظيم ، وهذه الاقوال ان دلت على شيء فانما تدل على ما لاحظته
 هؤلاء العلماء في تفسير ابن عطية من أنه متقن التأليف ومحكم التصنيف
 وانه - في هذه العصور السالفة - قد انتشر في كل مكان وطار كل مطار
 وولج كل دار .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٣ ص ٣٨٨ ط ١ - سنة ١٣٨١ - مطابع الرياض

(٢) اصول التفسير لابن تيمية تحقيق الدكتور عدنان زرزور ع ٩٠ ط ١ سنة

١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م دار القرآن الكريم الكويت .

(٣) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ط ٢ سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

مطبعة السعادة بصر .

فبعد ذكره لأقوال العلماء في معنى (المن) بأنه صفة حلوة أو شراب حلوة أو الزنجبيل أو غير ذلك وهذا قول بقوله : وقال النبي صلى الله عليه وسلم - في كتاب مسلم - الكأمة مما من الله به على بني اسرائيل وماؤها شفاء للعين . (١)

وعند قوله تعالى (نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم . . (٢) . الاية) قال ابن عطية : قال جابر بن عبد الله والربيع سببها أن اليهود قالت ان الرجل اذا أتى المرأة من دبرها في قلبها جاء الولد أحول وعابت على العرب ذلك ، فنزلت الآية تتضمن الرد على قولهم ، وقصايات أم سلمة وغيرها : سببها ان قريشا كانوا يأتون النساء في الفرج على هيئات مختلفة ، فلما قدموا المدينة وتزوجوا أنصاريات أرادوا ذلك فلم تروه نساء المدينة ان لم تكن عادة رجالهم الا الاتيان على هيئة واحدة وهى الانبطاح ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وانتشر كلام الناس في ذلك فنزلت الاية مبيحة الهيئات كلها اذا كان الوطء في موضع الحرث ، (وحرث) تشبيه لأنهن مزدراع الذريعة

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية تحقيق المجلس العلمى بغاس ج ١ ص ٢٢٦ - ٢٢٨ . طبع سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
انظر هذا الحديث في صحيح البخارى ج ٣ ص ٩٣ ط سنة ١٤٧٢ هـ

فلفظه الحرث تعطى ان الأباحة لم تقع الا فى الفرج خاصة ، ان هو
المزدرع ، وتولده (أنى شئتم) معناه عند جمهور العلماء من صحابة
وتابعين وأئمة : من أى وجه شئتم مقبلة ومدبرة وعلى جنب ، و (أنى)
تجىء سؤالا أو اخبارا عن أمر له جهات ، فهى أعم فى اللغة من كيف
ومن أين ومن متى ، هذا هو الاستعمال العربى ، وقد فسر النسبى
(أنى) فى هذه الآية بهذه اللفاظ ، وفسرها سيويه بكيف ومن أين
باجتماعهما - وذهبت فرقة ممن فسروها بأين الى ان الوطء فى الدبر
جائز ، روى ذلك عن عبد الله بن عمر ، وروى عنه خلافه وتكفير من فعله
وهذا هو اللائق به ورويت الاباحة أيضا عن ابن ابى مليكة ومحمد بن
الضكدر ، ورواها عن يزيد بن رومان عن سالم عن ابن عمر ، وروى عن
مالك شئ فى نحوه وهو الذى وقع فى العتبية ، وقد كذب ذلك على
مالك ، وروى بعضهم أن رجلا فعل ذلك فى عهد النبى صلى الله
عليه وسلم ، فتكلم الناس فيه فنزلت هذه الآية ، وبعد هذه الأقوال
يتوج ابن عطية الموضوع بقوله : وقد ورد عن النبى صلى الله عليه
وسلم فى مصنف النساء وفى غيره أنه قال " اتيان النساء فى أدبارها
حرام " وورد عنه فيه أنه قال " ملعون من أتى امرأة فى دبرها " وورد
عنه أنه قال " من أتى امرأة فى دبرها فقد كفر بما أنزل على قلب
محمد صلى الله عليه وسلم " ، وهذا هو الحق الصريح ، ولا ينبغى
لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يصرح فى هذه النازلة على زلة عالم

بعد أن تصح عنه ، والله المرشد ولا هادي سواه .^(١)

وعند قوله تعالى " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من
نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء"^(٢) . . . الآية
يقول ابن عطية والخلق في الآية بمعنى الاختراع ، ويعنى بقوله
(زوجها) حواء ، والزوج في كلام العرب : امرأة الرجل
ويقال زوجة ، ومنه قول أبي فراس :

وان الذي يسمى ليفسد زوجتي كساع الى أسد الشريستيلها
وقوله (منها) قال ابن عباس ومجاهد والسدى وقتادة : ان الله
تعالى خلق آدم وحشا في الجنة وحده ، ثم نام فانتزع الله أحد
اضلاعه القصيرى من شماله ، وقيل من يمينه فخلق منه حواء ، ويغضد
هذا القول الحديث الصحيح في قوله عليه السلام : ان المرأة خلقت
من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها . .^(٣)

واما ما يتعلق بالشرط الثانى -

وهو الالمام باللغة العربية - فقد التزم به ابن عطية التزاما كاملا
في تفسيره : لأنه رأى أن التهجم على مقام القرآن الكريم ، واقتحام
ميدان تفسيره من غير أن يتسلح الانسان بسلاح اللغة يترتب عليه

١- المحرر الوجيز ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٤

٢- النساء ١

٣- المحرر الوجيز ج ٤ ص ٦ - ٧

آثار سيئة بعيدة المدى ، مثل الخطأ في التأويل والاحاد فـ
آيات التنزيل ، وتحريف الكلم عن مواضعه .

لقد كان ابن عطية يرى أن الفاظ القرآن عربية ، ضرورة أن .
القرآن عربي وان كان لا يمنع أن تكون قد وردت في القرآن الفاظ
أصلها أعجمي ، ولكنها انتقلت الى العرب نتيجة لاختلاطهم بممن
جاورهم من العجم ، فاستعملها العرب في اشعارهم ومحاواراتهم
حتى لانت بها سنتهم ، وجرت عندهم مجرى العري الصحيح فهذه
الالفاظ وان كانت أعجمية الأصل الا أنها صارت عربية بالاستعمال^(١)
وابن عطية - بذلك - يخالف الامام المفسرين الطبري في السراى
لأن الطبري يرى أن القرآن كله عربي لاشبهة للعجمة فيه ، وأنه لا يوجد
فيه شىء من غير لغة العرب وان ماجاء في القرآن من الالفاظ الـ
يظن أنها أعجمية هو ما تواردت فيه اللغة العربية مع غيرها من
اللغات الاعجمية ، فتكلم بها العرب كما تكلم بها العجم .^(٢)

والمدقق لهذا الموضوع يجد أن ما ذهب اليه ابن عطية جدير
بالقبول ، ولقد رجح رأيه هذا من المتأخرين الشيخ محمود
شلتوت - رحمه الله - حيث يقول : " ومجمل الرأى في هذا أن

١ - مهج ابن عطية في تفسير القرآن لعبد الوهاب فايد ص ١٤٨ -

١٤٩ انظر مقدمة المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ١ ص ٣٦ - ٣٧

٢ - المصدر السابق ص ١٤٩ .

العلماء اتفقوا على أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب وهو صدق الوصف بالعربية الذي ورد القرآن ، واتفقوا على أن فس القرآن اعلاما من غير اللسان العربي ، مثل (اسرائيل) و (جبريل) و (عمران) و (نوح) و (ابراهيم) .

واختلفوا بعد هذا هل وقع فيه الفاظ مفردة ليست أعلاما من

غير كلام العرب ؟ .

فذهبت جماعة الى أنه لا يوجد فيه شيء من غير لغة العرب وأنه كله بأساليبه ومفرداته عربي لاشية للمعجمة فيه ، وما يوجد فيه من المفردات التي يظن أنها من اللغات الأخرى فهي ما تسوادت عليه اللغات فتكلم به غير العرب كما تكلم به العرب ، ورأى آخرون وجود هذا النوع في القرآن وأن وجوده - وهو قليل جدا - لا يؤثر في كون القرآن عربيا مينا ، لأن عربية الاسلوب جميعه ، وعربية الكثرة الساحقة من المفردات التي تتلش فيها هذه القلة مما يكفي لتحقيق اتصافه بأنه عربي ميين ، وذهب جماعة ثالثة الى ان الأصل في هذه الالفاظ المعجمة ، وقد انتقلت الى العرب أثرا للتجارة والاختلاط فاستعملها العرب بما حفظها على سنتهم حتى لانست بها وجرت عندهم مجرى العربي الاصيل ، وعلى هذا نزل بها القرآن .

ونحن نرى ترجيح هذا القول الأخير لأن هذه الكلمات مخالفة

في وزنها للأوزان العربية المعروفة ، ولأنها قليلة الاستعمال عند

المرب ، وسهذين يترجح الحكم بأنها غير عربية الأصل - نعم نقلهما
 العرب عن غيرهم بطريق المجاورة - كما تقدم واستعملوها حتى لانت
 بها ألسنتهم ، فأصبحت ما يتكلم به العرب ، ويتخاطبون به
 وان لم يكن من أوضاعها وهذا القدر كاف في تحقيق عربيته ، وعدم
 المناقاة لوصف القرآن بأنه عربى صين (١) .

ولما كان القرآن أنزل بلسان عربى صين وكانت ألفاظه عربية
 وضعا أو استعمالا - فاننا نجد ابن عطية يعنى عناية تامة بتحديد
 معنى الكلمات وشرح مدلول المفردات فى آيات القرآن الكريم ، ولقد
 نص فى مقدمة تفسيره أنه سيسير مع الالفاظ ويتتبع معانيها ، ويتقيد
 بمدلولاتها حتى لا يقع فيما وقع فيه بعض المفسرين من الطفر أى
 الوثوب والقفز ، ويمضى به هنا تخطى وجه الصواب الى الخطأ فى
 معانى الالفاظ القرآنية - يقول ابن عطية " وقصدت تتبع الالفاظ
 حتى لا يقع طفر كما فى كثير من كتب المفسرين " (٢) .

ولقد وفى ابن عطية بهذا المنهج الذى وضعه لنفسه فى مقدمة
 تفسيره فنراه مثلا عند تفسير قوله تعالى " وان قال ربك للملائكة
 انى جاعل فى الأرض خليفة " يبين آراء اللغويين فى اشتقاق لفظة

١ - الاسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت ص ٤٩٤ - ٤٩٥ ط ٤ - دار

الشروق القاهرة سنة ١٩٦٨ .

٢ - الممرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ج ١ ص ٥

(الملائكة) ويستشهد بكلامهم في هذا المقام فيقول : والملائكة
واحدة ملك ، أصله : ملك على وزن (مفعل) من لاك اذا أرسل
وجمعه ملائكة على وزن (مفاعلة) .

وقال قوم : أصل ملك مألِك من ألك اذا أرسل ، ومنه قول عدي
بن زيد : أبلغ النعمان عني مألِكا أنه قد طال حبس وانتظاري .
واللغتان مسموعتان - لأك وألك - قلبت فيه الهمزة بعد اللام فجاء
وزن (مفعل) ، وجمعه ملائكة على وزن (مفاعلة) ، وقال ابن
كيسان : هو من ملك يملك ، والهمزة فيه زائدة كما زيدت في
(شمال) من شمل فوزنه (فعأل) ووزن جمعه (فعائلة) ، وقد
يأتى في الشعر على أصله كما قال : . . .

فلست لأنسى ولكن لمألك تنزل من جو السماء يصب
وأما في الكلام فسهلت الهمزة والقيت حركتها على اللام أو على
المين .

في قوله ابن كيسان : ملك
والهاء في (ملائكة) لتأنيث الجموع غير الحقيقي ، وقيل : هي
للمبالغة كعلامة ونسابة . والأول أبين ، وقال أبو عبيدة : الهمزة
في (ملائكة) مجتلبة لأن واحدا ملك ، قال القاضي أبو محمد عبد
الحق : فهذا الذي نحا إليه ابن كيسان .^(١)

كما نجد ابن عطية عند تفسير قوله تعالى " ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار " (١) الآية ، يذكر أقوال علماء اللغة
في تحديد أول النهار مرجحاً قول من يقول أن أوله هو طلوع الفجر
وهو ما يؤيده حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول ابن عطية
" والنهار يجمع على نهر وأنهره وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس
يقضى بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم :
(انما هو بياض النهار وسواد الليل) .

وهذا هو مقتضى الفقه في الأيمان ونحوها ، فأما على ظاهر
اللفظة وأخذه من السعة فهو من وقت الاسفار اذا اتسع وقت النهار
كما قال :

ملكته بها كفى فأنهت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها
وقال الزجاج في كتاب (الأنواء) : أول النهار زور الشمس
قال : وزعم النضر ابن شميل أن أول النهار - ابتداء طلوع الشمس
ولا يعد ما قبل ذلك من النهار قال الفقيه أبو محمد : وقول النبي صلى
الله عليه وسلم هو الحكم (٢) .

واما ما يتعلق بالشرط الثالث .

وهو الالمام بعلوم البلاغة - فأن القارىء لتفسير ابن عطية يجد أن ابن
عطية لم يتوسع في الأسرار البلاغية أثناء تفسيره .

١ - البقرة ١٦٤

٢ - المحرر الوجيز ج ٢ ص ٣٤ - ٣٥

ولعل السرفى ذلك يرجع الى أن الأندلسيين والمفارقة للناس
 يعنونوا بعلوم البلاغة والبيان ولم يهتموا بها كثيرا على عكس المشارقة
 الذين توفروا على دراستها وشرحها ، كما يرجع السرفى ذلك
 أيضا الى أن ابن عطية سلفى النزعة حيث يميل الى استعمال الحقيقية
 فيرى أن الحقيقة هي الأصل والمجاز فرع عنها فإذا أمكن حمل اللفظ
 على الحقيقة فلا داع الى استعمال المجاز .

فالمجاز بأسمائه - كما هو معروف - هو أهم الفصول فى
 الدراسات البلاغية ، ففي قوله تعالى (والوزن يومئذ الحق فمن
 ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون)^(١)

يرجح ابن عطية ان المراد من الوزن والموازن الحقيقية لا
 المجاز فيقول : ' اختلف الناس فى معنى الوزن والموازن فقالت
 فرقة : ان الله عز وجل أراد أن يعلم عباده أن الحساب والنظريوم
 القيامة هو فى غاية التجريد ونهاية العدل فمثل لهم فى ذلك بالوزن
 والميزان اذ لا يعرف البشر أمرا أكثر تجريدا منه فاستعير للعدل وتجريدا
 النظر لفظه الوزن والميزان ، كما استعار ذلك أبو طالب فى قوله :

بميزان قسط لا يخسر شعيرة له حاكم من نفسه غير غافل

وروى هذا القول عن مجاهد والضحاك وغيرهما ، وكذلك استعير
 على قولهم الشقل والخفة لكثرة حسنات وقتلتها .

وقال جمهور الأئمة : ان الله عز وجل أراد أن يعرض لعباده يسوم
القيامة تجريد النظر وغاية العدل بأمر قد عرفوه في الدنيا وعهدته
أفهامهم ، فميزان القيامة له عمود وكفتان على هيئة موازين الدنيا
قال خديفة بن اليمان :

صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام ، وقالوا هذا الذى
اقتضاه لفظ القرآن ولم يرد له نظير ، وهذا القول أصح من الأول من
جهات :

أولها :

أن ظواهر كتاب الله تقتضيه ، وحديث الرسول ينطق به ، من
ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة ، وقد قال لله
يا رسول الله أين أجرك يوم القيامة ؟

فقال : (أطلبنى عند الحوض ، فان لم تجدنى فعند الميزان)
ولو لم يكن الميزان مرثيا محسوسا لما أجابه صلى الله عليه وسلم
على الطلب عنده .

وجهة أخرى :

ان النظر فى الميزان والوزن والثقل والخفة المقترنان - بالحساب لا يفسد
شئ منه ، ولا تختل صحته ، وانما كان الأمر كذلك ، فلم نخرج عن
حقيقة اللفظ الى مجازه دون علة .

وجهة ثالثة :

وهى ان القول فى الميزان هو من عقائد الشرع لم يعرف الا سمعا

وان فتحنا فيه باب المجاز غمزتنا أقوال الطحمة والزنادقة في أن الميزان والصراط والجنة والنار والحشر ونحو ذلك إنما هي ألفاظ يـراد بها غير الظاهر ، فينبغي أن نجري في هذه الألفاظ إلى حملها على حقائقها^(١) .

كما أنه عند قوله تعالى : " يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم"^(٢) يحمل ابن عطية الإرادة في هذه الآية على الحقيقة دون المجاز فيقول " وقوله تعالى : (يريدون) اخبار عن أنهم يتمنون هذا في قلوبهم وفي غير ما آية أنهم ينطقون عن هذه الإرادة وقال الحسن بن أبي الحسن : إذا فارت بهم النار قهرها من حاشيتها ، فحينئذ يريدون الخروج ويطمعون فيــــه وذلك قوله تعالى (يريدون أن يخرجوا من النار) .

قال الفقيه ابو محمد رضى الله عنه : وقد تأول قوم هــــذا الإرادة انها بمعنى يكادون على هذا القصص الذى حكى الحسن وهذا لا ينبغى ان يتأول الا فيما لا يتأتى منه ارادة الحقيقة كقوله تعالى (يريد أن ينقص)^(٣) واما في ارادة بنى آدم فلا ، الا على تجوز كثير^(٤) .

(١) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم لعبد الوهاب فايد ص ٢٠٨

— ٢٠٩ —

(٢) سورة المائدة ٣٧

(٣) سورة الكهف ٧٧

(٤) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم لعبد الوهاب فايد ص ٢٠٩

ورغم هذا الموقف لابن عطية لم يخل تفسيره من الصور البلاغية
 والبيانية ومن هذه الصور التشبيهية ، ففي قوله تعالى : (ومثل الذين
 كفروا كمثل ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء^(١)) الآية .
 يقول ابن عطية : المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيتهم ، والكافرين
 الموعوظين بالراعى الذى ينعق بالفنم أو بالابل ، فلا تسمع الا دعاءه
 ونداءه ولا تفقه ما يقول ، هكذا فسر ابن عباس وعكرمة والسدى وسيبويه
 قال الفقيه أبو محمد : فذكر بعض هذه الجملة وترك البعض ودل المذكور
 على المحذوف وهذه نهاية الايجاز^(٢) .

وعند قوله تعالى (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل
 ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله
 ولكن انفسهم يظلمون^(٣)) .

يقول ابن عطية (المثل القائم بالنفوس من انفاقهم الذى يمدونه
 قربة وحسبة وتحنثا ، ومن حبطه يوم القيامة ، وكونه هباء منبثا وذهابه
 كالمثال القائم بالنفس من زرع قوم نبت واحضر وقوى الأمل فيه فهبست
 عليه ريح فيها صر محرق فأهلكته ، فوقع التشبيه بين شيئين وشيئين
 ، ذكر المشبهين وترك ذكر الآخر ، ثم ذكر أحد الشبهين المشبه

(١) سورة البقرة ١٧١

(٢) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج ٢ ص ٤٥

(٣) سورة آل عمران ١١٧

بهما ، وليس الذى يوازى المذكور الأول ، وترك ذكر الآخر ، ودل -
المذكوران على المتروكين ، وهذه غاية البلاغة والايجاز .^(١)
فضال الاستعارة .

عند قوله تعالى : (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب . .)^(٢) الاية
يقول ابن عطية : وقوله تعالى (سنلقى) استعارة ، ان حقيقة الالقاء
انما هى فى الاجرام ، وهذا مثل قوله (والذين يرمون المحصنات . .)^(٣)
ونحوه .^(٤) وعند قوله تعالى (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما
ريحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)^(٥) يقول ابن عطية : (وقال آخرون
الشراء هنا استعاره وتشبيه لما تركوا الهدى وهو معرض لهم ، ووقعوا
بدله فى الضلالة واختاروها ، شبهوا بمن اشترى ، فكأنهم دفعوا
فى الضلالة هداهم ان كان لهم أخذ .^(٦)
المجاز بالحذف :

وقد ذكر ابن عطية فى تفسيره ، أن هذا النوع من المجاز هو
عين المجاز ومعظمه ، فعند تفسير قوله تعالى (واسأل القرية التى كنا
فيها والعمير التى اقبلنا فيها وانا لصادقون)^(٧)

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ج ٣ ص ٢٠٤ - ٢٠٥

(٢) آل عمران ١٥١

(٣) سورة النور ٤

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ج ٣ ص ٢٥٩

(٥) البقرة ١٦

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية ج ١ ص ١٢٧ - ١٢٨

(٧) سورة يوسف ٨٢

يقول ابن عطية : (ثم استشهدوا بأهل القرية التي كانوا فيها وهي
 (مصر) قال ابن عباس رضي الله عنه وغيره ، وهذا مجاز ، والمراد
 بها أهلها ، وكذلك قوله تعالى (والعر) هذا قول الجمهور وهو
 الصحيح وحكى أبو المعالي في (التلخيص) عن بعض المتكلمين أنه
 قال : هذا من الحذف وليس من المجاز ، قال : وإنما المجاز لفظية
 تستعار لغير ما هي له .

قال الفقيه أبو محمد رضي الله عنه : وحذف المضاف هو
 عين المجاز ومعظمه ، هذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر
 وليس كل حذف مجازا ، ورجح أبو المعالي في هذه الآية انه مجاز
 وحكى انه قول الجمهور أو نحو هذا .

وقالت فرقة : بل أحواله على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة
 ومن حيث هو نهي فلا يبعد ان تخبره بالحقيقة ، قال الفقيه أبو محمد
 رضي الله عنه ، وهذا - وان جوز - فيعيد ، والأول أقوى (١) .

المجاز العقلي : هو اسناد الفعل الى غير ما هو له .

وقد اشار اليه ابن عطية في تفسيره ، فمثلا عند تفسير قوله تعالى
 (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا
 مهتدين) (٢) يقول ابن عطية وقوله تعالى (فما ربحت تجارتهم) ختم

(١) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم لعبد الوهاب فايد ص ٢١

(٢) سورة البقرة ١٦

للشئ بما يشبه جدأه من لفظه الشراء وأسند الربح الى التجارة ، كما
 قالوا : ليل قائم ونهار صائم ، والمعنى : فما ربحوا في تجارتهم^(١)
 الا يجاز : وهو جمع المعاني الكيرة تحت اللفظ القليل مع الوفاء
 بالفرض والايضاح . وعند قوله تعالى : (فلاتموتن الا وانتم مسلمون)^(٢)
 يقول ابن عطية : وقوله تعالى (فلاتموتن الا وانتم مسلمون) اي جناز
 بليغ وذلك ان المقصود منه أمرهم بالاسلام والدوام عليه ، فأتى بلفظ
 موجز يقتضى المقصود ويتضمن وعظما وتذكير بالموت ، وذلك ان المرء
 يتحقق انه يموت ولا يدري متى ؟

فان امر بأمر لا يأتيه الموت الا وهو عليه ، فقد توجه من وقت
 الأمر انها لازما ، وحكى سيويه فيما يشبه هذا المعنى قولهم
 (لا أرىك ههنا) وليس الى الأمور ان يحجب ادراك الأمر عنه
 فانما المقصود : اذهب وزل عن ههنا ، فجاء بالمقصود بلفظ يزيد
 معنى الغضب والكراهية .^(٣)

هذا وقد ابرز لنا ابن عطية في تفسيره بعض الاسرار البلاغية
 في اسلوب القرآن الكريم غير ما ذكرناه ، فمثلا عند قوله تعالى (واستشهدوا
 شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلا من فرجل وامرأتان ممن ترضون
 من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الآخرى)^(٤)

(١) المحرر الوجيز ج ١ ص ١٢٨

(٢) سورة البقرة ١٣٢

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ج ١ ص ٣٦٤

(٤) سورة البقرة ٢٨٢

بيمين ابن عطية السرفى تقديم الضلال فى هذا المقام على التذكير
فيقول (والشهادة لم تقع لأن تضل احداهما ، وانما وقع اشهاد
امراتين لأن تذكر احداهما ان ضلت الأخرى قال سيويه وهذا كما
تقول : اعددت هذه الخشبة أن يحيل الحائط فأدعمه .

قال الفقيه أبو محمد : ولما كانت النفوس مستشرفة الى معرفة
أسباب الحوادث قدم فى هذه العبارة ذكر سبب الأمر المقصود ان يخبر
به وفى ذلك سبق النفوس الى الاعلام بمرادها ، وهذا من أبرع الفصاحة
ان لو قال رجل : اعددت هذه الخشبة ان ادعم بها هذا الحائط
لقال السامع : ولم تدعم حائط قائما ؟ فيجب ذكر السبب ، فيقال
انما مال ، فجاء فى كلامهم تقديم السبب أخصر من هذه المحاوره (١) .

واما ما يتعلق بالشرط الرابع - وهو العلم بالقراءات - فان لابن
عطية فى ذلك باع طويل حيث ان القارئ لا يكاد يجد فى هذا التفسير
آية من آيات القرآن الا ويتكلم فيها ابن عطية عما يتعلق بالقراءات وتوجيه
كل قراءة عما يتضمنها من المعانى ، وسنكتفى بذكر ثلاثة امثلة لتوضيح
هذا الجانب : فعند قوله تعالى فى سورة الفاتحة (مالك يوم الدين)
يقول ابن عطية : واختلف القراء فى قوله تعالى (مالك يوم الدين)
فقرأ عاصم والكسائى مالك يوم الدين قال الفارسى : وكذلك قرأها
قتادة والاعمش .

(١) المحرر الوهيز لابن عطية ج ٢ ص ٣٦٥ - ٥٦٦

(٢) الفاتحة ٤

قال ملكي : وروى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها
كذلك بالألف وكذلك قرأها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن سمعون وأبى
بن كعب ومعاذ بن جبل وطالحة والزبير رضی الله عنهم .

وقرأ بقية السبعة (ملك يوم الدين) وأبو عمر وضمهم من يسكن
اللام فيقرأ (ملك يوم الدين) هذه رواية عبد الوارث عنه .
وروى عن نافع اشباع الكسرة من الكاف في ملك فيقرأ ملكي وهي
لغة للعرب ذكرها المهدي .

وقرأ أبو حيوة ملك بفتح الكاف وكسر اللام ، وقرأ ابن السميعة
وعمر بن عبد العزيز ، والاعشى وأبو صالح السمان وأبو عبد الملك
الشامي (مالك) بفتح الكاف .

وهذان على النداء ليكون ذلك توطئة لقوله اياك التي
أن قال : واحتج من قرأ ملك بأن لفظة ملك أعم من لفظة مالك ان
كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ، والملك الذي يدير المالك في
ملكه حتى لا يتصرف الا عن تدبير الملك ، وتتابع المفسرون على سرد
هذه الحجة وهي عندى غير لازمة ، لأنهم أخذوا اللفظتين مطلقتين
لا بنسبة الى ما هو المطوك وفيه الملك ، فأما اذا كانت نسبة الملك
هى نسبة المالك فالمالك أبلغ ، مثال ذلك أن نقدر مدينة أهله
عظيمة ثم نقدر لها رجلا يملكها أجمع أو رجلا هو ملكها فقط انما
يملك التدبير والاحكام .

فلا شك ان المالك أبلغ تصرفا وأعظم ، ان اليه اجراء قوانين

الشرع فيها ، كما لكل أحد في ملكه ثم عند زيادة التملك ، وملك
الله تعالى ليوم الدين هو على هذا الحد ، فهو مالكة وملكه والقراءتان
حسنتان .^(١)

وعند قوله تعالى : " صراط الذين أنعمت عليهم غير المفضوب ،
عليهم ولا الضالين " .^(٢)

يذكر ابن عطية اختلاف القراء السبعة في حفن الرء من (غير)
ونصبها ثم يوجه قرائتي الحفن والنصب فيقول : " اختلف القراء في
الرء من (غير) فقرأ نافع وعاصم وأبو عمر وابن عامر وهمزة والكسائي
بحفن الرء .

وقرأ ابن كثير بالنصب ، وروى عنه الحفن قال ابو علي
الحفن على ضربين على البدل من الذين ، او على الصفة للنكرة
كما تقول : مررت برجل غيرك ، وانما وقع هنا صفة للذين ، لأن
الذين هنا ليس بمقصود قصد هم الكلام بمنزلة قولك : انى لأمـ
بالرجل مثلك فأكرمه . قال : والنصب في الرء على ضربين : على الحال
كأنك قلت : أنعمت عليهم لا مفضوا عليهم أو على الاستثناء كأنسبك
قلت : الا المفضوب عليهم ويجوز النصب على (أعنى) وهكى نحو
هذا عن الخليل .

١- المحرر الوجيز ج ١ ص ٦٦ - ٦٩

٢- الفاتحة ٧

ومما يحتج به لمن ينصب ان (غير) نكرة ، فكرة أن توصف
 بها المعرفة ، والأختيار الذي لاخفاء به الكسر ، وقد روى عن
 ابن كثير فأولى القولين ما لم يخرج عن اجماع قراء الاصار^(١) .
 وعند قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى
 أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم " ^(٢)
 يذكر ابن عناية اختلاف القراء في كلمة (غشاوة) وما ترتب على ذلك
 وبدأ يقوله : والغشاوة الغطاء المفضى السامر ومنه قول النابغة :
 هلا سألت بني ذبيان ما حسبي ان الدخان تغشى الأشمط البرما
 وقال الآخر :

تهمتك ان عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفس الومها
 ورفع غشاوة على الابتداء وما قبله خبره .
 وقرأ عاصم فيما روى المفضل الضبي عنه (غشاوة) بالنصب على
 تقدير وجعل على أبصارهم غشاوة ، والختم على هذا التقدير في
 القلوب والاسماع ، والغشاوة على الأبصار ، والوقف على قوله
 وعلى سمعهم . . .
 وقرأ الهاقون (غشاوة) بالرفع .

١- المحرر الوجيز لابن عناية ج ١ ص ٨٤ - ٨٥

٢- البقرة ٧

قال أبو علي : " وقراءة الرفع أولى لأن النصب إما أن تعطسه
على ختم الظاهر فيعترض في ذلك أنك حلت بين صرف العطف والمعطوف
به ، وهذا عندنا إنما يجوز في الشعر ، وإما أن تحمله على فعل
يدل على ختم تقديره وجعل على أبصارهم ، فيجوز الكلام من باب
(متقلدا سيفاً ورمحاً) وقول الآخر : (علفتها تبناً وماً يسارداً)
ولا تكاد تجد هذا الاستعمال في حال سعة واختيار فقرأة الرفع أحسن
وتكون الواو عارضة جطة على جطة .

قال : (ولم أسمع من الغشاوة فعلاً صرفوا بالواو ، فإذا
لم يوجد ذلك وكان معناها معنى ما اللام منه الياء من غش يغش
بدلالة قولهم الغشيان ، فالغشاوة من غش كالجباوة من جبيت في
أن الواو كأنها بدل من الياء ، إذ لم يصرف منه فعل كما لم يصرف
من الجباوة . .

وقال بعض المفسرين : الغشاوة على الاسماء والأبصار والوقف
في قوله على قلوبهم . .

وقال آخرون : (الختم في الجميع ، والغشاوة هي الغاتم)

وقال القاضي أبو محمد : وقد ذكرنا اعتراض أبي علي على هذا

القول .

وقرأ أبو حيوة غشوة ، بفتح الغين والرفع ، وهي قراءة الأعشى

وقال الثوري : فإن أصحاب عبد الله يقرؤونها غشية بفتح الغين

والياء والرفع وأصوب هذه القراءات المقرؤ بها ما عليه السبعة من كسر

الغين على وزن عمامة والاشياء التي هي أبدا مشتملة ، فهكذا يجس^١
وزنها كالشمامة والعمامة والكتابة والمصابة والرهابة وغير ذلك .

المقصود ان ابن عناية قد ألزم كل الشروط التي لا بد منها لكل
من يتمددى لبيان كلام الله ، وان كل المعلوم التي ينبغي ان يتسلح
بها مفسر قد ألم بها وهي تبدو واضحة من خلال علمه يلمسها كل دارس
له .

كما يمكن الجزم بأن تفسير ابن عناية من أشهر التفاسير التي
تتوفر فيها هذه الشروط .

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير

الجزء .

الامام القرطبي وتفسيره

التعريف بالقرطبي :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرح (باسكـان
الراء والحاء المهملة) الانصارى الحزرجى الاندلسى القرطـبى
المفسر ، كان ممن عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين
الزاهدين فى الدنيا المشغولين بما يعينهم على أمور الآخرة ، اوقاته
معمورة ما بين توجهه وعبادة وتصنيف .^(١)

نشأته ومكانته العلمية :

نشأ الامام القرطبي فى كف ابيه ورعايته وان اباه كان يشتغل
بالزراعة وكان يباشر حصاد أحد المحاصيل يوم قتل مع غيره من المسلمين
على يد النصارى بقرطبه سنة ٦٢٧ هـ .^(٢)

وعند ما بلغ القرطبي من العمر حدا يسمح له بتلقى التعليم تعلم

(١) مقدمة تفسير القرطبي ج ١ ص ١ ، انظر طبقات المفسرين للداودى

ج ٢ ص ٦٥ تحقيق على محمد عمر - مطبعة الاستقلال الكسبرى

سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

(٢) القرطبي ومنهجة فى التفسير للدكتور القصبى محمد زلط ص ٧

العربية والشعر الى جانب تعلمه القرآن ، وهذه طريقة في التعليم
انفرد بها أهل الاندلس وهم في هذا يخالفون سائر الاصناف
الاسلامية الاخرى حيث يتعلم الصبيان القرآن وحده اولا دون سائر
العلوم (١)

ثم واصل القرطبي تعليمه وترقى فيه فتنقل بين حلقات العلم فس
قرطبة الى ان غادرها ، ولقد كانت حلقات العلم منتشرة بجميع المدن
الاندلسية وكانت المساجد اماكن هذه الحلقات (٢)

وانما ما يتعلق بمكانة القرطبي العلمية فقد قال عنه الذهبي : امام
متقن متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة تدل على امامته وكثرة اطلاعه
ووفور فضله (٣)

وقال عنه أيضا : رحل وكتب وسمع وكان يقظا ، فهما حسن الحفظ
مليح النظم حسن المذاكرة ، ثقة حافظا (٤)

وقال المقرئ : كان شيخا فاضلا ، وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة
اطلاعه ووفور علمه ، منها (تفسير القرآن) مليح الى الغاية (٥)

وقال عنه الضماد : كان اماما علما من القواصين على معاني الحديث
حسن التصنيف جيد النقل (٦)

-
- (١) القرطبي وشهجه في التفسير للدكتور القصي محمد زلط ص ٨٧ - ٩
(٢) المصدر السابق ص ٩
(٣) طبقات المفسرين للداودي ج ٢ ص ٦٦
(٤) نفخ الطيب من عنان الاندلس الرطيب للمقرئ تحقيق محمد محي الدين
عبد المجيد ج ٢ ص ٤١٠ ط ١ مطبعة السعادة بصر سنة ١٣٦٧ هـ
١٩٤٩ م .
(٥) المصدر السابق والجزء والصفاة .
(٦) شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٥

وقد عرف الامام القرطبي - زيادة على علمه الغزير - شجاعة نادرة
ولقد روى الصفدي في كتابه (الوافي بالوفيات) يقول : أخبرني من
لفظه الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى قال : ترافق
القرطبي المفسر والشيخ شهاب الدين القرافي في السفر الى الفيوم
وكل منهما شيخ فنه في عصره القرطبي في التفسير والحديث ، والقرافي
في المعقولات ، فلما دخلاها ارتأيا مكانا ينزلان فيه فدلا على مكان
فلما اتياه قال لهما انسان : يامولانا بالله لا تدخلوا فيه فانه معمور بالجان
فقال الشيخ شهاب الدين للغلمان ادخلوا ودعونا من هذا الهذيان
ثم انهما توجهتا الى جامع البلد الى أن يفرش الغلمان المكان ثم عادا
فلما استقرا بالمكان سمعا صوتا من المعز يصيح من داخل الخرستان
وكرر ذلك الصياح فامتقع لون القرافي وخارت قواه وسهت ثم ان الباب
فتح وخرج منه رأس تيس وجعل يصيح فذاب القرافي خوفا ، وأمما
القرطبي فانه قام الى الرأس وأمسك بقرونيه وجعل يتعوز وييسل ويقرأ
(آله أذن لكم أم على الله تفترون)^(١) ولم يزل كذلك حتى دخل
الغلام ومعه حبل وسكين وقال : ياسيدي تنح عنه وجاء اليه وأخرجهم
وأنكاه ونذحه فقالا له ما هذا ؟ فقال لما توجهتما رأيت مع أحدهما
فاسترحصته واشتريت منه لنذحه ونأكله وأودعته في هذا الخرستان .

فأفاق القرافي من حاله وقال يأخى لاجزاك الله خيراً ما كنت قلت لنا
والا طارت عقولنا أو كما قال (١) .

هذا وقد توفي الامام القرطبي بطنيه بنى خصيب من صعيد مصر
في شوال من سنة احدى وسبعين وستمائة (٢) .

وقد كان للامام القرطبي تأليفات كثيرة غير تفسيره الكبير المسمى
(الجامع لاهكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان)
الذى سأحدث عنه ، ومن هذه التأليفات (اسنى فى شرح اسماء الله
الحسنى) وكتاب (التذكرة فى أفضل الاذكار) وضعه على طريقة
التبيان للنووى ، ولكن هذا أتم منه واكثر علماً ، وكتاب (شرح التقصى)
وكتاب (قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكذب والشفاعة)
قال ابن فرحون : لم أقف على تأليف احسن منه فى باب (٣) . وكتاب
(التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة) وكتاب (الاعلام بما فى دين
النصارى واظهار محاسن الاسلام) وله ارجوزة جمع فيها اسماء النمسى
صلى الله عليه وسلم وله تواليف وتعاليق مفيدة غير هذا (٤) .

(١) الوافى بالوفيات، للصدفى ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ ط ٢ سنة ١٣٨١ -

١٩٦١ م .

(٢) الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب لابن فرحون ص ٣١٨

ط ١ سنة ١٣٥١ هـ ، انظر طبقات المفسرين للداودى ج ٢ ص ٦٦

(٣) المصدر السابق ص ٣١٧

(٤) انظر هدية العارفين لاسماعيل بن محمد بن سليم البغدادى ج ٢

ص ١٢٩ ، مطبعة البهية استانبول سنة ١٩٥٥ م وطبقات المفسرين

لداودى ج ٢ ص ٦٦ ، مقدمة تفسير القرطبي ج ١ ص - مطبعة

دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م

وما مدى التزام القرطبي بالشروط السالفة الذكر ؟

ولقد التزم الامام القرطبي بأغلب هذه الشروط التي ذكرناها ، ونجده فيما يتعلق بالشرط الاول - وهو الاعتماد على الاحاديث النبوية - يفسر الآيات القرآنية بالا حاديث وكثيرا ما يضيف هذه الاحاديث الى روايتها ومن خرجها كالبخاري ومسلم والنسائي والترمذي وأبي داود وغيرهم ولقد اشترط ذلك على نفسه في مقدمة تفسيره حيث قال (وشروطي في هذا الكتاب اضافة اقوال الي قائلها والاحاديث الي مصنفها فانه يقال : من بركة العلم ان يضاف القول الي قائله ، وكثير ما يجسّد الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهما لا يعرف من أخرجه الا من اطلع على كتب الحديث ، فيبقى من لا خبرة له بذلك هائرا لا يعرف الصحيح من السقيم ، ومعرفة ذلك علم جسيم ، فلا يقبل منه الاحتجاج به ولا الاستدلال حتى يضيفه الي من اخرجه من الأئمة الأعلام والثقات المشاهير من علماء الاسلام ونحن نشير الي جمل من ذلك في هذا والله موفق للصواب .^(١)

وسنكتفي بذكر ثلاثة أمثلة في ذلك ، فمعد قوله تعالى في أول سورة الفاتحة (الحمد لله) يقول القرطبي : " روى أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ من حديث أبي هريرة وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اذا قال العبد الحمد لله قال صدق

(١) مقدمة تفسير القرطبي ج ١ ص ٣

عبدى الحمد لى) وروى مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها) وقال الحسن : ما من نعمة الا والحمد لله أفضل منها ، وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنعم الله على عبده نعمة فقال الحمد لله الا كان الذى اعطاه افضل مما أخذ ، وفق نوارى الاصول عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو أن الدنيا كلها بحذاقيرها بيد رجل من أمتى ثم قال الحمد لله لكانت الحمد لله افضل من ذلك) قال عبد الله معناه عندنا أنه قد اعطى الدنيا ، ثم اعطى ما أثرها هذه الكلمة حتى نطق بها ، فكانت هذه الكلمة أفضل من الدنيا كلها ، لان الدنيا فانية والكلمة باقية هي من الباقيات الصالحات ، قال تعالى (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا)^(١) وقيل فى بعض الروايات : لكان ما اعطى اكثر مما أخذ ، فصير الكلمة اعطاء من العبد ، والدنيا أخذاً من الله فهذا فى التدبير .^(٢)

وعند قوله تعالى فى سورة البقرة (أتأمرون الناس بالهروتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)^(٣) فبمد ما ذكر القرطبى أقوال بعض الصحابة والتابعين فى هذه الآية يقول (فى شدة عذاب من هذه

(١) الكهف ٤٦

(٢) تفسير القرطبى ج ١ ص ١٣١ - ١٣٢

(٣) البقرة ٤٤

صفته ، روى حماد بن سلمة عن علي بن يزيد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليلة أسرى بي مزرت على أناس تفرغ شفاهم بمقاريض من نار ، فقلت يا جبرئيل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الخطباء من أهل الدنيا يأمرون الناس بالهر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون) وروى أبو امامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الذين يأمرون الناس بالهر وينسون أنفسهم يجرون قصبهم في نار جهنم فيقال لهم من انتم ؟ فيقولون نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى انفسنا^(١) .

وعند قوله تعالى (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون)^(٢) .

يقول الامام القرطبي بعد ما تكلم عن معنى كلمة (المزحزح) من الناحية اللغوية بأنه الابعاد والتنحية يقول : وروى النسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من صام يوماً في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفاً)^(٣) .

هذا ولم يكتف الامام القرطبي بسرد الاحاديث وذكر روايتها ومن خرجوها بل كان يبدي ما يراه من ناحية رجال السند وما قاله جهابذة العلماء فيهم من الجرح والتعديل ، ومثال ذلك عند قوله

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٦٥

(٢) البقرة ٩٦

(٣) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٣٥

تعالى (أفطمعون ان يؤمنو لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام
الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) (١)

يقول القرطبي بعد ما تكلم عن اختلاف العلماء في كيفية سماعهم

لكلام الله بعد ذلك يقول ! فان قيل : فقد روى الكلبي عن ابي صالح

عن ابن عباس أن قوم موسى سألوا موسى أن يسأل ربه أن يسمعهم كلامه

، فسمعوا صوتا كصوت الشبور : (انى أنا الله لا اله الا أنا الحق القيوم (٢)

اخرجتكم من مضر بيد رفيعة وذراع شديدة) قلت هذا حديث باطنل

لا يضح ، رواه مزوان عن الكلبي وكلاهما ضعيف لا يحتج به وانما الكلام شئ

خص به موسى لمن بين جميع ولد آدم ، فان كان كلف قومه أيضا حتى اسمعهم

كلامه فما فضل موسى عليهم ، وقد قال وقوله الحق (انى اصطفتك على

الناس برسالتى وكلامى) (٣) وهذا واضح (٤)

وعند قوله تعالى (الله لا اله الا هو الحق القيوم لا تأخذه سنة

(٥)
ولا نوم)

بين الامام القرطبي ان السنة معناها فتور يعثرى الانسان ولا يفقد

معه عقله ، وان المراد بالآية ان الله تعالى لا يدركه خلل ولا يلحقه ملل

(١) البقرة ٧٥

(٢) الشبور (على وزن التنول) : البوق .

(٣) الاعراف ١٤٤

(٤) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢

(٥) البقرة ٢٥٥

بحال من الأحوال ثم قال : " والناس يذكرون في هذا الباب عن
 أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى
 على الصبر قال : وقع في نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤه فأرسل
 الله اليه ملكا فأرقه ثلاثا ثم اعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره
 ان يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيا ثم يستيقظ فينحس
 احداهما عن الأخرى حتى نلم نوما فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان
 قال - ضرب الله له مثلا أن لو كان ينام لم تمتسك السماء والارض ، قال
 الامام القرطبي : ولا يصح هذا الحديث ، ضعفه غير واحد منهم
 البهقي . . (١)

وعند قوله تعالى : " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة
 واولوا العلم قائما بالقسط " (٢) يقول الامام القرطبي رحمه الله
 روى غالب القطان قال أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من
 الأعمش فكنت اختلف اليه فلما كان ليلة أردت أن أنحدر الى البصرة
 قام فتهد من الليل فقرأ بهذه الآية " شهد الله أنه لا اله الا هو
 والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين
 عند الله الاسلام " قال الأعمش : وأنا أشهد بما شهد الله به
 واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة وان الدين

١- تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٧٢ - ٢٧٣

٢- آل عمران ١٨

عند الله الاسلام - قالها مرار - فغدوت اليه وودعته ثم قلت : انسى سمعتك تقرأ هذه الآية فما بلغك فيها ؟ أنا عندك منذ سنة لــــم تحدثني به قال : والله لا احدثك به سنة قال : فأقمت وكتبت على بابيه ذلك اليوم فلما مضت السنة قلت : يا أبا محمد قد مضت السنــــة قال : حدثني أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى عبي عبي عهد الي وأنا أحق من وفي أدخلوا عبي الجنة " .

قال أبو الفرج الجوزي غالب القطان يروى عن الاعشى حديث شهد الله وهو حديث مفضل^(١) . قال ابن عدي : الضعف على حديثه بين ، وقال أحمد بن حنبل : غالب بن حطان القطان ثقة ثقة وقال ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : صدوق صالح ، ثم عقب القرطبي بقوله : قلت : ويكفيك من عد الته وثقته أن خرج لــــه البخاري ومسلم في كتابيهما وحسبك^(٢) .
وأما ما يتعلق بالشرط الثاني -

وهو الالمام باللغة - نجد الامام القرطبي قد استعرض في تفسيره مباحث لنهضة كثيرة حاول بها أن يوضح اللفظ القرآني وأن يبين مدلوله ومن هذه المباحث الاشتقاق .
وعند قوله تعالى : " أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون"^(٣)

١- المفضل ما سقط من اسناده اثنان فصاعدا في موضع واحد

٢- تفسير القرطبي ج ٤ ص ٤٠ - ٤١

٣- البقرة ٥

يقول القرطبي : الفلح أصله فى اللغة الشق والقطع قال الشاعر
 " ان الحديد بالحديد يفلح أى يشق ، ومنه فلاحة الأرضين انما
 شقها للحرت ، قال أبو عبيدة ، ولذلك سمي الأكار فلاحا ، ويقال
 للذى شقت شفته السفلى أفلح ، وهو بين الفلحة ، فكان المفلح
 قطع المصائب حتى نال مطلوبه .

وقد يستعمل فى الفوز والبقاء وهو أصله أيضا فى اللغة ومنه
 قوله الرجل لا مرأته : استفلحى بأمرك معناه فوزى بأمرك وقيل
 الشاعر :

لو كان حى مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح

وقال الاضطراب بن قريع السعدي فى الجاهلية الجهلاء :

لكل هم من الهموم سعه والمسى والصبح لا فلاح معه

يقول ليس مع كسر الليل والنهار - بقاء - وقال آخر :

نحل بلادنا كلها حل قبلنا ونرجو الفلاح بعد عاد وخمير

أى البقاء ، وقال عبيد :

أفلح بما شئت فقد يدرك بالضميف وقد يخدع الأريب

أى ابق بما شئت من كيس وحمق ، فقد يرزق الاحمق ويحرم

العاقل فمعنى (أولئك هم المفلحون) أى الفائزون بالجنة والباقيون

فيها .

وقال ابن أبى اسحاق : المفلحون هم الذين أدركوا ما طلبوا

ونجوا من شر ما منه هربوا والمعنى واحد ، وقد استعمل الفلاح فى

السحور ، ومنه الحديث " حتى كاد يغوتنا الفلاح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت وما الفلاح ؟ قال : السحور " اخرجاه أبو داود فكان معنى الحديث ، ان السحور به بقاء الصوم لهذا سماه فلاحا . . . ثم الفلاح في المعرف الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب .^(١)

وعند قوله تعالى (بسم الله) يقول القرطبي : اختلفوا في اشتقاق اسم على وجهين فقال البصريون : هو مشتق من السمو وهو العلو والرفعة ف قيل اسم لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به ، وقيل لأن الاسم يسمى بالسمي فيرفعه عن غيره وقيل : انما سمي الاسم اسما لأنه علا بقوته على قسمي الكلام ، الحرف والفعل والاسم أقسوى منهما بالاجماع لأنه الأصل ، فلعلوه عليهما سمي اسما ، فهذه ثلاثة أقوال .

وقال الكوفيون : انه مشتق من السمه وهي العلامة ، لأن الاسم علامة وضع له ، فأصل اسم على هذا " وسم " وقال القرطبي والأول أصح ، لأنه يقال في التصغير سمي وفي الجمع أسماء والجمع والتصغير يردان الاشياء الى أصولها ، فلا يقال : وسيم ولا أسام . . .^(٢)

وعند قوله تعالى : " الرحمن الرحيم " يقول القرطبي : واختلفوا أيضا في اشتقاق اسمه الرحمن ، فقال بعضهم : لا اشتقاق له لأنه

١- تفسير القرطبي ج ١ ص ١٨٢

٢- تفسير القرطبي ج ١ ص ١٠١

من الاسماء المختصة به سبحانه ، ولأنه لو كان مشتقا من الرحمة
لا اتصل بذكر المرحوم ، فجاز أن يقال : الله رحمن بعباده ، كما
يقال : رحيم بعباده ، وأيضا لو كان مشتقا من الرحمة لم تنكسره
العرب حين سمعوه ، إذ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم وقد قال الله
عز وجل " وإن قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن " (١) الآية
ولما كتب على رضى الله عنه فى صلح الحديبية بأمر النبى صلى
الله عليه وسلم : " بسم الله الرحمن الرحيم " قال سهيل بن عمرو :
أما " بسم الله الرحمن الرحيم " فما ندري ما " بسم الله الرحمن الرحيم "
ولكن أكتب ما نعرفه : باسمك اللهم ، الحديث قال ابن العريشى :
انما جهلوا الصفة دون الموصوف ، واستدل على ذلك بقولهم : وما
الرحمن ؟ ولم يقولوا : ومن الرحمن ؟ .

قال ابن الحصار : وكأنه رحمه الله لم يقرأ الآية الاخرى : " وهم
يكفرون بالرحمن " (٢) .

وزهب الجمهور من الناس الى ان " الرحمن " مشتق من الرحمة
بنى على المبالغة ، ومعناه ذو الرحمة الذى لا نظير له فيها
فلذلك لا يثنى ولا يجمع كما يثنى " الرحيم " ويجمع .

قال ابن الحصار : وما يدل على الاشتقاق ما خرجه الترمذى
وصححه عن عبد الرحمن بن عوف انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : " قال الله عز وجل أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت

١- الفرقان ٦٠

٢- الرعد ٣٠

لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته" هـ — هذا
نص في الاشتقاق ، فلا معنى للمخالفة والشقاق ، وانكار المـرب
له لجعلهم بالله وما وجب له .

زعم المبرد فيما ذكر ابن الأنبار في كتاب " الزهر " لـه : " ان
الرحمن " اسم عبراني فجاء معه بـ " الزحيم " . .

قال أبو اسحاق الزجاج في معاني القرآن : وقال أحمد بن
يحيى : " الرحيم " عربي و " الرحمن عبراني ، فلهذا أجمع بينهما
وقال القرطبي : وهذا القول مرغوب عنه . . (١)

ومن هذه الصاغت التي تناولها القرطبي في تفسيره التصريف
وعند قوله تعالى : " واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون " (٢) يقول القرطبي
أصل لقوا لقيوا ، نقلت الضمة الى القاف وحذفت الياء لا لتقاء
الساكنين ، وقرأ محمد بن السميع اليماني : " لا قوا الذين آمنوا " .
والاصل لا قيووا تحركت الياء وقبلها فتحة انقلبت ألفا ، اجتمع ساكنان
الألف والواو ، فحذفت الالف لا لتقاء الساكنين ثم حركت الواو
بالضم . .

وان قيل : لم ضمت الواو في لا قوا في ال ادراج وحذفت من لقوا

١- تفسير القرطبي ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٤

٢- البقرة ١٤

فالجواب ان قبل الواو التي في لقوا ضمة فلو حركت الواو بالضمة
لثقل على اللسان النطق بها فحذفت لثقلها وحركت في لاقوا لأن
قبلها فتحة (١) .

هذا ولم يكن الامام القرطبي ناقلا لآراء علماء اللغة فقط. بل كان
يجتهد فيرجح بعض الآراء - احيانا - بما تشهد له اللغة وتؤيده
ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى " صفراء فاقع لونها تسر الناظرين"
قال جمهور المفسرين انها صفراء اللون من الصفرة المعروفة ، قال
مكي عن بعضهم حتى القرن والظلف ، وقال الحسن وابن جرير
كانت صفراء القرن والظلف فقط .

وعن الحسن أيضا : صفراء ممناها سواد قال الشاعر :

تلك خيلى منه وتلك ركابى هن صفرا اولادها كالزبيب

ولم يرتضى الامام القرطبي هذا الرأي ، لأن اللغة لا تؤيده
فقال : قلت : والأول أصح ، لأنه الظاهر وهذا شأن لا يستعمل
مجازا الا في الابل قال الله تعالى " كأنه جمالة صفراء^(٢) " وذلك أن
السود من الابل سوادها صفرة ولو أراد السواد لما أكد بالفقوع
وذلك نعت مختص بالصفرة ، وليس يوصف السود بذلك تقول العرب
أسود حالك ، واحمر قاني ، وأبيض ناصع ، واخضر ناضر ، واصفر
فاقع هكذا نص نقله اللغة عن العرب .

١- تفسير القرطبي ج ١ ص ٢٠٦

٢- المرسلات ٣٣

(١) قال الكسائي : يقال فقع لونه يفتح فوقها اذا خلصت صفرتة .
وأبرز ما يدل على اعتماده على اللغة اهتمامه بالشعر العربي
ولقد استخدم الشعر في تفسيره كثيرا ولو أراد باحث أن يتقصى ذلك
وأن يحصره لضاق ذرعا وضائق مجموعة من الرسائل عن استيعابه ففي
تفسيره شروة كبيرة من الأشعار ولا نكون مبالغين اذا قلنا انه يوجد
في كل عدة آيات عدد كبير من الأبيات الشعرية .

وكان القرطبي يذكر الشعر لأغراض مختلفة فتارة يذكره لبيان
معنى لغوي وتارة يذكره للاستدلال على قاعدة نحوية او بلاغية
او للاستدلال على توجيه رأى في الاعراب او غير ذلك ، وسنكتفى
بذكر ثلاث امثلة تشير الى ذلك .

فمعد قوله تعالى : " لا ريب فيه " بين القرطبي معاني " الريب"
بالشعر فقال : وفي الريب ثلاث معان أحدها :

الشك قال عبد الله بن الزمعي :

ليس في الحق يا أميمة ريب انما الريب ما يقول الجهول

وثانيهما : التهمة قال جميل :

بثينة قالت يا جميل أريتنى فقلت كلانا يابثين مريب

وثالثها الحاجة قال :

قضينا من تهامة كل ريب وخير ثم أجمعنا السيوف^(١)

وعند قوله تعالى : " قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم
مؤمنين " .^(٢)

استدل بالشعر على قاعدة بلاغية وهي : وضع المستقبل موضع
الماضي فقال : قوله تعالى " قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل "
رد من الله تعالى عليهم في قولهم انهم آمنوا بما أنزل عليهم وتكذيب
منه لهم ، وتوبيخ المعنى فكيف قتلتهم وقد نهيتهم عن ذلك ، فالخطاب
لمن حضر محمد صلى الله عليه وسلم .

والمراد اسلافهم وانما توجه الخطاب الى ابنائهم لانهم كانوا
يتولون أولئك الذين قتلوا كما قال " ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي
وما أنزل الله ما اتخذوهم أولياء " فاذا تولوهم فهم بمنزلتهم وقيس
لانهم رضوا فعلهم فنسب ذلك اليهم وجاء " تقتلون " بلفظ الاستقبال
وهو بمعنى المضى لما ارتفع الاشكال بقوله " من قبل " واذا لم يشك
فجاء ان يأتي الماضي بمعنى المستقبل والمستقبل بمعنى الماضي
قال الحطبيته :

١- تفسير القرطبي ج ١ ص ١٥٩ ، انظر القرطبي ومنهجة في التفسير
للدكتور القصبى محمود زلط ص ٢٦٩ - ٢٧٠ - مطبعة دار الانصار

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

٢- البقرة ٩١

٣- المائدة ٨١

شهد الحطية يوم يلقي ربه أن الوليد أحق بالمدح
(١)
شهد بمعنى يشهد .

وعند قوله تعالى " والموفون بعهدهم " بمد أن بين أن قوله
" والموفون " عطف على " من " في قوله " ولكن البر من آمن " لأن " من "
في موضع جمع ومحل رفع فكأنه قال ولكن البر المؤمنون والموفون .
مد أن بين ذلك قال : (والصابرين) نصب على المدح
أو باضمار فعل والعرب تنصب على المدح وعلى الذم كأنهم يريدون
بذلك أفراد المدح والمدح ولا يتبعونه أول الكلام ، وينصبون
فأما المدح فقوله " والمقيمين الصلاة " وأنشد الكسائي :

وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم إلا نيمرا أطاعت أمر غاويها
والطاعنين ولما يظعنوا أحدا والقائلون لمن دار نخليها
وأنشد أبو عبيدة :

لا يمدح قومى الذين هم سم المداة وآفة الجـزر
النازلين بكل معترك والطيبو معاقـد الأزر
فنصب على المدح . وأما الذم فقوله تعالى " ملعونين أينما ثقفوا "
الاية .

وقال عمرو ابن الورد :

-
- ١- القرطبي ومنهجه في التفسير ص ٢٧٠ - ٢٧١ . انظر تفسير
القرطبي ج ٢ ص ٣٠
٢- النساء ١٦٢

سقونى الخمر ثم تكفونسى عداة الله من كسذب وزور

وهذا مهيب - شائع - فى النعوت لا مطعن فيه من جهة الاعراب موجود
فى كلام العرب .^(١)

واما ما يتعلق بالشرط الثالث -

وهو علوم البلاغة - فقد كان الامام القرطبى لا يكثر من ذلك
كمادة أئمتنا الأندلسيين ، ومع ذلك لم يخل هذا التفسير الكبير
من الصور البلاغية والبيانية فلنورد من ذلك بعض الامثلة :

التشبيه : عند قوله تعالى ! " أو كصيب من السماء فيه ظلمات
ورعد و برق يجملون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموات
والله محيط بالكافرين " .^(٢)

يقول القرطبى : شبه الله تعالى فى هذه الآية أحوال المنافقين
بما فى الصيب من الظلمات والرعد والبرق والصواعق ، فالظلمات
مثل لما يعتقدونه من الكفر والرعد والبرق مثل لما يحوفون به .

وقيل : مثل الله تعالى القرآن بالصيب لما فيه من الاشكـال
عليهم ، والعمى هو الظلمات ، وما فيه من الوعيد والزجر هو
الرعد وما فيه من النور والحجج الباهرة التى تكاد أحيانا أن تبهـرهم
هو البرق والصواعق مثل لما فى القرآن من الدعاء الى القتال فى

١- الاحزاب ٦١

٢- تفسير القرطبى ج ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٠

٣- البقرة ١٩

المعاجل والوعيد في الآجل وقيل الصواعق تكاليف الشرع التي يكرهونها
من الجهاد والزكاة وغيرهما^(١) .

وعند قوله تعالى : " وأشربوا في قلوبهم العجل^(٢) " يقول الامام
القرطبي :

اي حب العجل والمعنى : جعلت قلوبهم تشربه ، وهذا
تشبيهه ومجاز عبارة عن تمكن أمر العجل في قلوبهم ، وفي الحديث
تمر من الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأى قلب أشربها نكست
فيه نكسة سوداء^١ " الحديث خرجه مسلم يقال أشرب قلبه حب كذا
قال زهير :

فصحت عنها بعد حب داخل والحب تشربه فواءك داء^١
وانما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل لأن شرب الماء يتغلغل
في الاعضاء حتى يصل الى باطنها ، والطعام مجاور لها غير متغلغل
فيها ، وقد زاد على هذا المعنى أحد التابعين فقال في زوجته
عثة ، وكان عتب عليها في معنى الأمر فطلقها وكان محبا لها .
تغلغل حب عثة في فواءى فباده مع الخافى يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
أكان اذا ذكرت العهد منها أظير لو أن انسانا يطير^(٣)

١- تفسير القرطبي ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢٠

٢- البقرة ٩٣

٣- تفسير القرطبي ج ٢ ص ٣١ - ٣٢

الاستمارة ؛

وعند قوله تعالى : " في قلوبهم مرض " ^(١) يقول القرطبي : المرض عبارة استمارة للفساد الذي في عقائد هم ، وذلك اما أن يكون شكسا ونفاقا وأما هذا جهدا وتكديبا ، والمعنى قلوبهم مرضى لخلوهم عن العصمة والتوفيق والرعاية والتأييد ، لقد شبه الفساد الموجب لفساد قلوبهم بالمرض ثم حذف المشبه وأقام المشبه به مقامه على سبيل الاستمارة الاصلية لأن الاصلية ما كان اللفظ المستعار فيها اسما جنس غير مشتق والمراد به الماهية الصالحة لأن يصدق على كثيرين حقيقة أو تأويلا ، فالجنس الحقيقي ، رأيت بحرا يتحدث والحقيقة انك تقول : رأيت اليوم سحبان (٢) .

وعند قوله تعالى " اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ^(٣) . يقول الامام القرطبي : اشترى من الشراء ، والشراء هنا مستعارة والمعنى استحبو الكفر على الايمان كما قال : " فاستحبوا العمى على الهدى " فمبصر عنه بالشراء لأن الشراء انما يكون فيما يحبه مشتريه فأما أن يكون معنى شراء المساومة فلا ، لأن المنافقين لم يكونوا مؤمنين فيبيعون ايمانهم . ^(٤)

١- البقرة ١٠

٢- القرطبي ومنهجه في التفسير ص ٢٩٦ - ٢٩٧

٣- البقرة ١٦

٤- تفسير القرطبي ج ١ ص ٢١٠ .

المجاز الملقى :

عند قوله تعالى (فمارحت تجارتهم)^(٢) يقول القرطبي : اسند
تعالى الريح الى التجارة على عادة العرب في قولهم : ربح بيعك
وخسرت صفقتك ، وقولهم : ليل قائم ونهار صائم ، والمعنى : رحت
وخسرت في بيعك ، وقمت فسي ليلك وصمت في نهارك ، فما ربحوا
في تجارتهم ، وقال الشاعر .

نهارك هائم وليلك نائم * * * كذلك في الدنيا تعيش البهائم .^(٣)

الايجاز :^(٤)

وعند قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)^(٥) الاية
قال القرطبي : وهذه الآية ما تلوح فصاحتها وكثرة معانيها على قلة
الفاظها لكل ذي بصيرة بالكلام فانها تضمنت خمسة أحكام ، الاول :
الامر بالوفاء بالعقود والثاني : تحليل بهيمة الانعام ، والثالث
استثناء ما يلي بعد ذلك ، الرابع استثناء حال الاحرام فيما يصاد

(٢) البقرة ١٦

(٣) تفسير القرطبي ج ١ ص ٢١٢

(٤)

(٥) المائدة ١

والخامس : ما تقتضيه الآية من اباحة الصيد لمن ليس بمحرم
 وحكى النقاش ان اصحاب الكندي قالوا له : أيها الحكيم اعمل لنا مثل
 هذا القرآن فقال : نعم اعمل مثل بعضه ، فاحتجب أياما كثيرة ثم
 خرج فقال : والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد ، انى فتحت الصحف
 فخرجت سورة المائدة فنظرت فاذا هو قد نطق بالوفاة ونهى عن النكث
 وحلل تحليلا عاما ثم استثنى استثناء بعد استثناء ثم اخبر عن قدرته
 وحكمته فى سطرين ، ولا يقدر أن يأتي أحد بهذا الا فى أجلا^(١)د .

المجاز بالحذف :

وعند قوله تعالى (ختم الله قلوبهم وعلو^{علي} سمعهم) الآية يقول
 الامام القرطبي وقرئ (وعلو اسماعهم) ويحتمل ان يكون المعنى وعلو
 مواضع سمعهم لان السمع لا يختم وانما يختم موضع السمع ، فحذف المضاف
 وأقيم المضاف اليه مقامه .^(٤)

(١) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢١ - ٢٢

(٢) البقرة ٧

(٤) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٩٠

التعبير عن الماضي بالمستقبل او العكس :

وعند قوله تعالى (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كتتم
 مؤمنين)^(١)

يقول الامام القرطبي : وجاءت تقتلون بلفظ الاستقبال وهو بمعنى
 الماضي لما ارتفع الاشكال بقوله (من قبل) وانما لم يشك فـجـائـز
 أن يأتي الماضي بمعنى المستقبل والمستقبل بمعنى الماضي قال
 الحطيفة : شهد الحطيفة يوم يلقي ربه أن الوليد أحق بالعدر .
 شهد بمعنى يشهد .^(٢)

وعند قوله تعالى (سيقول السفهاء من الناس)^(٣) يقول الامام
 القرطبي : وسيقول ، بمعنى قال ، جعل المستقبل موضع
 الماضي دلالة على استدامة ، ذلك أنهم يستمرون على ذلك القول^(٤)

(١) البقرة ٩١

(٢) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٣٠

(٣) البقرة ١٤٢

(٤) تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٤٧ - ١٤٨

هذا وقد ذكر الامام القرطبي في تفسيره كثيرا من الاسرار البلاغية
في غير ما ذكرناها مثل التكرير ^(١) ، والتمسيم ^(٢) وغيرهما من الاسرار
البيانية ^(٣) .

(١) التكرير : هو ذكر الشيء مرتين أو اكثر لأغراض ودواع ، ومن هذه
الأغراض والدواعي التأكيد وتقرير المعنى في النفس كقوله تعالى
(كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون) فقد أكد الانذار بتكريره
ليكون أشد تأثيرا يظهر هذا الغرض في الخطابة ، وفي مواطن
الفخر والمدح والارشاد والانذار (انظر القرطبي ومنهجه في
التفسير ص ٣٠١)

(٢) التسميم : هو أن تزيد في الكلام ما يوضحه ويؤكد ، وان كان مستقلا
دون هذه الزيادة لفائدة كالمفعول والحال والتمييز والجار والمجرور
والبالغة في المدح ((((انظر مقدمة التمهيل لعلوم التنزيل
لابن جزى تحقيق محمد عبد المنعم اليونس وابراهيم عطوه ع
ج ١ ص ٢٣ مطبعة حسان .

(٣) انظر تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، وج ١٧ ص ١٥٩ - ١٦٠

واما ما يتعلق بالشرط الرابع -

وهو العلم بالقراءات - لقد بدالى من خلال قرائتى لتفاسير علماء الاندلس والمفاربة أنهم متخصصون فى علوم القراءات وهمتمون بها اهتماما بالغا ، لأنهم أدركوا أن توجيه القراءات يبرز كثيرا من المعانى التى يمكن أن تدل عليها الفاظ القرآن الكريم ، والا ممام القرطبى من أحد هؤلاء المهتمين والمتخصصين بذلك ، لذا لا تكاد تجد آية من آيات القرآن فى تفسيره الا ويتكلم فيها من ناحية القراءات المشهورة منها والشاذة ، وسنكتفى بالاشارة الى ذلك بمعنى الأمثلة :

وعند قوله تعالى " اياك نعبد و اياك نستعين " ^(١) يقول الامام القرطبى : الجمهور من القراء والعلماء على شه الياء من " اياك " فى الموضعين ، وقرأ عمرو بن فائد " اياك " بكسر الهمزة وتخفيف الياء ، وذلك أنه كره تضعيف الياء لثقلها وكون الكسر قبلها وقال القرطبى : وهذه القراءة مرغوب عنها ، فان المعنى يصير شمسك نعبد أو ضوءك و اياه الشمس (بكسرة الهمزة) ضوءها وقد تفتح وقال :

سقطه اياه الشمس الا لثاته أسف فلم تكدم عليه باشمس

فان اسقطت الهاء مددت ويقال : الاية لاشمس كالمهالة للقمر
وهي الدائرة حولها .

وقرأ الفضل الرقاش " أياك " بفتح الهمزة وهي لغة مشهورة وقسراً
أبو السوار الثنوي : " هياك " في الموضعين ، وهي لقصة
قال :

فهيالك والأمر الذي ان توسعت موارد ضاقت عليك مصادره (١)
وعند قوله تعالى : " ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيين بغير الحق " (٢)

يقول القرطبي : وقرأ نافع " النبيين " بالهمزة حيث وقع في القرآن
الا في موضعين : في سورة الأحزاب : " ان وهبت نفسها للنبي
ان أراد " (٣) و " لا تدخلوا بيوت النبي الا " (٤) فانه قرأ بلا مد ولا همز
وانما ترك همز هذين لاجتماع همزتين مكسورتين ، وترك الهمز فسق
جميع ذلك الباكون .

فأما من همز فهو عنده من أنبأ اذا أخبر ، واسم فاعله منسبي
ويجمع نبياً أنبياء وقد جاء في جمع نبي نبياء ، قال العباس بن
مرداس السلمي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

١- تفسير القرطبي ج ١ ص ١٤٦

٢- البقرة ٦١

٣- الأحزاب ٥٠

٤- الأحزاب ٥٣

ياخاتم النبأ انك مرسل بالحق كل هدى السبيل هداكا
 هذا معنى قراءة الهمزة ، واختلف القائلون بترك الهمزة
 فمضهم من اشتق اشتقاق من همز ، ثم سهل الهمز ، ومنهم من
 قال : هو مشتق من نبا ينهبو اذا ظهر فالنبي من النبوة وهو الارتفاع
 فمنزلة النبي رفيعة ، والنبي بترك الهمزة أيضا الطريق ، فسمى
 الرسول نبيا لا ابتدأ الحق به كالطريق . .
 فالأنبياء لنا كالسبل في الأرض . .^(١)

وعند قوله تعالى : " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
 والمغرب " ^(٢) .

يقول القرطبي : قرأ حمزة وهفص " البر " بالنصب ، لأن " ليس " من
 من أخوات كان يقع بعدها المصرفتان فتجعل أيهما شئت الاسم
 أو الخبر ، فلما وقع بعد " ليس " " البر " نصبه ، وجعل " أن تولوا "
 الاسم وكان المصدر أولى بأن يكون اسما لأنه لا يتنكر والبر قد يتنكر
 والفعل أقوى في التصريف .

وقرأ الباقر " البر " بالرفع على أنه اسم ليس وخبره " أن تولوا "
 تقديره : ليس البر توليتكم وجوهكم ، وعلى الأول ليس توليتكم
 وجوهكم البر كقوله " ما كان حجتهم الا أن قالوا " ^(٣) .

١- تفسير القرطبي ج ١ ص ٤٣١

٢- البقرة ١٧٧

٣- الحاشية ٢٥

ثم كان غاشية الذين أساءوا السواى أن كذبوا ^(١) " فكان عاقبتهمما
أنهما فى النار ^(٢) وما كان مثله .

ثم قال القرطبي : ويقوى قراءة الرفع أن الثانى معه اليا اجماعا
فى قوله " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ^(٣) " ولا يجوز فيسه
الا الرفع فحمل الأول على الثانى أولى من مخالفته له وكذلك هو فى
صحف أبى بالياء " ليس البر بأن تولوا " وكذلك فى صحف ابن
سمود أيضا وعليه أكثر القراء والقراءتان حسنتان ^(٤) .

ونجد الامام القرطبي فى عرضه وتوجيهه للقراءات يظهر ترجيح
بعضها على بعض احيانا كما فى الامثلة الأخيرة هذه ، وحينما
نجده يرد على بعض القراءات كما فى الامثلة الأولى ومن ذلك أيضا
عند قوله تعالى : " يكاد البرق يخطف أبصارهم " يقول القرطبي
يخطف ويخطف لفتان قرى بهما ، وقد خطفه (بالكسر) يخطفه
خطفا ، وهى اللغة الجيدة ، واللغة الأخرى حكاها الاحفش
خطف يخطف ، الجوهر : وهى قليلة رديئة لا تكاد تعرف ، وقد
قرأ بها يونس فى قوله تعالى " يكاد البرق يخطف أبصارهم " وقال

١- الروم ١٠

٢- الحشر ١٧

٣- البقرة ١٨٩

٤- تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٣٨

النحاس في " يخطف " سبعة أوجه ، القراءة الفصيحة : يخطف
 وقرأ علي بن الحسين ويحيى بن وثاب يخطف بكسر الطاء ، قال
 سميده الاحفش : هي لغة ، وقرأ الحسن وقتادة وعاصم الجهمدي
 وأبو رجاء المدائري بفتح اليا وكسر الخاء والطاء ، وروى عن
 الحسن أيضا أنه قرأ بفتح الخاء .

قال الفراء وقرأ بعني اهل المدينة باسكان الخاء وتشديد الطاء
 قال الكسائي والاحفش والقراء ، يجوز " يخطف " بكسر اليا والخاء
 والطاء فهذه ستة أوجه موافقه للخط . والسابعة حكاه عبد الوث
 قال : رأيت في صحف أبي بن كعب " يخطف " وزعم سيبويه والكسائي
 أن من قرأ " يخطف " بكسر الخاء والطاء فالأصل عنده يختطف ، ثم
 أدغم التاء في الطاء فالتقى ساكنان فكسرت الخاء لالتقاء الساكنين
 قال سيبويه : ومن فتح الخاء لالتقى حركة التاء عليها ، وقال
 الكسائي : ومن كسر اليا فلأن الألف في اختطف مكسورة .

ثم قال القرطبي : فأما ما حكاه الفراء عن أهل المدينة من
 اسكان الخاء والادغام فلا يعرف ولا يجوز لأنه جمع بين ساكنين^(١) .

أخيرا تقول : ان القاري لتفسير القرطبي ليجد أن هذا الامام
 الكبير قد استوفى أغلب هذه الشروط التي لا بد منها لمن يتصدي
 لتفسير كتاب الله .

المبحث الثالث

القيمة العلمية لكتب التفسير بالرأى

لقد سبق أن بينا القيمة العلمية لتفسير امام المفسرين الطبري واهتمام العلماء بتفسيره ، كما شككنا عن التفسير الكبير للأمام فخر الدين الرازي وبيننا التزامه بالشروط المطلوبة ، ولوغه في كل فن من فنون الدراسات الاسلامية مبلغ المجتهد .

وصا يبرز قيمة هذين التفسيرين علميا هو ان من جاء بعد هما من المفسرين تأثروا بهما تأثر الطالب بأستاذه ، واستفادوا منهما لذا لا تكاد تجد تفسيراً من هذه التفاسير الا وينقل عنهما .

وقد اثبتنا أقوال علماء المسلمين في هذين التفسيرين الجليلين واستوفينا الكلام في ذلك بما يفنى عن اعادته .

وأما تفسير ابن عطية فقد ذكرنا في أثناء كلامنا عن تفسيره بمعنى ما قاله جهاينة علماء المسلمين مثل أبي حيان ، وابن تيمية وابن خلدون وغيرهم ولقد أبرزوا قيمة هذا التفسير الكبير .

ثم جاء بعد هؤلاء أحد المفسرين بالاندلس وهو الامام محمد بن أحمد بن جزي الكلبى القرناطى ، يبرز لنا القيمة العلمية لتفسير ابن عطية في كلمات موجزة فيقول : " وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التأليف وأعدلها . فإنه اطلع على تأليف من كان قبله

فهذهها ولخصها ، وهو مع ذلك حسن العبارة ، مسدد النظر
 محافظ على السنة^(١) . هذا من أقوال القدماء من المفسرين ، أما
 العلماء المتأخرين فقد تناول بعضهم تفسير ابن عطية بشيء من
 الدراسة والبحث ، فمثلا نجد الشيخ أمين الخولي - في تعليقه
 على مادة (تفسير) في دائرة المعارف الاسلامية يسجل ملاحظاته
 عن هذا التفسير فيقول : " وأما الكتاب الغربي فهو الكتاب الذي
 عرف باسم (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لأبي محمد بن عبد
 الحق بن أبي بكر غالب بن عطية الفرناطى الاندلسى (ت ٥٤١ هـ)
 الذى يقول عنه ابن خلدون في المقدمة " انه لخص فيه كتب التفسير
 كلها - اى تفاسير المنقول ، وتحرى ما هو أقرب الى الصحة منها
 ووضع ذلك فى كتاب متداول بين أهل المغرب والاندلس حسن المنحى
 وهو مخطوط منه بصفة أجزاء فى دار الكتب المصرية ، وفى التيمورية
 رجعت اليها فوجدت من جملة وصفها أنه يعنى بالشواهد الادبيية
 للعبارات ، ويهتم بالصناعة النحوية فى غير اسراف ، ولا يعمى
 بالوقوف مثل عنايته بالقراءات ، ويورد من التفسير المنقول مع الاختصار
 منه فى غير اكثر ، كما ينقل عن الطبرى ومناقش المنقول عنه احيانا^(٢)

-
- ١- التسهيل لملوم التنزيل تحقيق محمد عبد المنعم اليونس وابراهيم
 عداوه عوني ج ١ ص ١٧ - مطبعة حسان بصر .
 - ٢- منهج ابن عداية فى تفسير القرآن الكريم لمبد الوهاب فايد ص ٢٦٧
 انظر دائرة المعارف الاسلامية ج ٥ ص ٣٥٣ .

وأيضا نجده الشيخ محمد الفاضل عاشور التونسي في كتابه
 (التفسير ورجاله) يقصد مقارنة بين الزمخشري وابن عطية ، ثم
 يشرح السر في تسمية تفسير ابن عطية بالمحرر الوجيز ، كما يشرح
 العبارة التي وردت في كشف الظنون وهي : (كتاب ابن عطية انقل
 وأجمع وأخلص ، وكتاب الزمخشري الخص وأغوص)^(١) فيقول الشيخ
 ابن عاشور : " ولذلك فلا بدع أن يوصف تفسير ابن عطية بأنه محرر
 لاسمها وقد دفع الشبه ، وخلص الحقائق ، وحرر ما هو محتاج إلى
 التحرير ، وقد نوه في مقدمته وشاعته عند الناس تسميته " المحرر
 الوجيز " .

وعلى ذلك بنى صاحب كشف الظنون تعريفه به ، وان كان
 مؤلفه لم يشر إلى تسميته ، وهو وجيز بالنسبة إلى التفاسير
 التي سبقته ، أما بالنسبة إلى تفسير الزمخشري فابن عطية
 أطرد نفسا وأكثر جمعا وتفننا ، فهو وجيز باعتبار طريقة عرضه
 المباحث ، لا باعتبار مقدار جملته ، فالزمخشري أقل جمعا
 وان كان أعمق غوصا في تحليل الكلام ، ومن هنا نشأ ذلك الحكم
 المشهور الجني على دقيق المقارنة بين التفسيرين .

وهو ما شاع عند العلماء منذ قرون ، وأورد صاحب كشف

١- انظر كشف الظنون لحاج خليفة ج ٢ ص ١٦١٣ - مطبعة البهية

الظنون مورد القول المأثور والآخر المشهور من أن ابن عطية أجمع وأخلص ، والزمخشري الخص وأغوص^(١) ،

ويرى الدكتور (آرثر جفرى) وهو الذى قام بتحقيق مقدمة ابن عطية ونشرها - ان تفسير ابن عطية له قيمته العلمية ، حيث انه يعتمر أصلاً لكثير ما اشتهر به القرطبي فى كتابه (الجامع لاحكام القرآن) يقول آرثر جفرى : " وقد صنف - اى ابن عطية - تفسيره المسمى (الجامع المحرر الصحيح الوجيز فى تفسير القرآن المزيـز) فى الأندلس وصدده بمقدمة فى علوم القرآن وكان تفسيره هذا كما هو معلوم أصلاً لكثير ما اشتهر به القرطبي فى كتابه (الجامع لاحكام القرآن) الذى طبع فى مصر عشرين مجلد سنة ١٩٣٣م - ١٩٥٠م . هذا نفسه دليل دافع على الاهمية العظمى التى لهذا المؤلف وعلى ضرورة نشر رسالته هذه .^(٢)

والجملة فان تفسير ابن عطية تفسير له قيمته العلمية ومكانته العظيمة فى عالم التفسير . ولا هم العلماء - عبر العصور التاريخية قد أظهروا محاسنه وكشفوا عن مزاياه وسجل كل واحد منهم ما لاحظته فى هذا التفسير ورآه .^(٣)

-
- ١- التفسير ورجاله ص ٦٣ - ٦٤
 - ٢- مقدمتان فى علوم القرآن ص ٤٤ - مطبعة دار الصاوى بصر سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
 - ٣- انظر منهج ابن عطية فى تفسير القرآن الكريم لمبد الوهاب فايد ص ٢٦٣ وما بعد ها .

وأما تفسير القرطبي هو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا
وقد أثنى المؤرخون والعلماء على تفسيره وأبرزوا قيمته العلمية
فقال الذهبي في تاريخ الاسلام: " وقد سارت بتفسيره - اى بتفسير
القرطبي - العظيم الشأن الركبان ، وهو كامل فى معناه .

وقال ابن فرحون وهو يتحدث عن مؤلفاته ، جمع القرطبي
فى تفسير القرآن كتابا كبيرا . . . ، وهو من أجل التفاسير وأعظمها
نفعا وكذلك قال الداودى فى طبقاته .^(٢)

وقال الصمد فى شذرات الذهب : ان تفسير القرطبي يحكى
مذاهب السلف كلها وان فوائده كثيرة .^(٣)

وأوضح ابن خلدون فى مقدمته أن تفسير القرطبي له شهرة
عريضة بالمشرق .^(٤)

ومن مميزات هذا التفسير الكبير - كما قلنا سابقا - أنه يخرج
الاحاديث ويمزوها الى من رواها من الأئمة غالبا ، كما أنه صان
كتابه عن الاكثار من ذكر الاسرائيليات والاحاديث الموضوعية ، كما
أنه اذا ذكر بعض الاسرائيليات والموضوعات مما يخل بعصمة الملائكة

١- أنظر لفتح الطيب ج ٢ ص ٤١٠

٢- انظر طبقات المفسرين للداودى ج ٢ ص ٦٦

٣- شذرات الذهب للصمد ج ٥ ص ٣٣٥

٤- مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٢

والانبياء أو يخل بالاعتقاد فانه يكر عليها بالابطال او يبين أنهم
 ضعيفة وذلك كما فعل في قصة هاروت وماروت عند قوله تعالى :
 " واتبعوا ما تثلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن
 الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملئكتين بتأويل
 هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا
 تكفروا . . . الآية ^(١) .

وقد ذكر القرطبي ماروي عن علي وابن مسعود وابن عباس
 ما معناه : أنه لما كثر الفساد من أولاد آدم عليه السلام - وذلك في
 زمن ادريس عليه السلام - عبرتهم الملائكة ، فقال الله تعالى :
 اما انكم لو كنتم مكانهم وركبت فيكم ماركت فيهم لعلمتم مثل أعمالهم
 فقالوا : سبحانك ما كان ينبغي لنا ذلك قال : فاختروا ملكين من
 خياركم ، فاختروا هاروت وماروت ، فانزلهما الى الارض فركب
 فيهما الشهوة فما مربهما شهر حتى فتنا بامرأة اسمها . . . الزهرة
 اختصمت اليهما وراوداهما عن نفسها فأبت الا أن يدخلها في دينها
 ويشربا الخمر ويقتلا النفس التي حرم الله ، فأجاباهما وشربا الخمر
 وألما بها ، فرآهما رجل فقتلاه وسألتهما عن الاسم الذي يصعدان
 به الى السماء فعلماهما فتكلمت به فصرجت فمسخت كوكبا .

وقال سالم عن أبيه عن عبد الله : فحدثني كعب الجبر أنهما
لم يستكملتا يومهما حتى عطا بما حرم الله عليهما ، وفي غير هذا
الحديث فخيروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترتا عذاب الدنيا
فهما يعذبان ببابل في سرب من الارض ، قيل : بابل العراق ، وقيل
بابل نهاوند ، وكان ابن عمر فيما يروى عن عطاء أنه كان اذا رأى الزهرة
وسهيلا سبهما وشتمهما ، ويقول : ان سهيلا كان عشارا باليمن
يظلم الناس ، وان الزهرة كانت صاحبة هاروت وماروت " وبعد سرد
هذه الاحاديث عقب الامام القرطبي بقوله : قلت : هذا كله ضعيف
وهي عن ابن عمر وغيره ، لا يصح منه شيء ، فانه قول تدفعه الأصول
في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه ، وسفراؤه الى رسله
" لا يعصون الله ما أمرهم وينفلون مايو مرون " (١) بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " (٢) يسبحون الليل والنهار
لا يفترون " (٣) .

واما العقل فلا ينكر وقوع المعصية من الملائكة ويوجد منهم
خلاف ما كفوه ، ويخلق فيهم الشهوات ، اذ في قدرة الله تعالى
كل موهوم ومن هذا خوف الأنبياء والأولياء الفضلاء العلماء ، ولكن
وقوع هذا الجائز لا يدرك الا بالسمع ولم يصح ، وما يدل على عدم

١- التحريم ٦

٢- الانبياء ٢٧

الانبياء ٢٠

ضحته ان الله تعالى خلق النجوم وهذه الكواكب حين خلق السما
ففى الخبر " ان السماء لما خلقت خلق فيها سبعة دارة زحل والمشتري
وسهرام وعطارد والزهرة والشمس والقمر .

وهذا معنى قول الله تعالى : " وكل فى فلك يسبحون " (١)
فثبت بهذا أن الزهرة وسهिला قد كانا قبل خلق آدم ، ثم أن قول
الملائكة ما كان ينبى لنا " عورة : لا تقدر على فتننا ، وهذا كسر
نعوذ بالله منه ومن نسبته الى الملائكة الكرام صلوات الله عليهم أجمعين
وقد نزهناهم وهم المنزهون عن كل ما ذكره ونقله المفسرون ، سبحان
ربك رب العزة عما يصفون . (٢)

وكذلك يرد على ما روجته القصص وهواة الاسرائيليات حول
قصة داود وسليمان وقصة الغرانيق ، وقصة زواج النبى صلى الله عليه
وسلم بالسيدة زينب بنت جحش .

وقد ينبه أيضا على بعض الموضوعات فى اسباب النزول وذلك
مثل ما رواه القصص وأمثالهم فى سبب نزول قوله تعالى " ويطمعون
الطعام على حبه مسكينا ویتيما وأسيرا . . " (٣) الآية .

١- يس . ٤٠

٢- تفسير القرطبي ج ٢ ص ٥١ - ٥٢

٣- انظر تفسير القرطبي ج ١٩ ص

أذا كان تفسيرا القرطبي له تلك المكانة والشهرة فلا عجب أن يتأثر
المفسرون الكبار الذين جاءوا بعده بكتابه فينتفموا به ويفيدوا منته
مثل الحافظ ابن كثير وغيره من المفسرين .
رحم الله أبا ما القرطبي وجزاه الله عن الإسلام والصلين خير
الجزء .

نقد من تفسيرات المذاهب المنحرفة:

وهذه الشروط التي التزم بها المفسرون الأفاضل وفسروا كتاب الله تعالى على ضوءها هي الطريقة الصحيحة لتفسير كتاب الله تعالى .

فإذا كان من يتمرض لتفسير كتاب الله على علم بهذه الشروط والتزم بها فقد استأهل أن يفسر القرآن الكريم باجتهاده .

وأما ما تعود عليه أصحاب المذاهب الضالة بالتلاعب بألفاظ القرآن وآياته بتأويلاتهم المنكرة فليس من التفسير في شيء ، وذلك مثل تفاسير الشيعة والمعتزلة والروافض وبعض المتصوفة ، والمحددين فقد الحدوا في آيات الله وخرفوا الكلم عن مواضعه ، وخالفوا القواعد اللغوية والشريعة وافتروا على الله ما لم يرد من كتابه ، إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله (١) ومن تلك التفاسير المنحرفة .

قول بعض الباطنية (٢) عند قوله تعالى " وورث سليمان داود " أن الامام عليا ورث النبي في علمه ، ويقولون : الكعبة هي النبي والباب هو علي الى غير ذلك من أباطيلهم .

١- النحل ١٠٥

٢- الباطنية : فرقة من الفرق الضالة ، قالوا للقرآن ظاهر وباطن والمراد منه باطنه دون ظاهره ، ونسبة الباطن الى الظاهر كسبب السبب الى القشر .

ومن تفسيرات الباطنية أيضا قولهم في قوله تعالى " مرج البحرين يلتقيان " ان المراد بهما علي وفاطمة وقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ان المراد الحسن والحسين وقولهم في قوله تعالى " ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة " هي عائشة التي غير ذلك من تحريفاتهم للنصوص القرآنية .

ومن تفسيرات الملحكة قولهم في قوله تعالى حكاية عن قول الخليل ابراهيم عليه السلام " ولكن ليطمئن قلبي " أنه كان له صديق وصفه بأنه قلبه وفي قوله تعالى " ربنا ولا تحمنا ما لا طاقة لنا به " انه الحسب والعشق التي غير ذلك من خرافاتهم . (١)

وهذه أمثلة باطلة المعنى لا أصل لها في الاجتهاد ، ولا حقيقة لها في الاستنباط فكيف حصل عليها من فسرهما ؟ ومن أين جاء بها وعلام استند سوى اعتماده على هواه الضال ورأيه الفاسد ؟ وأين هو الملم الذي اعتمدوا عليه حتى يخرجوا هذا التفسير الباطل في أصله وحقيقته ؟

١- انظر هذه التفاسير الغريبة في الاتقان لسيوطي ج ٢ ص ١٨٦ ،
ومناهل العرفان ج ١ ص ٤٤٤ وما بعدها . والتفسير والمفسرون للذهبي
ج ٢ ص ١٢ وما بعدها .

والاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبه ص ١٠٨ - ١١٠

ومن هذه التفاسير الباطلة - في هذا العصر - تفاسير القاديانية^(١)
 اسمع أيها القارئ مايقوله المفسر القادياني عند قوله تعالى " انسى
 اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله" (٢)
 يقول : ان المراد بالطير هنا - على طريق الاستعارة - رجال
 يستطيعون أن يرفصوا من الأرض وما يتصل بها من أشياء وأخلاق
 ويطيروا الى الله فان الانسان يستطيع بنفخ النبي أن يتجرد من
 الأفكار البشرية الساقلة ويحلق في عالم الروح (٣)

١- هم اتباع المرزا غلام أحمد القادياني الملقب بالسندي
 زعم أنه نبي ومهدي المنتظر كما زعم أنه هو المذكور في القرآن عند
 قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم عليه السلام " وان قال عيسى ابن
 مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم صدقا لما بين يدي من
 التوراة وبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد . . الآية "

سورة الصف ٦

٢- آل عمران ٤٩

٣- القادياني والقاديانية لأبي الحسن علي الحسيني الندوي ص ١٥١

ظ ٣ سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م الدار السعودية للنشر .

وعند قوله تعالى " قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً " (١)
يقول لقد كان عيسى ابن ثلاثين سنة في ذلك الحين فاعتذروا وقالوا
لقد ولد ونشأ بأعيننا وسمأى وسمع منا ، وكل شاب صغير أمام
الشيخ الكبار لأنه ينشأ في أحضانهم ويكبر أمامهم .

وعند قوله تعالى : " فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته
الا دابة الأرض تأكل منسأته " قال : المراد بدابة الأرض هو رهبهم
ابن سليمان الذي تولى الملك بعده وفي عهده تضرعت الملكة
السليمانية .

واضطرب قلبها وقد سمي بدابة الأرض لأنه كان قاصر النظر
لا يجاوز نظره الأرض ، وتنخر العصا كناية عن ههف الحكومة وانقراضها
والمراد بالجن شحوب أجنبية بقيت في حكم بني اسرائيل الى ذلك
المهد .

وعند قوله تعالى " وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدى أم كان
من الغائبين " قال : المراد بالهدى انسان كان يسمى الهدى
وكان رئيس البوليس السرى في حكومة سليمان وقد جرت العادة بتسمية
الرجال بالحيوانات والطيور كأسد وغيره في اللغة العربية .

وعند قوله تعالى : " واذا صرفنا اليك نفرًا من الجن يستمسون

القرآن " (١)

قال : طائفة من البشر اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
فى الخفاء وليس المراد به نفوس لا يقع عليها البصر ، وقد جاءوا من
الخارج وكانوا اُجانب وغزبا ، ولذلك سماوا جنبا (١)

ونقتصر على هذه الخرافات التى تدل على عقلية صاحبها
وليست القادية بدعا فى الدنيا الكذابين الذين ليس لهم الا طمس
الحقائق وتشويه الحقائق امانا فى خدمة اسيادهم المستعمرين
من اليهود والدائرين فى فلكتهم .

وهذه التأويلات الفاسدة من أشد وأنكل ما يصاب به الاسلام
والمسلمون لأنها تؤدى الى نقض بناء الشريعة حجرا حجرا ، والى
الخروج من ربة الاسلام وحل عراه عروة عروة ، ولأنها تجعل القرآن
فوضى فاحشة يقال فيه ماشاء الهوى أن يقال . كأنه لغو من الكلام
أو كلامهاج للبهائم والأنعام ، وأخيرا ينفرط عقد المسلمين ، ويكون
بأسهم بينهم من جراء هذا الصمت بتلك الضوابط الدينية الكبرى والحفاظ
الادبية العظمى ، ومادام لكل واحد ان يفهم من القرآن ماشاء له
الهوى والشهوة دون اعتصام بالشريعة ولا التزام لقواعد اللغة ، لم
يمد القرآن قرآنا وانما هو الهوى والشهوة فحسب يريدون ليطفئوا نور
الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وسلم

الخامسة

خاتمة

لقد طوفنا انحاء البحث وناقشنا فيه كافة وجوه النظر في المسائل الهامة المتعلقة به ، وأهدينا رأينا فيها مدعوما بالدليل النير الواضح ولتمام الفائدة نرى عرض ما توصلنا اليه من النتائج ملخصا فيما

ياتي :

أولا : ان بيان القرآن وتفسيره هو مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم الاساسية بمد تبليغه الا أنه عليه الصلاة والسلام لم يفسر جميع معاني القرآن افرادا وتركيبا ، بل بين لأصحابه بعض ما اشكل عليهم فهمه ، وما يحتاجون اليه في ذلك الوقت .

ثانيا : ان الصحابة رضى الله عنهم - كانوا يمارسون مهمة البيان والتفسير بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم استنادا الى ما تعلموه منه ولمعاصرتهم نزول القرآن ، واطلاعهم على الملابسات التي احاطت بأسباب النزول ، لذلك كان لما يروى عن الصحابة في هذا المجال أهمية بالغة ، فلا ينبغي للمفسر أن يتفاضل عنده اذا اراد أن يسلم تفسيره من الزلل .

ثالثا : ان التفسير بالرأى والاجتهاد نشأ منذ عهد الصحابة - رضى الله عنهم وكانوا يجتهدون في تفسير آية بأرائهم واجتهادهم اذا لم يجدوا تفسيرها عن النبي صلى الله عليه وسلم لما فهموه

من قوله تعالى " كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته
وليتذكروا ولو الالهاب ، فتدبر القرآن متوقف على فهمه
ولا نستطيع ان نفهم الآيات التي لم يرد في شرحها أشرا
وحديث الا بأن نجتهد في تفسيرها ضمن القواعد
الشرعية .

رابعاً : ان التفسير بالمأثور ليس كله صحيحاً ، فهو يحتاج الى
تمحيص حتى تميز فيه بين الفث والسمين والمقبول والمردود
اذ بعد القيام بهذه العملية يمكن الاستغناء عن الموضوعات
والاسرائيليات بعد تخلية كتب التفسير منها ، وهذه خدمة
للاسلا م جليلة ، ومنفعة للمسلمين عظيمة ، علما بأن
بعض العلماء بذلوا جهوداً مضية في تخريج الكثير من
الروايات وابرار حكمها من صحة او ضعف او وضع فجـزاهم
الله خيراً .

خامساً : جواز التفسير بالرأى والاجتهاد الذى يبنى على الشروط
المذكورة ، لأن التفسير بالمأثور وحده لا يكفى لفهم القرآن
الكريم لاسيما وقد اعترى هذا المأثور كثير من الدس والوضع
فجواز التفسير بالرأى والاجتهاد ضرورة لا بد منها لتدبر
القرآن وتفهمه والوقوف على معانيه ، و مراد الله فى آياته
لاسيما ونحن فى عصر تكاثرت فيه المعلوم والمعارف .

وقهاينت العقائد ، علما بأن هذا النوع من التفسير منه
المدح ومنه المذموم فالمدح هو ما كان جاريا على
قواعد الشرع ، ولسان العرب ولغتهم ، وقد التزم
ذلك أكثر المفسرين بالرأى والاجتهاد الذين شملهم
بحثى هذا .

سادسا : اثناء البحث اطلعت على غرائب فى التفسير المشتطية
على أشنع الآراء واشنع الافكار ، لأنها تهدم الدين بالكلمة
وهى خطر على الأمة الاسلامية التى يحيط بها اعداؤها
من كل جانب يشوشون على ابناءها بهذه الافكار السامة
الخطيرة ، فهى صناعة مقصودة من اعداء الله لهدم الدين
وافساد الأمة .

هذا وانى وقد أوجزت النتائج التى توصلت اليها من خلال
بحثى ، فاننى لا استطيع أن أزعم أننى قد أتيت بما لم يأت به الأوائىل
أو أننى قيدت كل شاردة ، وأسكت بكل واردة فان الاحاطة بمدلولات
كلام الله تعالى أمر فوق طوق البشر ، فحسبى فى هذا أننى بحثت
واستقصيت ، وتبعت محاولا الوصول الى نتائج مرضية ، فان أنا وفقت
فذلك من الله سبحانه وتعالى ، وان حصل تقصير فمنى ومن الشيطان
سائلا المولى عز وجل ان يلهمنى الصواب والحكمة ويجنبنى الخطأ
سوا^ه ويهدىنى السبيل صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم .
والحمد لله رب العالمين .

ثبت المصادر

قائمة المراجع حسب ترتيب حروف الهجاء

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الاحكام للأمدى طبع سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م مطبعة المعارف بمصر
- ٣- الاسنوى على المنهاج مطبعة التوفيق الادبية .
- ٤- الاشباه والنظائر فى القرآن لمقاتل بن سليمان تحقيق الدكتور عبد الله محمود شحاته طبع سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م مطبعة دار الكتب والوثائق القومية .
- ٥- الاعلام لخير الدين الزركشى المطبعة الثانية سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م مطبعة كوستا توماسى .
- ٦- الاتقان فى علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم طبع سنة ١٩٧٥ م مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٧- الاجتهاد للسيد محمد موسى مطبعة المدني بمصر
- ٨- احياء علوم الدين للفرزالي طبع سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر .
- ٩- ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني المطبعة الاولى سنة ١٤٥٦ هـ - ١٩٣٧ م مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر .
- ١٠- الاسرائيليات وأثرها فى كتب التفسير للدكتور رمزي نعمانة الطبعه الاولى سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م القلم دمشق .

- ١١ - الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبي شهبه
 طبع سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م الهيئة العامة لشئون المطابع
 الاميرية القاهرة .
- ١٢ - الاسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت الطبعة الرابعة سنسنة
 ١٩٦٨م دار الشروق القاهرة .
- ١٣ - الاصابة في تمييز الصحابة دار نهضة مصر للطبع والنشر .
- ١٤ - اعجاز القرآن للباقلاني تحقيق السيد أحمد صقر الطهيمية
 الرابعة دار المعارف .
- ١٥ - اعلام الموقمين لابن قيم الجوزية تحقيق عبد الرحمن الوكيل
 مطبعة المدني بصر .
- ١٦ - أصول التفسير لكتاب الله العزيز لخالد عبد الرحمن .
- ١٧ - أصول السرخسي تحقيق أبي الوفا الافغاني دار المعرفسة
 للطباعة والنشر بيروت - لبنان .
- ١٨ - البحر المحيط لابي حيان طبع سنة ١٣٢٨هـ .
- ١٩ - بداية والنهاية لابن كثير الطبعة الاولى سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م
 مطبعة السعادة بصر .
- ٢٠ - بداية المجتهد لابن رشد الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م
 مطبعة مصطفى البابي الحلبي بصر .
- ٢١ - البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن للزطكاني الطبعة الاولى سنسنة
 ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م مطبعة العاني بغداد .

- ٢٢ - الزهان في علوم القرآن للركشي تحقيق محمد ابي الفضل
ابراهيم مطبعة عيسى الهابي الحلبي بطنز .
- ٢٣ - بصائر نوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي . مطبعة
شركة الاعلانات الشرقية .
- ٢٤ - بغية الرعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي الطبعة الاولى
سنة ١٣٢٦ هـ مطبعة السعادة بصر .
- ٢٥ - تأويل مختلف الحديث لابن قتبية الطبعة الاولى سنة ١٣٢٦ هـ .
- ٢٦ - تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي الطبعة الاولى سنة ١٣٠٦
مطبعة الخيرية .
- ٢٧ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي الطبعة الاولى سنة ١٣٤٩ هـ
١٩٣١ م مطبعة السعادة بصر .
- ٢٨ - التاريخ الكبير للامام البخاري الطبعة الاولى سنة ١٣٦٣ هـ مطبعة
جمعية دائرة المعارف العثمانية بالهند .
- ٢٩ - تاريخ المذاهب الاسلحية لمحمد ابي زهرة دار الثقافة العربية
للطباعة . بصر .
- ٣٠ - التبيان في علوم القرآن لمحمد علي الصابوني الطبعة الاولى سنة
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م دار الارشاد للطباعة والنشر بيروت - لبنان
- ٣١ - التجسيم عند المسلمين لسهير محمد مختار طبع سنة ١٩٧١ م شركة
الاسكندرية للطباعة والنشر .
- ٣٢ - تحفة الاحوي بشرح جامع الترمذي الطبعة الثانية سنة ١٣٨٧ هـ
١٩٦٧ م مطبعة الفجالة الجديدة بصر .

- ٣٣ - تذكرة الحفاظ للذهبي دار احياء التراث العربى بيروت .
- ٣٤ - ترتيب القاموس المحيط للطاهر أحمد الزاوى الطبعة الثانية
مطبعة عيسى البابى الحلبي بصر .
- ٣٥ - التسهيل لعلوم التنزيل لابن جري تحقيق عبد المنعم اليونيس
مطبعة حسان بصر .
- ٣٦ - التعبير الفنى فى القرآن للدكتور بكرى شيخ أمين الطبعة الاولى
سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م دار الشروق .
- ٣٧ - تفسير أبى السمود طبع سنة ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م دار المصور
للطبع والنشر .
- ٣٨ - تفسير ابن كثير دار احياء الكتب العربية .
- ٣٩ - تفسير البهوى على هامش تفسير ابن كثير طبع سنة ١٣٤٧ هـ مطبعة
المنار بصر .
- ٤٠ - تفسير الطبرى تحقيق محمود محمد شاكر دار المعارف بصر .
- ٤١ - تفسير القرطبي الطبعة الثالثة دار الكتب المصرية .
- ٤٢ - تفسير مجاهد لعبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتى الطبعة
الاولى سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م مطبعة الدوحة الحديثة .
- ٤٣ - تفسير مقاتل بن سليمان مخطوط فى اربعة مجلدات ضخام
تحقيق الدكتور عبد الله محمود شحاته دار العلوم القاهرة .
- ٤٤ - تفسير المنازل للرشيد رضا الطبعة الثالثة دار المعرفة للطباعة
والنشر بيروت - لبنان .

- ٤٥ - التفسير ورجاله لابن عاشور الطبعة الاولى دار الكتب الشرقية
بتونس .
- ٤٦ - التفسير والمفسرون للذهبي الطبعة الثانية سنة ١٣٩٦ هـ -
١٩٧٦ م مطبعة السعادة .
- ٤٧ - التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الاسلامية للدكتور محمد
بسيوني فودة طبع سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م مطبعة الامانة
بمصر .
- ٤٨ - تهذيب التهذيب لابن حجر الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥ هـ -
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند .
- ٤٩ - تهذيب الكمال في لسماة الرجال للحافظ العزى مخطوط في مكتبة
الجامعة الاسلامية .
- ٥٠ - تفسير التحرير طبع سنة ١٣٥١ هـ مطبعة مصطفى الهابي الحلبي
بمصر .
- ٥١ - جمع الجوامع لابن السبكي مطبعة دار احياء الكتب العربية .
- ٥٢ - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر الطبعة الثانية سنة
١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م مطبعة العاصمة بالقاهرة
- ٥٣ - الحسن البصري للدكتور مصطفى سيد بيومى .
- ٥٤ - حياة الصحابة لمحمد يوسف الكانوهلوى الطبعة الاولى سنة
١٩٧٤ - ١٣٩٤ هـ .
- ٥٥ - دائرة المعارف الاسلامية ترجمة محمد ثابت الغندى وأحمد
الشتغاوى وابراهيم زكى خورشيد .

- ٥٦ - دائرة المعارف للبهستانى طبع سنة ١٨٨٣ م مطبعة المعارف - بيروت - لبنان .
- ٥٧ - دراسات القرآن للدكتور السيد أحمد خليل دار المعارف بمصر
- ٥٨ - دقائق التفسير لابن تيمية تحقيق الدكتور محمد الصيد الجليند الطبعة الاولى سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م مطبعة التقدم بالقاهرة .
- ٥٩ - الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحسون الطبعة الاولى سنة ١٣٥١ هـ .
- ٦٠ - الرأى عند الامام أحمد بن حنبل لعثمان ابراهيم الرشيد مخطوط . بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .
- ٦١ - الرازى من خلال تفسيره لعبد العزيز المجدوب .
- ٦٢ - رجال الفكر والدعوة فى الاسلام لابي الحسن الندوى الطبعة الثالثة دار القلم بالكويت .
- ٦٣ - الرسالة للامام الشافعى تحقيق أحمد محمد شاکر الطبعة الاولى سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٤٠ م مطبعة مصطفى الهابى الحلوى بمصر
- ٦٤ - روح المعانى للأكوسى المطبعة المنيرية بمصر .
- ٦٥ - سير النبلاء للذهبي طبع سنة ١٩٥٧ م دار المعارف بمصر .
- ٦٦ - السيرة النبوية لابن هشام مطبعة الحاج عبد السلام محمد بن شقران .
- ٦٧ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد طبع سنة ١٣٥٠ هـ مكتبة القدس بالقاهرة .

- ٦٨ - شرح الهدخشي مطبعة محاسن علي صبيح بصر .
- ٦٩ - الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار طبع سنة
١٣٧٧ هـ مطبعة دار الكتاب العربي بصر .
- ٧٠ - صحيح البخاري الطبعة الاخيرة سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م مطبعة
مصطفى الهادي الحلبي بصر .
- ٧١ - صحيح مسلم مطبعة محمد علي صبيح بصر .
- ٧٢ - ضياء التأويل في معاني التنزيل لابن فودي طبع سنة ١٣٨٠ هـ
١٣٦١ هـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
- ٧٣ - طبقات ابن سعد دار التحرير للطبع والنشر .
- ٧٤ - طبقات الشافعية الكبرى للسبكي الطبعة الاولى مطبعة الحسينية
بصر .
- ٧٥ - طبقات القراء لابن الجزر تحقيق ج برجستراسر مكتبة الحانجي
بالقاهرة
- ٧٦ - طبقات المفسرين للداودي الطبعة الاولى سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
مطبعة الاستقلال الكبرى .
- ٧٧ - طبقات المفسرين للسيوطي تحقيق علي محمد عمر الطبعة الاولى
سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م مطبعة الحضارة العربية الفجالة .
- ٧٨ - عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي اصيبعة تحقيق الدكتور
نزار رضا طبع سنة ١٩٦٥ م دار مكتبة الحياة بيروت - لبنان .
- ٧٩ - عون المعبود شرح سنن أبي داود تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان
الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

- ٨٠ - غرائب القرآن وغرائب الفرقان للنيسابورى تحقيق ابراهيم
عطوه عوض الطبعة الاولى سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م مطبعة
مصطفى البابى الحلبي بصر .
- ٨١ - فتح البارى شرح صحيح البخارى طبع سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م
مطبعة مصطفى البابى الحلبي بصر .
- ٨٢ - فقه السيرة لمحمد الغزالي طبع سنة ١٩٦٥م دار الكتب الحديثة
بالقاهرة .
- ٨٣ - الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي طبع سنة ١٣٩٥هـ - ٧٥م
٨٤ - الفهرس، لابن النديم مكتبة خياط بيروت - لبنان .
- ٨٥ - القاديانى والقاديانية لابي الحسن الندوى الطبعة الثالثة
سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م دار السعودية للنشر .
- ٨٦ - القاموس المحيط للفيروز آبادى المؤسسة العربية للطباعة
والنشر - بيروت - لبنان .
- ٨٧ - القرآن واعجازه العلمى لمحمد اسماعيل ابراهيم دار الفكر
المريى .
- ٨٨ - القرطبي ومنهجه فى التفسير للدكتور القصبى محمد زلسط
طبع سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م مطبعة التقدم .
- ٨٩ - الكامل فى التاريخ لابن الاثير طبع سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م
دار صادر للطباعة والنشر بيروت - لبنان .
- ٩٠ - كتاب الجرح والتمديد لابن أبى حاتم الرازى الطبعة الاولى
سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
بالهند .

- ٩١ - كتاب المجروحين لابن حبان الطبعة الاولى سنة ١٣٩٠ هـ -
 ١٩٧٠م المطبعة العزيزية حيدرآباد الهند .
- ٩٢ - كتاب الوافي بالوفيات للصدى الطبعة الثانية سنة ١٣٨١ هـ -
 ١٩٦١م دار النشر فرانزشتايز بقيسبان .
- ٩٣ - كشف الاسرار عن أصول فخر الاسلام للمزدوى طبع سنة
 ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م دار الكتاب العربي بيروت - لبنان .
- ٩٤ - كشف الظنون لحاج خليفة طبع سنة ١٩٤٣م - ١٣٦٢ هـ مطبعة
 المهية .
- ٩٥ - لباب النقول في أسباب النزول للسيوطى الطبعة الاولى
 مطبعة مصطفى الباهى الحلبي بصر .
- ٩٦ - لسنن العرب لابن منظور الدار المصرية للتأليف والترجمة
 ٩٧ - لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير لمحمد الصباغ
 طبع سنة ١٣٩٤ هـ - بيروت المكتب الاسلامي .
- ٩٨ - ماهي القاديانية لاهي الاعلى المودودي طبع سنة ١٣٨٩ هـ -
 ١٩٦٩م دار القلم الكويت .
- ٩٩ - مجموع فتاوى ابن تيمية الطبعة الاولى سنة ١٣٨١ هـ مطابع
 الرياض .
- ١٠٠ - معاسن التأويل المعروف بتفسير القاسمي الطبعة الاولى سنة
 ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨م دار احياء الكتب العربية بصر .
- ١٠١ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية تحقيق
 المجلس العلمي بفاس طبع سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

- ١٠٢ - المحلى لابن حزم المكتبة البخارى للطباعة والنشر بيروت .
- ١٠٣ - المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد أبى شهبة
الطبعة الثانية .
- ١٠٤ - سند أحمد المكتب الاسلامى للطباعة والنشر بيروت .
- ١٠٥ - مصادر التشريع الاسلامى فيما لا نص فيه لعبد الوهاب خلاف
الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م دار القلم للطباعة
والنشر بالكويت .
- ١٠٦ - المعجزة الكبرى لمحمد أبى زهرة دار الفكر العربى .
- ١٠٧ - معجم الادباء للياقوت الحموى الطبعة الاخيرة مطبعة مصطفى
عيسى البابى الحلبي بمصر .
- ١٠٨ - معجم البلدان للياقوت الطبعة الاولى سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م
- ١٠٩ - معجم مقاييس اللغة لآبى الحسين أحمد بن فارس زكريا تحقيق
عبد السلام محمد هارون الطبعة الاولى سنة ١٣٦٦ هـ - دار
احياء الكتب العربية بمصر .
- ١١٠ - المعارف لابن قتيبة تحقيق ثروت عكاشة طبع سنة ١٩٦٠ م مطبعة
دار الكتب .
- ١١١ - مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى الطبعة الاولى سنة ١٣٥٣ هـ
١٩٣٤ م المطبعة البهية المصرية .
- ١١٢ - المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى تحقيق محمد سيد
كيلانى الطبعة الاخيرة .

- ١١٣ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للامام أبى الحسن الاشعري
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد الطبعة الثانية سنة
١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- ١١٤ - مقدمة ابن خلدون .
- ١١٥ - مقدمة اصول التفسير لابن تيمية تحقيق الدكتور عدنان زرزور
طبعة دار القرآن بالكويت .
- ١١٦ - مقدمة التفسير للراغب الاصفهاني الطهوق لكتاب تنزيه القرآن عن
المطاعن للقاضي عبد الجبار طبع سنة ١٣٢٩هـ المكتبة
الازهرية بالقاهرة .
- ١١٧ - مقدمتان في علوم القرآن لأثر جفرى الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ
١٩٧٢م مطبعة دار الانصار بصر .
- ١١٨ - الطل والنحل للشهرستاني الطبعة الاولى سنة ١٣٦٨هـ -
١٩٤٨م مطبعة حجازى بالقاهرة .
- ١١٩ - المناهج الاصولية في الاجتهاد بالرأى في التشريع الاسلامى
لفتح الدين الطبعة الاولى سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م دار
الرشيد دمشق - سوريا .
- ١٢٠ - منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب
فايد طبع سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م الهيئة العامة لشئون
الطابع الاميرية - بصر .
- ١٢١ - مناهل المرفان للزرقانى دار احياء الكتب العربية .

- ١٢٢ - الموافقات للشاطبي مطبعة المدنى بالقاهرة .
- ١٢٣ - ميزان الاعتدال للذهبي الطبعة الاولى سنة ١٣٨٢ هـ -
١٩٦٣ م دار احياء الكتب العربية .
- ١٢٤ - نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن للدكتور السيد أحمد
خليل الطبعة الاولى سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م الوكالات
الشرقية للثقافة بالاسكندرية .
- ١٢٥ - نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمقرئ تحقيق محمد
محي الدين عبد الحميد الطبعة الاولى سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٩ م
مطبعة السعادة بمصر .
- ١٢٦ - النهاية لابن الاثير الطبعة الاولى سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م
دار احياء الكتب العربية .
- ١٢٧ - هدية المعارفين لاسماعيل محمد بن سليم البغدادي طبع
سنة ١٩٥٥ م مطبعة البهية استانبول .
- ١٢٨ - وفيات الاعيان لابن خلكان تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
الطبعة الاولى سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م مطبعة السعادة
بمصر .

محتوى الرسالة

محتويات الرسالة

~~~~~

| الصفحة | الموضوع                                                   |
|--------|-----------------------------------------------------------|
| ~~~~~  | ~~~~~                                                     |
| ١      | شكر وتقدير .....                                          |
| ٢      | مقدمة .....                                               |
| ٢      | سبب اختيار الموضوع .....                                  |
| ٤      | خطبة البحث .....                                          |
| ٧      | تمهيد .....                                               |
| ٧      | تعريف التفسير لغة واصطلاحاً .....                         |
| ١٢     | الفرق بين التفسير والتأويل .....                          |
| ١٨     | الكتاب الاول .....                                        |
|        | تفسير القرآن الكريم من عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى   |
| ١٨     | عهد التابعين .....                                        |
| ١٨     | البحث الاول .....                                         |
|        | هل فسر النبي صلى الله عليه وسلم جميع معاني القرآن لاصحابه |
|        | ادلة من قال بأن النبي صلى الله عليه وسلم فسر جميع معاني   |
| ١٩     | القرآن الكريم .....                                       |
|        | ادلة من قال بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفسر جميع     |
| ٢١     | معاني القرآن الكريم .....                                 |
| ٢٢     | مناقشة هذه الادلة .....                                   |
| ٢٢     | مناقشة ادلة الفريق الاول .....                            |

| الصفحة | الموضوع                                                |
|--------|--------------------------------------------------------|
| ٢٢     | مناقشة أدلة الفريق الثاني . . . . .                    |
| ٢٥     | رأينا في هذا الموضوع . . . . .                         |
| ٣٠     | بعض تفسير الآيات الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم   |
| ٣٣     | المبحث الثاني . . . . .<br>~~~~~                       |
| ٣٣     | جهود الصحابة في التفسير : صدرها ومداهها . . .          |
| ٣٨     | المشهورون من الصحابة في التفسير . . . . .              |
| ٤٦     | نماذج من تفسير الصحابة . . . . .                       |
| ٥٢     | قيمة تفسير الصحابة . . . . .                           |
| ٥٥     | المبحث الثالث . . . . .<br>~~~~~                       |
| ٥٥     | جهود التابعين في التفسير إلى منتصف القرن الثاني الهجري |
| ٥٦     | طبقة أهل مكة . . . . .                                 |
| ٥٦     | مجاهد بن جبير . . . . .                                |
| ٥٦     | ترجمته . . . . .                                       |
| ٥٧     | مكانته في التفسير . . . . .                            |
| ٥٩     | آراء العلماء فيه . . . . .                             |
| ٦١     | طبقة أهل العراق . . . . .                              |
| ٦١     | الحسن البصري . . . . .                                 |
| ٦٥     | ثناء العلماء عليه . . . . .                            |
| ٦٧     | القدر ورأى الحسن البصري فيه . . . . .                  |
| ٧٢     | تفسير الحسن البصري . . . . .                           |



| الصفحة | الموضوع                                         |
|--------|-------------------------------------------------|
| ٧٤     | وفاة الحسن البصري . . .                         |
| ٧٥     | طبقة أهل المدينة . . .                          |
| ٧٥     | زيد بن أسلم . . .                               |
| ٧٥     | ثناء العلماء عليه . . .                         |
| ٧٦     | تفسيره . . .                                    |
| ٧٨     | الصحت الرابع :<br>~~~~~                         |
|        | الرأى وموقف علماء المسلمين بالنسبة الى استعماله |
| ٧٨     | فى الشريعة الاسلاميه . . . .                    |
| ٧٨     | معنى كلمة الرأى فى اللغه . . .                  |
| ٨٠     | معنى كلمة الرأى فى الاصطلاح . . .               |
|        | موقف علماء المسلمين بالنسبة لاستعمال الرأى فى   |
| ٨٢     | الشريعة الاسلاميه . . . .                       |
| ٨٢     | الاجتهاد لفة واصطلاحا ورأى العلماء فيه . . .    |
| ٨٦     | القياس . . .                                    |
| ٨٦     | تعريفه لفة واصطلاحا . . . .                     |
| ٨٦     | قياس المساواة . . . .                           |
| ٨٩     | قياس المكس . . . .                              |
| ٩٠     | حجية القياس وعدمه . . . .                       |
| ٩١     | ادلة النافين لحجية القياس . . . .               |

| الصفحة    | الموضوع                                           |
|-----------|---------------------------------------------------|
| ٩٥        | أدلة القائلين بحجية القياس . . .                  |
| ١٠٠       | الرد على أدلة نفاة القياس . . .                   |
| ١٠٤       | الباب الثاني : . . .                              |
| ١٠٤       | المبحث الأول : التفسير بالرأى ورأى العلماء فى ذلك |
| ١٠٧       | أدلة ما نموا التفسير بالرأى . . .                 |
| ١٠٨       | رد المجيزين على هذه الأدلة . . .                  |
| ١١٢       | أدلة مجيزى التفسير بالرأى . . .                   |
| ١٢٠       | المبحث الثاني . . .                               |
| ١٢٠       | نشأة التفسير بالرأى وأسبابها ومظاهرها . . .       |
| ١٢٦       | المبحث الثالث . . .                               |
| ١٢٦       | أول مفسر بالرأى . . .                             |
| ١٢٨ - ١٣٠ | مقاتل بن سليمان : نسبه ، وعلمه ، ونكاؤه . . .     |
| ١٣١       | اتهام مقاتل بالكذب . . .                          |
| ١٣٣       | كذب مقاتل والأدلة على ذلك . . .                   |
| ١٣٥       | عقيدة مقاتل . . .                                 |
| ١٤١       | تفسير مقاتل . . .                                 |
| ١٤١       | منهج مقاتل فى تفسيره . . .                        |
| ١٤٤       | ما أخذ على مقاتل فى تفسيره . . .                  |
| ١٥٠       | المبحث الرابع . . .                               |

| الصفحة | الموضوع                                              |
|--------|------------------------------------------------------|
| ١٥٠    | فخر الدين الرازي وأثره في مدرسة التفسير بالرأى . . . |
| ١٥٠    | نسبه وعلمه . . .                                     |
| ١٥٢    | موقف الامام فخر الدين الرازي من الفرق المخرفة . . .  |
| ١٥٥    | ما أخذ على فخر الدين الرازي . . .                    |
| ١٥٧    | تفسير فخر الدين الرازي . . . .                       |
| ١٦٥    | منهج فخر الدين الرازي في تفسيره . . .                |
| ١٦٦    | قيمة تفسير فخر الدين الرازي . . .                    |
| ١٧٢    | المبحث الخامس . . .                                  |
| ١٧٢    | مفسرون جمعوا بين المأثور والرأى . . .                |
| ١٧٢    | ابن جرير الطبري : ترجمته . . .                       |
| ١٧٣    | طلبه للمعلم . . .                                    |
| ١٧٨    | اتهامه بالرفس . . .                                  |
| ١٨١    | تفسير ابن جرير الطبري . . .                          |
| ١٨٢    | منهج الامام الطبري في تفسيره . . .                   |
| ١٨٦    | اتهامه بكثرة الروايات الضعيفة والاسراغليات . . .     |
| ١٨٨    | الباب الثالث . . . .                                 |
| ١٨٨    | ما للتفسير بالرأى وما عليه . . .                     |
| ١٨٨    | المبحث الاول . . . .                                 |
| ١٨٨    | ماذا يشترط في التفسير بالرأى ليقبل . . .             |
| ٢١٦    | المبحث الثاني . . .                                  |